المكتبة الإعلامية

المرأة والإعلام في عالم متغير

د. ناهد رمزي

الدار المصرية اللبنانية

المرأة والإعلام

فى عالم متغير

الدار المصرية اللبنانية

١٦ ، شارع عبد الخالق ثروت ـ القاهرة
تليفون: ٣٩٢٣٥٢٥ - ٣٩٣٦٧٤٣
فاكس: ٣٩٠٩٦١٨ ـ برقيا: دار شادو
ص . ب : ٢٠٢٢ ـ القاهرة

المدير العام : محمد رشـــاد

المشرف الفنى : محمد حجى

المكتبة الإعلامية

رقم الإيداع: 2001/10250

الترقيم الدولى: 977-270-680-6

الطبعة الأولى: ربيع آخر ١٤٢٢ هـ ـ يوليو ٢٠٠١ م

المرأة والإعلام

في عالم متغير

دكتورة ناهد رمزي

الأستاذة بالمركز القومي للبحوث الاجتماعية

الدار المصرية اللبنانية

إهـــداء

إلى روحيّ أمي وأبي.

من منطلق حرص الدار المصرية اللبنانية على إصدار سلاسل متخصصة فى مختلف العلوم والفنون والآداب، تأتى هذه السلسلة (المكتبة الإعلامية) لتتكامل مع سلاسل أخرى، أصدرتها الدار فى العلوم التربوية والدينية والأدبية والفكرية؛ بما يسمح بسهولة متابعة الإنتاج الفكرى الجديد لكافة الدارسين والممارسين.

وتهدف هذه السلسلة إلى تحقيق الأغراض التالية:

١- إثراء المكتبة العربية فى مجالات علوم الاتصال وفنون الإعلام، حيث شهدت هذه العلوم تطورات كبيرة طوال القرن العشرين، وأصبح الإعلام ظاهرة مؤثرة فى جميع الأنشطة السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

٢- ظهور عديد من كليات وأقسام الإعلام فى الجامعات المصرية والعربية، وحاجة هذه الأقسام إلى متابعة الإنتاج الفكرى فى مجالات الإعلام الذى يسهم فى تنظير فروع علم الاتصال من منظور عربى.

٣- تزويد الممارسين للعمل الإعلامى بالمعلومات الجديدة فى مجالات التكنولوچيا والإنتاج الإعلامى، وتأثير الرسائل الإعلامية والإعلانية على الجماهير المستهدفة.

٤- نشر الثقافة الإعلامية من خلال التأليف والترجمة ونشر الرسائل المتميزة للماچستير والدكتوراه، وذلك لأهمية هذه الثقافة التى أصبحت ضرورة لا غنى عنها، لتيسير الانتفاع بمصادر المعلومات والإعلام المتعددة فى العصر الحديث.

الناشر

على الرغم من الدعاوى التى يستند إليها معارضو الثورة الاتصالية الهائلة والانتشار الإعلامى الواسع، فإن ذلك قد أتاح الفرصة أمام أى مجتمع يعانى من استبداد مجتمع آخر لأن يعلن من خلال أجهزة الإعلام قضيته أمام العالم أجمع، بل وربما وجد تأييداً لقضيته إذا كانت قضية عادلة!

المحتويات

الفصل الثالث

مقارنة بين صورة المرأة وصورة الرجل

فى الدراما التلفزيونية

الفصل الرابع

المسئولية الاجتماعية لوسائل الإعلام

واستراتيجية تغيير واقع المرأة

الفصل الخامس

نحو صياغة سياسات للنهوض بالمرأة اجتماعيًا

إذا أردنا أن نصف عالم اليوم، فلنا أن نقول إنه ذلك العالم الذى انتفى فيه حاجز الزمان والمكان. .

ففى غضون الثانية الواحدة، وفى إطار اختلاف التوقيت بين دولة وأخرى، يمكن لأى شخص أن يطّلع على ما يجرى فى أى جزء من أجزاء العالم. كذلك فلم يعد البعد المكانى يشكل حاجزًا جغرافيًّا، فالاتصال بأى شخص يعيش فى أى بقعة من بقاع الكرة الأرضية أصبح أمرًا ممكنًا.

وقد أثر ذلك على طبيعة العلاقة بين الأفراد، وطبعها بطابع غير مسبوق، فقد صار من الميسور عقد لقاءات وعلاقات دون معرفة سابقة، ومع أشخاص لم يعرفوا بعضهم من قبل. كما زالت أيضًا الحواجز اللغوية بين الأفراد، وأصبح هناك لغة واحدة للتعامل، وهى اللغة التى يجب أن يتقنها من يريد أن يتعامل مع الآخرين عبر شبكات المعلومات والإنترنت لكى يواكب العصر، ويتوافق مع عالم متغير يتميز بثورة إعلامية ومعلوماتية تتضاعف فيها إمكانية إثارة الأفكار وانتشارها بشكل لم يسبق له مثيل.

ويثير ذلك الأمر جدلًا شديدًا بين المتخصصين حول التبعات والنتائج والآثار المحتملة لتلك الثورة التكنولوجية الهائلة، سواء فى جانبها السلبى أو الإيجابى، مثل الحق فى التعبير، وحرية نشر المعلومات، والضوابط القانونية المنظمة لها بين المجتمعات المختلفة من جهة، وداخل المجتمع الواحد من جهة أخرى. . والعلاقة بين الحضارات ذات الثقافات المتباينة، وإمكانية التدفق المتبادل أو ثنائى الاتجاه للمعلومات، فى مقابل هيمنة جهة واحدة فى بثها لمعلومات أحادية الاتجاه، وما يترتب عليها من سيطرة العالم المتقدم على العالم النامى، وما يمكن أن يمارسه من ضغوط ثقافية واقتصادية وسياسية ناشئة عن غياب التكافؤ فى تبادل المعلومات.

وتثار هنا قضية أخرى أكثر عملية، هى كيفية توظيف تلك الثورة التكنولوجية الهائلة فى خدمة القضايا المجتمعية المهمة، فحرية بث المعلومات وتبادلها قد تكون وسيلة للتعاون الدولى بين الشعوب، فالمعلومات الموضوعية البعيدة عن أى تحريف أو تزييف قد تكون وسيلة فعالة للتقريب بين الشعوب، كما قد يساعد ذلك فى ابتكار الآليات الممكنة المسايرة لروح العصر، والمساهمة فى تطوير وتعديل الاتجاهات المناوئة لحركة التقدم.

ولأن قضية المرأة هى جزء لا يتجزأ من قضية المجتمع ككل، ولأنها ليست قضية تحرر فقط وإنما قضية مجتمعية وقومية، كما أنها قضية تنموية بالمعنى الواسع لهذا المفهوم الذى يضع فى اعتباره المشاركة فى اتخاذ القرار وفى القيام بالمسئولية وتحمّلها .. من هنا كانت قضيتها واجبة التحرك مع باقى قضايا المجتمع التى تسعى إلى النهضة وإلى التحديث بما يتناسب مع روح عصر جديد، مستفيدةً من إمكانيات عالم متغير.

الفصل الأول

تغيُّر أوضاع المرأة في ظل عالم متغير

فى ظل عالم متغير تنامى فيه التقدم العلمى والتكنولوجى مُحْدثًا ثورةً فى مجالى الإعلام والمعلومات من خلال البَثِّ الفضائى والأقمار الصناعية، وفى ظل مناخ يسوده الدفاع عن حرية الرأى والحق فى التعبير الحر، ومناصرة قضايا حقوق الإنسان، ومناصرة مفاهيم العدالة والمساواة والحرية؛ تجدنا نتساءل : هل استفادت المرأة من ذلك التقدم غير المسبوق، وهل ساعد المناخ المُوَاتِى على تحسين أوضاعها، أو على الأقل: هل ظهرت بوادر تبشر ببزوغ ذلك التغير، أم أن الظروف المجتمعية ما زالت تُكَرِّسُ البُعْدَ النوعى لجوانب عدم المساواة بين المرأة والرجل، معبرةً عن وجود فجوة عميقة بين التقدم العلمى والتكنولوجى والواقع الاجتماعى المعاش، ومؤكدةً أن الحرية التى لا تتجزأ قد يحدث أن تتجزأ عندما تقتضى الضرورة !

انقضى القرن العشرون وهو يحمل معه تقدمًا علميًّا وتكنولوجيًّا كبيرًا استطاع الإنسان أن يحرزه فى فترة وجيزة تعادل ما أمكنه التوصل إليه فى حقبة تاريخية طويلة. أثَّرَ ذلك التقدم بشكل أساسى على مجال الاتصالات والمعلومات، مما حوّل معه العالم إلى قرية كونية صغيرة، ونقله ذلك التطور من زمان ومكان ذى آفاق محدودة إلى آفاق أرحب تشمل الكون بأسره، وهو ما أطلق عليه بالعولمة.. ذلك المفهوم الذى ذاع عبر العالم فى السنوات الأخيرة بعد أن كان لسنوات قريبة ماضية مجرد تعبير أكاديمى لا يشعر الكثيرون بوجوده حولهم قبل أن يتحول إلى واقع ملموس، يتيح فرصًا كما يفرض مخاطر خاصة

فى مجالين رئيسين هما: الإعلام والاتصال، الذين يعتبران بمثابة قوة هائلة لمن يملك إمكانيات إنتاج مُكَوِّناتها، كما قد تعد قوة مدمرة لمن لا يحسن توظيفها. فالتقدم الهائل الذى نشهده اليوم جاء بدرجات متفاوتة انتفى معه التكافؤ التقريبى بين دول العالم، وزاد الهوة اتساعًا بين دول العالم المتقدم ودول العالم النامى، ويكفى أن نشير إلى أن الدول النامية لا تملك سوى ٢٩ قمرًا صناعيًّا من بين مئتى قمر صناعى مصرى تتحرك فى الفضاء الخارجى، من بينها قمر عربى واحد، وقد تم أخيرًا إطلاق قمرين مصريين آخرين جديدين، ويعنى ذلك أنه - بمعيار حجم التدفقات الإعلامية - ما زال العالم العربى خارجًا عن عصر التقدم الإعلامى، وأن التأثير العربى فى ذلك المجال محدود بحدود الإمكانيات الضئيلة التى لم تتجاوز نسبة ٢/ ١٪ وهى نسبة هامشية بسيطة لا تُحْدِثُ تأثيرًا.

وفى الوقت الذى ترسل فيه الدول الصناعية الكبرى التى تملك الكم الأكبر من هذه الأقمار كَمًّا هائلاً من التدفقات الإعلامية حاملةً أفكارها وتوجهاتها وثقافتها، لايملك العالم النامى مادة إعلامية أصيلة تعبر عن واقعه المعاش وتطلعاته التى يستطيع من خلالها مجابهة ما يستقبله من إعلام خارجى، قد يكون مُوَجَّهًا فى بعض الأحيان، أو مُغْرِضًا يحمل توجهات بعينها فى أحيان أخرى.

ولا شك أن التغيرات الحادثة فى عالم اليوم - والتى تحدث كل دقيقة - تتطلب جهدًا خاصًّا لمتابعتها ورصدها، من أجل التعرف عليها وكشف أسبابها ودوافعها وتأثيراتها المتغيرة، من أجل التنبؤ بأبعاد ذلك التغير فى المستقبل القريب والبعيد، حيث إنها تتضمن أبعادًا متعددة تستأهل التوقف عندها ومناقشتها لما تتضمنه من قضايا هامة تتعلق بالهيمنة الإعلامية للدول المتقدمة على الدول النامية، وما يستتبعه ذلك من الحق فى حرية التعبير وحق الإعلام، والاطّلاع على الأخبار والقواعد المُنظِّمة لها، وما يثيره كل ذلك من قضايا هامة لها انعكاساتها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية.

التدفق الإعلامى أحادى التوجه

ساهمت ثورة الاتصالات والمعلومات، وتَنَامِى دور البث الفضائى والأقمار الصناعية، فى عولمة الإعلام. . وواكب ذلك بروز أنماط جديدة من الهيمنة من خلال وكالات الأنباء العالمية الكبرى التى تملك المال والتكنولوجيا من قِبَل العالم المتقدم، على دول العالم النامى الذى يفتقر إلى كليهما معًا، وأدى تفوق الدول الصناعية المتقدمة فى مجالى الإنتاج والتوجيه الإعلامى إلى تدفق الإعلام من جانب واحد من الشمال المُرسِل إلى الجنوب المُتَلَقِّى، وبات هذا التدفق الإعلامى مُتَدَخِّلاً أو مسيطرًا على حياة الإنسان بما فيها من مكوّنات ثقافية واجتماعية واقتصادية وسياسية. وتضاءل أمام ذلك الهدفُ من الثورة الاتصالية، التى من المفترض أن تؤدى إلى تدفق المعلومات فى الاتجاهين، وتعمل على توازن تقريبى أو نسبى بين دول العالم. فالتدفق ذو الاتجاهين لا يحدث فى حالة انعدام التوازن فى المجال السياسى والاقتصادى والثقافى، أى انعدام التكافؤ من الأساس.

وإذا كانت هناك عوامل تضعف أو تقضى على التكافؤ فى التبادل، فإن التدفق ثنائى الاتجاه ينقلب فى الحال إلى قناة أحادية التوجه. . وإذا كان بمقدور الطرف الذى يرسل أن يمارس تأثيرًا أو ضغطًا بأى صورة من الصور، فإن تلك المعلومات قد تصبح أداة من أدوات التأثير (شيلر، ١٩٩٩، ١٩٦).

ويعطى «شيلر» مثلاً على ذلك التأثير، فيذهب إلى أن ما يجاوز ٧٠٪ مما يُبَثُّ على الإنترنت يأتى من الولايات المتحدة الأمريكية بمفردها، بما يعنى أن الثقافة الأمريكية يجرى تصديرها عالميًّـا، مما أدى إلى أن تصبح النموذج السائد فى العديد من دول العالم خارج الولايات المتحدة، ويثير ذلك العديد من القضايا الحيوية التى تفرزها طبيعة تلك الثورة فيما يتعلق بالسيادة الوطنية للشعوب الأخرى (نفس المرجع، ١٦٨).

من هنا طرحت دول العالم الثالث منذ منتصف السبعينات ضرورة قيام نظام

إعلامى جديد يحقق التوازن والعدالة فى إنتاج وتوزيع المادة الإعلامية، وهو أيضًا ما دفع بعض الدول إلى المطالبة بحماية الذات الوطنية فى مواجهة الغزو الإعلامى الخارجى. وتجدر الإشارة هنا إلى تقرير لجنة «ماك برايت» : (أصوات متعددة وعالم واحد).. فقد كانت هذه اللجنة جزءًا من جهد أَشْمَلَ بُذلَ فى أواخر سنوات السبعينات وأوائل الثمانينات لإنشاء نظام إعلامى جديد تَبَنَّتْهُ اليونسكو، وقد جاء فى هذا التقرير ما يلى :

«إن التواصل المؤسسى قد يستعمل كوسيلة للأخبار، كما قد يستعمل كوسيلة للسيطرة على المواطنين. فإذا كان هناك تعدد للمصادر؛ فنظام المعلومات يكون مشجعًا على الانفتاح، ولكن إذا ارتبط بمصادر محدودة فإنه قد يؤدى إلى توجه مذهبى».

وعلى الرغم من الأهمية التى حظى بها هذا التقرير، إلا أنه لم يعمل به كما كان مَرْجُوًّا له بعد أن جَمَّدَتْ الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا عضويتهما فى منظمة اليونسكو التى كانت ترعى نشاط اللجنة التى قدمت هذا التقرير.. وكان وراء ذلك الدعوى التى تبنّاها ما يقرب من ثلاثة أرباع سكان العالم فى محاولة لإقامة نوع من التوازن فى العلاقات بين دول الشمال ودول الجنوب. وما زالت الولايات المتحدة وبريطانيا حتى الآن مترددتين فى دعم منظمة اليونسكو لذلك السبب.

وهنا تثار أيضًا قضية أخرى تتعلق ببث مادة إعلامية يؤدى كثرة ترديدها إلى تغيّر اجتماعى وثقافى غير مطلوب، أو يترتب عليه تبعات سلبية، كالدور الذى لعبته وسائل الإعلام الأوروبية فى تصدير الطموحات التى فاقت القدرة على تحقيقها إلى دول العالم الثالث من خلال الإعلانات والبرامج الترفيهية، مما أدى فى النهاية إلى ما أطلق عليه «دانيال ليرنر» : (ثورة الإحباطات المتزايدة) التى سادت فترة نهاية الخمسينات وبداية الستينات، فاندفع شباب الشمال الإفريقى نحو الهجرة مستأصلاً نفسه من مجتمعه وثقافته، ولعل ذلك ما يزال يحدث حتى

الآن من خلال هجرة أعداد لا يستهان بها من دول العالم النامى إلى الدول الصناعية الكبرى، حيث الحلم الأمريكى الذى يداعب الشباب من خلال الإعلام المبهر الذى يقدمه الإعلام هناك، ويصدره إلى بقية أنحاء العالم بما فيه من ثقافة أمريكية لها طابع يتمشى مع طبيعة الشعب الأمريكى دون غيره.

لذلك فإن أى تطور إعلامى يجب أن تصحبه حماية قانونية تنظم العلاقة بين الدول، وإلا تحول الأمر إلى قانون الغاب، أو قانون الأقوى تكنولوجيًّا والأكثر غِنًى.

حرية التعبير والقواعد المنظمة لها

تثير قضية حرية الإعلام مسألة غاية فى الأهمية، الأولى: حرية التعبير وإبداء الرأى. والثانية: كيفية وضع قيود على تلك الحرية. وتعترف أغلب الدساتير الوطنية والاتفاقيات الدولية بالحق فى حرية التعبير، والحق فى الإعلام والاطلاع على الأخبار والمعلومات. ويعد الإعلان العالمى لحقوق الإنسان - الذى أقرته الجمعية العامة للأمم المتحدة عام ١٩٤٨ - الأساس الذى بنيت عليه كافة التطورات التى شهدها النصف الثانى من هذا القرن فى مجال حقوق الإنسان، وفى الحريات العامة والخاصة بما فيها حرية الإعلام. ونَصَّ هذا الإعلان فى مادته رقم (١٨) على حرية الفكر والدين (الجمعية العامة للأمم المتحدة ٤٨)، واستطرادًا على حرية الرأى والتعبير، حيث يذهب فى مادته رقم ١٩ إلى ما يلى: «لكل فرد الحق فى حرية الرأى والتعبير، ويتضمن ذلك الحقّ فى عدم تعرضه للإقلاق بسبب آرائه، وحقه فى البحث، وتَقَبُّلَ واستلام ونشر المعلومات والأخبار دون أى اعتبار للحدود، وعبر أى طريقة تعبير كانت (المرجع السابق، المادة ١٩).

ولم يترك الإعلان العالمى لحقوق الإنسان تلك الحرية على إطلاقها، بل سعى لجعلها حرية مسئولة، لذلك فقد أكد فى مادته رقم (٢٩) فى الفقرة الثالثة

منها على أنه «لا يجوز فى أى حال أن تمارس حقوق تناقض مقاصد الأمم المتحدة ومبادئها» (الأمم المتحدة، ١٩٤٨ ، المادة ٢٩).

وأبرز مقاصد الأمم المتحدة - كما تؤكد ديباجة الميثاق - هو صَوْنُ السِّلْم والأمن الدوليين. وإذا كانت الحرب النفسية الإعلامية تمهد للحرب والنزاع، فإنها تناقض مقاصد الأمم المتحدة ولا تتفق مع غاية القانون الدولى فى تحقيق التعاون بين الأمم والشعوب، والدفاع عن السلم والأمن فى كافة جهات العالم.

ويمكن ملاحظة هذه المسألة كذلك فى قرارات الجمعية العامة التى أشرنا إليها، فبينما دعا القرار (٥٩) إلى حق جمع وبَثّ الأخبار فى أى مكان، فقد عاد ليشدد على الالتزام بالقيم الأخلاقية، سواء فى البحث عن الحقائق دون تعصب ، أو فى نشر المعلومات دون تحيز (أسعد دياب، ١٩٩٨، ٢٤١).

ولا شك أن ما يقابل حرية التعبير والرأى هو وجود الواجبات الخاصة،والمسئوليات المحددة التى وُضِعتْ حتى تشملها ضمانات حقيقية للمواطنين وللمجتمع. ويتدخل القانون الوطنى لكى يفرض عددًا من القواعد الشكلية والجوهرية، وغالبًا ما تأتى تلك القواعد على صورة إعلان أو بيان يتضمن بعض المؤشرات أو التعليمات التى يجب اتباعها لمن يعمل فى بث الأخبار أو نشرها.

وتشير «سيمون روزيس Simon Roses» فى مداخلتها عن (الإعلام والحدود القانونية لحريات الرأى والتعبير فى مؤتمر الإعلام العربى الأوربى: حوار من أجل المستقبل) إلى أن بث المعلومات يمكن أن يخلق تبعات يصعب التَّكَهُّنُ بها لمجتمع ما عندما يتصدى لكشف ما تقرر أن يبقى أمرًا مَخْفِيًّا، أو مجهولاً، وتشير فى ذلك إلى الفترة التى أعقبت وفاة الرئيس الفرنسى السابق «فرانسوا ميتران»، والتى نشر فيها طبيبه الخاص كتابًا عن طبيعة مرضه، وتدخلت آنذاك عائلة «ميتران» على الفور لمصادرة الكتاب وإقامة دعوى على كاتبه، وسَحْبِ

الكتاب من التداول، ولكن فى نفس يوم سحبه كانت صفحات الكتاب على مَرْأى من العالم من خلال شاشات الإنترنت.

كما يمكن لبث المعلومات أيضًا أن يكون كاشفًا للتجاوزات والفضائح بحيث يصبح سُلطة مضادة حقيقية، وهو ما حدث فى الولايات المتحدة الأمريكية عندما تناولت صحيفة «الواشنطون بوست Washington Post» فضيحة «ووترجيت Watergate» وأدت إلى إسقاط الرئيس الأمريكى السابق «نيكسون»، وهناك أيضًا الحملة التى قادها القضاة الإيطاليون بمساندة الصحافة، والتى أُطْلِقَ عليها حينذاك حملة «اليد النظيفة». وعلى جانب آخر يشهد التاريخ بعض الأحداث التى تناولها الإعلام بغرض التشهير والابتزاز، مستغلاً فى ذلك حرية بث المعلومات لما يحدث فيما يسمى بالصحافة الصفراء. وعلى الرغم مما يثيره ذلك من تحفّظ، إلا أنه يجب الاعتراف بأنه كما أن للتكنولوجيا جانبها الإيجابى، فلها أيضًا جانبها السلبى.. وعلى أى الأحوال فكفالة الحرية أمر ضرورى تتضاءل أمامه أمور كثيرة، فالإعلامُ بلا حريةٍ إعلامٌ لا قيمة له. وإذا كانت حرية نقل الأفكار والآراء والمعلومات والأخبار هى أثمن حقوق الإنسان، فالأمر يقتضى أن توضع ضوابط لتلك الحرية حتى لا يبالَغ فى استخدامها، ومن هنا فتدخل القانون الوطنى لفرض بعض القواعد التى تمارس فى نطاقها كافة أنواع الحريات أمر ضرورى، فحرية الفرد تنتهى عندما تبدأ حرية الآخرين (سيمون روزيس، ١٩٩٨، ٢١٦).

وهنا تجدر الإشارة إلى الحرية بمفهومها الاجتماعى، فالحرية لا تتحقق إلا إذا كانت فى إطار الجماعة، ولا يستمتع بها الفرد إلا إذا كانت مقبولة من خلال المجتمع الذى ينتمى إليه.

وإلى جوار مفهوم الحرية، فهناك مفهوم التحرر، أى التحرر من قيدٍ لا ينتج عن فك أسر حرية، وإنما عَوْدٌ إلى وضع طبيعى مثل التحرر من التسلط والقهر والتمييز والتفرقة، وهو يقابل التقييد بكافة أنواعه. من هنا يذهب البعض فى

تناول قضية المرأة ومنحها حقوقها أسوةً بالرجل؛ إلى الحديث عن تحررها وليس عن حريتها، حيث أن الوضع الطبيعى هو أن يكون الإنسان متحرراً من تسلط أى قوة خارجية أو أشخاص آخرين. من هنا كانت التفرقة واجبةً بين الحرية والتحرر.. وعلى الرغم من أنهما مفهومان مختلفان، إلا أن الخلط بينهما أمر شائع نظرًا لتقارب المعنى فى كليهما.

الثورة الإعلامية وحقوق الإنسان

يميل أغلب الكتاب فى حديثهم عن الثورة التكنولوجية الحديثة وما صاحبها من تطور إعلامى كبير إلى التركيز بصفة خاصة على الجوانب السلبية الناشئة عن هذا الانفتاح الإعلامى، مستندين فى ذلك إلى تسرب قيم مجتمعات تختلف فى أعرافها وعاداتها وتقاليدها، ويعتبرون ذلك غزوًا ثقافيًّا وقيميًّا غير مرغوب فيه. ويأتى ذلك على حساب الجوانب الإيجابية لهذا الانفتاح الذى يصعب إغفاله أو غض الطرف عنه. وإذا أغفلنا تلك الجوانب الإيجابية والمزايا التى ستعود علينا من ذلك الانتفاع على عالم سبقنا فى المجال العلمى والتكنولوجى من خلال التركيز على الجوانب السلبية فقط، فسنكون بذلك قد جانبنا الصواب.

ولا شك أن الثورة الإعلامية التى فتحت أمام العالم أبواب العلم والمعرفة، قد أضاءت أمامه أيضًا قيمًا جديدة، من بينها قيمة الحرية.. تلك القيمة التى دفع الغرب من أجلها الكثير، بدءًا من مرحلة «الماجنا كارتا» فى عام ١٢١٥ حتى الثورة الفرنسية فى فرنسا (الأحدب، ١٩٩٨، ٢٤٦). ولعل الذى عمل على استقرار مفهوم الحرية هو ما دفع فيه من أجلها من جهود، فالحرية لا تُمنَح، ولكنها تكتسب بالقوة، فالحرية ليست فكرة أو تعبيرات زائفة، ولكنها سلوك يحتذى، فهناك البعض يتشدقون بالحرية فى حين يناقضونها سلوكيًّا، من هنا فهى ليست أمرًا نظريًّا أو فكريًّا، بل هى أمر من صميم الحياة العملية.

والحرية إذا أُخِذَتْ لا تسترد، بل تظل تفعل فعلها وتؤثر فيما حولها. ونحن

نتوقع أن يستفيد وطننا العربى من الممارسات الديمقراطية التى قد يتابعها من خلال انفتاحه.

وفى إطار المناداة بالحرية، شهد العالم انفجارات فى المطالبة بالحقوق الفردية، وأسفر ذلك النضال عن الدعوة إلى حقوق الإنسان. ويعتبر الإعلان العالمى لحقوق الإنسان - الذى أقرته الجمعية العامة للأمم المتحدة عام ١٩٤٨ - الأساس الذى بنيت عليه كافة التطورات التالية التى شهدها النصف الثانى من هذا القرن فى مجال حقوق الإنسان (الأمم المتحدة، ١٩٤٨).

حقوق المرأة جزء من حقوق الإنسان

لأن الحرية لا تتجزأ.. ولأن المرأة نصف المجتمع.. من هنا وضعت قضاياها فى الاعتبار فى إطار الاهتمام بقضايا الإنسان والدفاع عن حقوق الفئات الأكثر تضررًا. وقد وضع الإعلان العالمى لحقوق الإنسان أساسًا لهذا التوجه الذى انطلقت منه فيما بعد الاتفاقيات التالية: فقد نص هذ الإعلان على «عدم التمييز من أى نوع بسبب العرق، أو اللون، أو الجنس، أو اللغة...

ومن خلال روح تلك الاتفاقية، صدرت اتفاقيات أخرى جاءت مخصصةً أساسًا لحماية حقوق المرأة الإنسانية.. برز منها اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة الذى صدر عام ١٩٦٧ (الأمم المتحدة، ١٩٦٧) والتى بلغ عدد الأعضاء التى صادقت عليها حتى عام ١٩٩٨ ما يزيد على ١٦١ دولة، من بينها إحدى عشرة دولة عربية من بين اثنين وعشرين دولة.

ثم جاء الإعلان العالمى للقضاء على العنف ضد المرأة - الذى تبنته الجمعية العامة للأمم المتحدة فى ديسمبر ١٩٩٣ (الأمم المتحدة، ١٩٩٣) - لكى يؤكد هذا التوجه، ثم تلاه إعلان وبرنامج عمل فيينا الذى أكد على أن «الحقوق الإنسانية للمرأة جزء لا يتجزأ أو ينفصل عن الحقوق العالمية للإنسان».

ولعل هذه الاتفاقيات والمواثيق التى تعمل على الحفاظ على حقوق المرأة وتؤمن حريتها الشخصية جاءت كنتاج لانتشار مفاهيم الحرية والحقوق الإنسانية عبر العالم.

ويلفت الانتباه أن إقرار تلك المواثيق والاتفاقيات، والعمل بالإعلان العالمى لحقوق الإنسان وما تلاه من اتفاقيات وقرارات دولية على الرغم من أهميتها، إلا أنها لم تكن كافية لضمان حقوق المرأة. . فتلك الاتفاقيات من الممكن أن تظل حبرًا على ورق فى ظل ظروف اجتماعية واقتصادية تكرس التفاوتات النوعية بين الرجل والمرأة، وإذا لم تتوافر الظروف الضرورية لممارسة هذه الحقوق - أى مراعاة أسس العدالة والمساواة - سيظل وضع المرأة كما هو بدون تغير يذكر.

ويواجهنا فى هذا الصدد سؤال يطرح نفسه يمكن صياغته كما يلى :

فى ظل التقدم التكنولوجى الكبير، والانفتاح الإعلامى الهائل، وثورة المعلومات التى لم يسبق لها مثيل. . وفى إطار انتشار اتفاقيات حقوق الإنسان، هل واكب كل ذلك التقدم والانفتاح الكونى من خلال الأقمار الصناعية وشبكات الإنترنت أىّ تغير يذكر فى وضع المرأة المصرية فى إطار هذا العالم المتغير، وهل هناك مؤشرات يمكن الاستفادة منها فى تحديد ذلك الوضع؟

مؤشرات قياس أوضاع المرأة

يشير تقرير التنمية البشرية إلى هشاشة vulnerability أوضاع النساء، وهو مفهوم جديد فى الأدبيات الحديثة التى تُعْنَى بموضوع الفقر، وينصرف هذا المفهوم إلى التعبير عن جوانب عدم المساواة الاقتصادية والاجتماعية التى قد تعانيها النساء فى مختلف المجتمعات، وينبنى على طرحٍ مُؤَدّاه: أنه فى ظل نفس الظروف الاقتصادية والاجتماعية يميل الفقر - مع افتراض بقاء الأشياء الأخرى على حالها - إلى أن يلحق بالنساء أكثر مما يلحق بالرجال، ويؤدى فقر النساء إلى تكثيف البعد النوعى لجوانب عدم المساواة، خاصةً فيما يتعلق بتوزيع ثمار التنمية وتضحياتها.

وتعكس بعض المظاهر المتنوعة هشاشة وضع المرأة، ومن هذه المظاهر عدم كفاية الفرص المتاحة لها للتعليم والصحة والتغذية المناسبة، وظروف العمل التى توفر لها حياة إنسانية كريمة.

ولعل تلك المظاهر تُعَدُّ مؤشرات معترفًا بها، يمكن بالاعتماد عليها تحديد أوضاع المرأة (UNP, 1996, p. 96).

الحالة التعليمية للمرأة

يبرز التعليم كأحد المؤشرات الهامة فى مجال التنمية البشرية بعد أن تأكدت أهمية العامل البشرى فى مجال التنمية، وأصبح من المؤكد أن التنمية الاقتصادية والناتج القومى الإجمالى وغيرها من المؤشرات الاقتصادية غير كافية بمفردها لتحقيق تنمية شاملة بالمعنى الحقيقى لهذا المفهوم.

ويعطى الاستثمار فى مجال التعليم مردودًا فعالاً على كل من المستوى الاجتماعى والاقتصادى، وعلى الفرد والمجتمع على حد سواء. فأحد متطلبات التنمية هو ضرورة إحداث تحسين فى خصائص السكان، يسمح للفرد بأن يصل إلى أقصى طاقة له تتيحها له قدراته العقلية ومهاراته الشخصية واستعداداته الخاصة ومواهبه، بما يتيح للمجتمع إمكانية الاستفادة من كافة القدرات البشرية، واستثمارها أفضل استثمار ممكن (ناهد رمزى، ١٩٩٥، ص ١).

وقد أكد المؤتمر العربى الإقليمى حول التعليم للجميع - الذى عقد بالقاهرة مع بدايات عام ٢٠٠٠ - على ضرورة توفير التعليم للجميع بصورة متكافئة، كحق من حقوق الإنسان الأساسية، وشرط من شروط تحسين نوعية الحياة. وتأكد ذلك من خلال إعلان رسمى لوزراء التعليم الذى تم الإتفاق عليه فى مؤتمر البرازيل فى فبراير من نفس العام، حيث أكد ذلك الإعلان على الدمج بين التعليم وكل من التنمية ونوعية الحياة وحقوق الإنسان والديمقراطية والاندماج الاجتماعى والعدالة، مع الاهتمام بصفة أساسية بتعليم الفتيات، والعمل على سد الفجوة النوعية بين البنين والبنات تحقيقًا لأسس العدالة الاجتماعية (Recife Declaralion, 2000).

وإلى جانب ذلك، تنص الاتفاقيات الدولية والتشريعات المحلية على أهمية تعليم المرأة، وعلى حقها فى تعليمٍ مُسَاوٍ لتعليم الرجل، فاتفاقية القضاء على

جميع أشكال التمييز ضد المرأة - التى صَدَّقَتْ عليها مصر، وأصبحت لها قوة القانون بموجب القرار الجمهورى رقم ٤٣٤ لسنة ١٩٨١، مع التحفظ على أربعة بنود ليس من بينها البند المتعلق بحق المرأة فى التعليم - تنص تلك الاتفاقية فى بندها العاشر على أن تتخذ الدول الأطراف جميع التدابير المناسبة للقضاء على التمييز ضد المرأة لكى تكفل لها حقوقًا مساويةً لحقوق الرجل فى ميدان التعليم على مختلف مستوياته، وإتاحة نفس الفرص للوصول إلى برامج التعليم المتواصل، بما فى ذلك برامج تعليم الكبار ومحو الأمية الوظيفية، ولاسِيَّما التى تهدف إلى تضييق أى فجوة فى التعليم قائمة بين الرجل والمرأة، والقضاء على أى مفهوم نَمَطِىّ عن دور الرجل ودور المرأة فى جميع مستويات التعليم وفى جميع أشكاله (الأمم المتحدة، ١٩٧٩).

ولا تختلف هذه الاتفاقية - فى فَحْواها عن أحَقِّيَّة المرأة فى التعليم ومساواتها بالرجل - عما هو وارد فى الدستور المصرى الصادر عام ١٩٧١ الذى يكفل حقوقًا متساوية لكل من المرأة والرجل فى مجال التعليم بمراحله المختلفة أو التمتع بمجانيته (فؤاد حسن عبد الله، ١٩٨٤).

إلا أن الحق فى تعليم المرأة ومساواتها بالرجل - والذى كَفَلَتْهُ المواثيق الدولية والتشريعات المحلية - عاق دون ممارستها العملية اعتبارات متعددة كالعادات والتقاليد والأعراف التى تُدَنِّى من مكانة المرأة، وتقلل من أهمية تعليمها وإسهامها فى قوة العمل أو دورها فى تنمية المجتمع والنهوض به.

انعكست هذه النظرة من خلال نقص استيعاب الفتيات فى مراحل التعليم المختلفة، وزيادة فى نسب تسرّبهن من التعليم.. فارتفعت بالتالى نسبة الأمية بينهن، وازدادت تلك الصورة وضوحًا فى المناطق الريفية وفى القرى والنجوع والكفور على وجه الخصوص، حيث تزداد العادات قوةً والتقاليد تشددًا ورسوخًا، وتبدو التفرقة بين الجنسين فى أوضح صورها حيث يكتسب الرجل قيمة لكونه ذكرًا، وتَتَدَنَّى مكانة المرأة لكونها أنثى (ناهد رمزى، ١٩٩٥، ٢).

ولعل أوضح الأمور التى تظهر مدى التباين فى تعليم الإناث وتعليم الذكور هو معدلات الاستيعاب فى التعليم الأساسى بين الجنسين.

وتشير الإحصاءات الواردة من وزارة التربية والتعليم للعام الدراسى ٩٧/٩٨ إلى أن إجمالى المسجَّلات من الفتيات إلى الإجمالى العام للمسجلين فى المرحلة الابتدائية تبلغ ٤٦٫٤٪، كما تنخفض فى المرحلة الإعدادية لتصل إلى ٤٦٫٣٪ وترتفع بعض الشىء فى المرحلة الثانوية لتبلغ ٤٨٫٥٪ (وزارة التربية والتعليم، ١٩٩٨).. وعلى الرغم من ذلك الارتفاع لنسبة تواجد الفتيات فى التعليم الثانوى مقارنةً بالبنين، إلا أن نسبة من يحصلن على الثانوية العامة لا تتجاوز ٤٨٫٢٪ وفقًا لبيانات العام الدراسى ٩٦/٩٧، بما يشير إلى أن بعض الفتيات يتوقفن عن الدراسة قبل الحصول على شهادة الثانوية العامة ،إما للزواج أو للعمل، أو لخدمة الأسرة لعدم قدرة الأسرة على تحمّل المصروفات الدراسية، الأمر الذى يجعل الفتاة تفتقر إلى فرص التعليم والتدريب الفعالة، والمهارات الأساسية التى يمكن أن تساعدها فى الحصول على فرص عمل جيدة تعينها على تحقيق استقلالها الاقتصادى وزيادة مواردها المالية فى مستقبل حياتها (الجهاز المركزى للتعبئة العامة والإحصاء، ١٩٩٨).

وينعكس هذا الاتجاه أيضًا على التعليم الجامعى للفتيات.. فعلى الرغم من أن نسبة الطالبات المسجَّلات فى الجامعات المصرية إلى إجمالى المسجلين بها تبلغ ٣٨٫٠٪، إلا أن تلك النسبة تتركز بصفة أساسية فى الكليات الأدبية أو الفنية أو التربوية التى يشاع أنها أكثر ملاءمةً لقدراتهن العقلية، مما يحد من فرص التحاقهن بأعمال تندرج فى إطار التكنولوجيا الحديثة أو الأعمال ذات الطابع المختلف عن الأعمال التقليدية التى اعتادت المرأة أن تعمل بها (المرجع السابق).

وتشير إحصاءات وزارة التربية والتعليم لعام ٩٦/٩٧ إلى أن الأمر لا يقتصر على الفجوة الحادثة بين تعليم البنات والبنين، ولكنها تتعداها إلى انحصار اهتمام

الفتيات فى نوعية خاصة من التعليم كالاهتمام بالدراسات الأدبية أو الفنية، فتبلغ نسبة الفتيات المسجلات فى الكليات النظرية ٣٩٫٢٪، وتنخفض فى الكليات العملية لتبلغ ٣٤٫٨٪ (وزارة التربية والتعليم، مرجع سابق).

وعلى سبيل المثال، تشير إحصاءات الجهاز المركزى للتعبئة العامة والإحصاء لعام ١٩٩٨ إلى أن نسبة الطالبات الملتحقات بكليات التربية الفنية إلى إجمالى الملتحقين بها قد بلغت ٧١٫٠٪، فى حين تبلغ النسبة الموازية لها فى الكليات الهندسية ١٣٫٨٪. كذلك تزيد نسبة المقيَّدات عن ٥٠٫٠٪ فى كل من كليات الاقتصاد والعلوم السياسية، والألسن، والإعلام، والآداب، والخدمة الاجتماعية، والدراسات الموسيقية، والفنون الجميلة، بما يؤكد أن النظرة إلى تعليم الفتيات لا تقتصر على الإقلال من أهميته بالنسبة لهن، وإنما تتعداها إلى التفرقة فى النظر إلى نوعية التعليم الذى تؤهِّل له الفتاة (مختار هلوده وآخرون، ١٩٩٤).

وتبرز مشكلة مهمة فى مجال تعليم الفتيات قد تبدو أكثر خطورة من حصرهن فى مجال تخصص معين أو عدم الاستيعاب الكافى لهن فى مراحل التعليم المختلفة، وهى مشكلة التسرب المبكر من التعليم قبل الحصول على قدرٍ كافٍ من التدريب أو التعليم يبعد عنهن شبح الأمية. وتشير إحصاءات التعليم إلى أن نسبة التسرب بين الفتيات فى مرحلة التعليم الابتدائى تبلغ ٢٠٫٤٩٪، علمًا بأن تلك النسبة قد حسبت على مستوى التعليم الابتدائى فقط، وكان من المتوقع أن تظهر أكثر ارتفاعًا إذا حسبت على مستوى التعليم الأساسى الذى يشمل المرحلتين الابتدائية والإعدادية معًا، حيث تزداد نسب تسرب الفتيات كلما ارتفع المستوى التعليمى الذى يندرجن فيه (ناهد رمزى، ١٩٩٤).

ويلعب المتغير الريفى / الحضرى والموقع الجغرافى دورًا بارزًا فى إبراز الفجوة بين تعليم البنين وتعليم البنات، حيث تنخفض نسبة استيعاب الفتيات فى الريف عنها فى الحضر، فتزداد الهُوَّةُ اتساعًا بين الجنسين، خاصةً فى صعيد

مصر وفى قرى ونجوع الوجه القبلى. . ففى الوقت الذى تبلغ فيه نسبة استيعاب البنين فى الفئة العمرية ٦-١١ عامًا فى القاهرة ٩٧٪ وتصل فيه لدى الفتيات إلى ٩٥٪، فإن تلك النسبة تنخفض فى قرى الوجه القبلى لتبلغ لدى البنين ٧٥٪ فى مقابل ٦٥٪ لدى البنات. وتزداد تلك النسبة انخفاضًا فى عِزَبْ ونُجُوع الوجه القبلى، حيث تبلغ لدى البنين ٧٠٪ فى مقابل ٥٤٪ لدى البنات، إذ تقل الفرص التعليمية للفتيات، وتزداد العادات والتقاليد رسوخًا، وتقل فرص العيش، وينخفض المستوى الاقتصادى والاجتماعى للأسر (نادر الفرجانى، ١٩٩٤).

وفى دراسة أجريت عن الالتحاق بالتعليم الابتدائى واكتساب المهارات الأساسية فى القراءة والكتابة والرياضيات، تم التوصل إلى أن التفاوت يبدو كبيرًا بين نسب الالتحاق فى بعض مناطق القاهرة التى تصل فى بعض الأحوال إلى نسبة ١٠٠٪ لمجموعة الجنسين، وبين بعض قرى الصعيد (نواى بمركز ملوى بالمنيا) التى لا تتجاوز نسبة ٥٣٪ بالنسبة لكلا الجنسين.

كما أسفرت نتائج الدراسة عن الانخفاض الشديد فى نسب التحاق الفتيات فى ريف الوجه القبلى، وخاصةً فى القرى ذات المستوى الاقتصادى المُتَدَنِّى، حيث بلغت تلك النسبة فى قرية نواى بملوى ٢٨٪ بفارقٍ بين الجنسين يصل إلى ٤٦٪ مقارنًا بفارق صفر فى بعض مناطق القاهرة.

كما توصلت الدراسة أيضًا إلى أن نسبة الفتيات اللاتى لم يلتحقن بمرحلة التعليم الابتدائى أو تسربن منه تبلغ ٣٨٪، كما تنخفض فى بعض المناطق ككفر الشيخ لتبلغ ١٠٪ وترتفع فى بعض القرى الأخرى فى المنيا لتصل إلى ٧٧٪ (المرجع السابق).

ارتفاع نسب الأمية بين النساء

كانت محصلة عدم الاستيعاب الكافى للفتيات فى مرحلة التعليم الأساسى بالإضافة إلى تسربهن منه فى مرحلة عمرية مبكرة - هى زيادة عدد الأميات

اللائى بلغت نسبتهن وفقًا لتعداد نهاية عام ١٩٩٠ ما قيمته ٢ر٥٩٪ قياسًا إلى نسبة الذكور الأميين التى تبلغ ٨ر٤٠٪. ومما يوضح الفروق فى نسب الأمية بين الرجال والنساء أن نسبة أمية النساء - وفقًا لآخر تعداد - تعد أكثر ارتفاعًا عن نسبة أمية الرجال الذين كانت تبلغ نسبة أميتهم ٦ر٥٦٪ وفقًا لتعداد ١٩٦٠، أى منذ نحو أربعين عامًا. . مما جعل النساء اليوم أسوأ حالاً وأكثر تخلفًا من الرجال بما يقرب من نصف قرن.

ولا شك أن ارتفاع نسب الأمية بين الإناث هى السبب المباشر وراء ارتفاع نسب الأمية فى مصر بوجه عام، وخاصة الريفيات منهن، حيث تبلغ نسبة الأمية بين النساء فى الريف ١ر٧٦٪، بالمقارنة بنسبتهن فى الحضر، والتى تبلغ ٨ر٤٤٪. يعكس ذلك تركز الخدمات التعليمية فى الحضر دون الريف، ويدل عليه انخفاض نسبة الأمية بين النساء فى المناطق الحضرية من ١ر٦٨٪ عام ١٩٦٠ إلى ٨ر٤٤٪ عام ١٩٨٦، مما يدل على أن معدلات الأمية بين النساء الحضريات قد حققت انخفاضًا ملموسًا، وتعد أعلى نسبة انخفاض سُجِّلَتْ فى مصر حتى بالنسبة للذكور، فى حين أن الحال ما زال مترديًا بالنسبة للنساء الريفيات اللائى انخفضت نسبة الأمية بينهن فى الريف بنسبة لا تتجاوز ١٧٪ خلال نفس الفترة (من ١ر٩٣٪ عام ١٩٦٠ إلى ١٥ر٧٦٪ عام ١٩٨٦). وعلى العكس من ذلك، فإن أكبر نسبة انخفاض فى نسبة الأمية بين الذكور قد تحققت فى الريف، حيث وصل ذلك الانخفاض إلى ٥ر٢٠٪ بين تعدادى ١٩٦٠، ١٩٨٦ (من ٨ر٦٧٪ إلى ٣ر٤٧٪)، فى حين لم تنخفض النسبة المقابلة للأمية بين الذكور فى الحضر بأكثر من ١ر١٢٪ (٦ر٣٨٪ إلى ٦ر٢٦٪).

يدل ذلك على أن الخدمات التعليمية فى الريف قد أفادت الرجال دون النساء، بما يعنى أن الاتجاه نحو تعليم الفتيات فى الريف ما زال يعد اتجاهًا سلبيًّا، وأن العادات والتقاليد قد حرمت الفتاة من الاستفادة من الخدمات التعليمية التى بدأت تنتشر فى الريف، والتى أفاد منها الذكور دون الإناث.

وكما تعكس الإحصاءات الأخيرة لعام ١٩٨٦ تفاوتًا فى نسب الأمية بين الريف والحضر، نجد تفاوتًا أيضًا بين محافظات الوجه البحرى مقارنةً بالوجه القبلى بالغًا أقصى ارتفاع له، حيث تتراوح تلك النسبة ما بين ٧٥٪، ٧٨٪ حيث يقطنها بعض النوبيين الذين يولون اهتمامًا خاصًا للتعليم.

وعلى الرغم من هذه الصورة القاتمة التى توضح ارتفاع نسب الأمية بين الفتيات، إلا أن تحليل البيانات الإحصائية اعتمادًا على المتغير العُمْرِى يُظهِر أن الأجيال الجديدة من الفتيات يحققن قدرًا لا بأس به من التعليم قد يبعد عنهن شبح الأمية مستقبلاً، فقد أوضح إحصاء ١٩٨٦ أنه كلما انخفض المستوى العمرى كلما قلت نسبة الأمية، حيث تبلغ تلك النسبة بين الفتيات فى المرحلة العمرية من ١٠-١٤ سنة ٢٧٫٣٪، فى حين تبلغ لدى المرحلة العمرية من ٢٥-٢٩ سنة ٦٥٫٨٪، وترتفع لدى فئة العمر ٤٥-٤٩ سنة لتصبح ٨٣٫٦٪، وتبلغ أقصى ارتفاع لها لدى السيدات فى فئة العمر من ٦٠-٦٩ عامًا إلى ٩١٫٩٪ على مستوى الجمهورية (ثروت نخلة، بثينة الديب، ١٩٨٦).

. وتحتاج مشكلة الأمية فى مصر إلى توجيه جهود خاصة من أجل التغلب عليها فى مراحل العمر المختلفة، حيث تعد هى التحدى الحقيقى الذى يواجه المرأة فى مصر والمجتمع. وإذا افترضنا عدم وجود مزيد من التسرب بين الإناث بالمدارس خلال هذه الفترة، فإن ذلك يعنى أن هناك أكثر من ١٢٫٣ مليون امرأة أمية فوق سن العشر سنوات، منها ٨٫٣٪ مليون امرأة بالريف المصرى وحده. ويقتضى ذلك تَبَنِّى خطط عاجلة خلال الخمس سنوات القادمة لمحو أمية كل من لا يعرف القراءة والكتابة من النساء والرجال على حد سواء (هشام الشريف، ١٩٩٦).

الحالة العملية للنساء

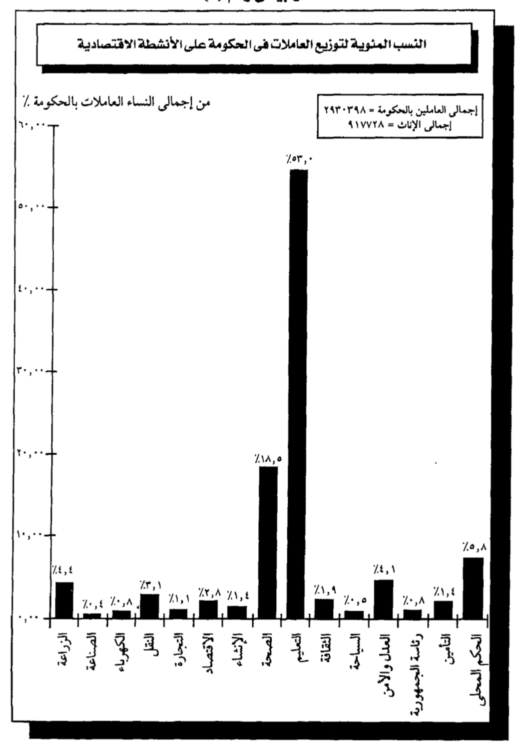
لاشك أن مساهمة المرأة فى النشاط الاقتصادى تعد من المؤشرات الهامة لمكانتها الاقتصادية والاجتماعية. ومع ذلك فقد تساهم المرأة بمعدلات مرتفعة

فى النشاط، ولكن يتم ذلك من خلال ممارستها لمهنٍ ذات مكانة اجتماعية واقتصادية متدنية، لذلك تعد نوعية المهن التى تمارسها المرأة من المؤشرات المهمة فى كافة الدراسات التى تتناول أوضاع المرأة العاملة فى مجتمعات العالم المختلفة. ويرتبط بمستوى المهن ومكانتها مستوى العائد الذى تحققه كل مهنة، ومدى التفاوت بين المرأة والرجل فى عائد العمل، ويطلق على هذه الأمور فى أدبيات المرأة والعمل ظاهرة الانفصال المهنى Occupational Segregation . ويقاس الانفصال المهنى بين الجنسين بمؤشر تتراوح قيمته بين القيمة صفر والقيمة ١٠٠، وكلما اقتربنا من الصفر كلما انعدم الانفصال بينهما، وكلما اقتربنا من القيمة ١٠٠ كلما ظهرت الهوة سحيقةً بين الجنسين فى طبيعة المهن التى يشغلونها. ومن خلال بحث العمالة بالعينة؛ تبين أن حجم المؤشر يبلغ ٥ر٦١٪ بما يوضح أن هناك تفاوتًا بين الجنسين فى هيكل المهن التى يشغلها كل جنس منهما. وحينما تظهر قيمة المؤشر مرتفعة؛ فهذا يعنى أنه لكى تصل المرأة إلى نفس درجة التوزيع النسبى للمهن - مثل الرجل - فإن نفس النسبة من النساء (٢ر٦١٪) عليها أن تغير طبيعة عملها (محيا زيتون، ١٩٩٨، ص ٣١).

ومن خلال بيانات عن العاملات فى الأنشطة الاقتصادية المختلفة على المستوى الحكومى، يظهر بوضوح تركّز العمالة النسائية فى أعمال بعينها كقطاع التعليم الذى يستحوذ على أكثر من نسبة العاملات فى ذلك القطاع (٥٣٪)، يليه القطاع الصحى ٥ر١٨٪، فى حين لا تتجاوز نسبة النساء العاملات فى المجال الصناعى ٤ر٠٪، والسياحة ٥ر٠٪ والكهرباء ٨ر٠٪ وهكذا (انظر الشكل البيانى رقم ١).

ولا تنطوى أهمية الانفصال المهنى للعمالة النسائية فى تركز النساء فى مهن بعينها، وإنما يتعدى ذلك إلى الاختلاف الحادث فى خصائص المهن من حيث ما تتطلبه من كفاءة وتدريب ومهارات خاصة، وما يترتب على ذلك من إتاحة فرص الترقى إلى مناصب أرقى وذات دخول أعلى.. وإلى جانب ذلك؛ فالفجوة النوعية بين الجنسين لا تقتصر على تركّز النساء فى تلك المهن، ولكننا نلاحظ

شكل بيانى رقم (١)



مصدر البيان: قواعد بيانات العاملين بالقطاع العام بمركز المعلومات
ودعم اتخاذ القرار بمجلس الوزراء- عام ١٩٩١

أيضًا أن داخل المهنة الواحدة تحتل المرأة أدنى المراتب على مستوى المهن الفرعية. وبالنظر إلى تفاصيل الوظائف داخل قطاع التعليم، يتضح وجود اختلاف جوهرى بين نصيب المرأة والرجل فى كل مهنة فرعية من جهة التدريس، ويرتبط ذلك الاختلاف بمكانة المهن المختلفة، فنسبة الإناث كمعلمات فى التعليم العالى أقل من نسبة الذكور، ونسبتهن فى التعليم الثانوى أقل من الذكور بنحو ٣٠٪، وتتساوى نسبة الإناث والذكور تقريبًا فى التعليم الإعدادى، فى حين ترتفع نسبة الإناث كمدرّسات فى المرحلة الابتدائية ارتفاعًا كبيرًا، فتزيد عن الذكور بمعدل ٤٨٪، وهكذا تتناسب الأهمية النسبية للنساء فى مهن التدريس تناسبًا عكسيًّا مع المكانة الاجتماعية والاقتصادية لهذه المهن (محيا زيتون، ١٩٩٨، ص ٢٩).

وتتفق الدراسات التى تتعرض لمساهمة المرأة فى النشاط الاقتصادى على ضعف مشاركة المرأة فى الحياة الاقتصادية بصفة عامة، والعمالة بصفة خاصة، وإن كانت الإحصاءات لا تعطى التقدير الدقيق لمشاركة المرأة اقتصاديًّا وتقلل منها إلى حد بعيد، حيث تعمل نسبة لا يستهان بها فى القطاع غير الرسمى الذى يصعب حصر العاملات فيه نظرًا لعدم دقة التعريفات، بالإضافة إلى صعوبة حصرهن، وعلى سبيل المثال فقد تم حصر العمالة النسائية عام ١٩٨٦ فى مسح العمالة بالعينة فبلغ ٢ر٩٪، إلا أن تلك النسبة قد ارتفعت إلى ٣٠٪ بعد أن تم توسيع مفهوم النشاط الاقتصادى (سهير أبو العينين، ١٩٩٨، ص ١١٢).

معدلات بطالة المرأة

تشير بيانات البطالة السافرة فى مصر إلى أن معدلاتها عادةً ما تكون أعلى بين الإناث عنها بين الذكور، ففى عام ١٩٩٥ كان معدل البطالة بين الإناث (١ر٢٤٪) أكثر من ضعف المعدل المناظر على المستوى القومى (٣ر١١٪)، وترتفع معدلات البطالة بين النساء فى الوجه البحرى (٦ر٢٧٪) عنها فى الوجه

القبلى (١٩ر٦٪) والمحافظات الحضرية (٢١ر٥٪) - (تقرير التنمية البشرية، ١٩٩٦، ص ٩٩).

إلا أن البطالة السافرة ليست هى مشكلة النساء فقط، بل هناك عقبات عدة تواجهها النساء، لعل من أهمها التميز النوعى الذى تعانى منه لصالح الرجل، خاصةً فى مجال الترقى والحصول على أجور مساوية والترشيح للتدريب أو للسفر، كذلك تعدد الأدوار الذى تقوم به المرأة داخل البيت وخارجه، بالإضافة إلى أن دخْل المرأة لا يوظف من أجل تدعيم تمكينها أو تقوية مكانتها، وإنما من أجل مساعدة الأسرة على نفقات المعيشة، فقد أثبتت إحدى الدراسات أن أكثر من ثلثى النساء يعملن من أجل مساعدة الأسرة ماديًّا (المرجع السابق، ص ٩٩).

عمل المرأة وسياسات إعادة الهيكلة

وفى نفس الوقت، فقد أدت سياسات إعادة الهيكلة الرأسمالية - التى بدأت تأخذ مسارًا فى مصر منذ الثمانينات - إلى التأثير سلبًا على عمالة المرأة، فجوهر سياسات إعادة الهيكلة الرأسمالية يظهر فى تعديل أولويات الإنفاق العام، وإطلاق آلية السوق للعمل فى حريةٍ فى شتى مجالات الاقتصاد باعتبارها الكفيلة بتنظيم الأولويات الموضوعة للإنفاق والاستثمار، وبالتالى اختيارات النمو.. يستوى فى ذلك الإنفاق على الإنتاج السلعى والإنفاق فى مجالات التنمية البشرية (سلوى صابر، ١٩٩٨، ص ٧٩).

وعلى الرغم من أن سياسة الهيكلة قد أثرت على الرجل والمرأة معًا، إلا أن المرأة كانت أكثر تأثرًا، فقد كانت أكثر تركزًا فى القطاعات التى خُصِّصَتْ لإعادة الهيكلة كالقطاع الحكومى، وتشير الإحصاءات الرسمية إلى أن نسبة المشتغلات فى الحكومة وفى قطاع الأعمال العام على المستوى القومى بلغت نحو ٥٩ر٩٪ و ١١ر٦٪ على التوالى فى عام ١٩٨٦، إلا أن تلك النسبة قد انخفضت إلى ٣٨ر١٪ ، ٤,٤٪ على التوالى وفقًا لبحث العمالة بالعينة لعام ١٩٩٥.

يضاف إلى ذلك انخفاض مستوى تعليمها، وافتقادها إلى بعض المهارات التكنولوجية التى تتواكب مع العصر الجديد، مما جعلها فئة غير مرغوب فيها فى ظل التطور التكنولوجى الحادث، والذى يتطلب نوعًا مختلفًا من الكفاءة لا تتوفر لدى النساء بشكل كاف. . من هنا فقد كُنَّ ضحية لسياسات الهيكلة الرأسمالية.

ويأخذ ضعف النساء فى سوق العمل أشكالاً متعددة، ففى الوقت الذى يكرسن فيه كل دخولهن تقريبًا لرفاهية أسرهن، ما زال عليهن الامتثال للقيود التى تفرضها طبيعة دورهن النوعى فى المجتمع، وذلك ما يجعل مساهمتهن فى عملية التنمية ذات تكلفة باهظة. . فمع زيادة الحاجة إلى النقود، خاصةً فى فترات الركود ـ تُعطَى فرص العمل للرجال، فى حين تتجه النساء إلى العمل فى القطاع غير المنظم، وهنا يُوَاجَهْنَ بمنافسة المُتَعَطِّلِينْ، مما يدفعهن إلى قبول الأعمال متدنية المستوى ومنخفضة العائد، وهذا إلى جانب أن النساء غالبًا ما يُعْتَبَرْنَ ضحايا سياسات التوظّف التى تصاحب برامج التكيف الهيكلى، فبحكم النظام الاجتماعى المتحيز للرجال؛ تصبح النساء العاملات أكثر عُرْضَةً لاحتمالات البطالة السافرة التى تزداد خلال فترة تنفيذ تلك السياسات، ويُخشَى إلى حد بعيد فى ظل ارتفاع معدلات البطالة أنه لن يتم تشغيل أى امرأة يعانى زوجها من البطالة، فهو يجب أن يحل محلها، ومن المتوقع أن يؤدى ذلك إلى ارتفاع نسبة البطالة بين النساء (ناهد رمزى، ٢٠٠١).

الحالة الصحية للمرأة

تتأثر صحة المرأة بعوامل متعددة، من بينها: الفروق البيولوجية، والوضع الاجتماعى، والتمييز النوعى، وعدم حصولها على الرعاية الصحية وعلى الخدمات الأخرى بشكل كاف، ومشكلة النقص الغذائى، والسكن غير الملائم، وعدم كفاية مياه الشرب النقية خاصةً بالنسبة للمرأة الريفية. . وما تزال معدلات الوفاة والإصابة بالأمراض مرتفعة بسبب عدم توافر الرعاية الكافية لصحتها الإنجابية.

أما إذا كانت تلك المرأة تنتمى إلى بيئة محرومة من الخدمات، فإن حظها من الرعاية الصحية من المتوقع أن يكون أكثر سوءًا بكثير. وفى مقال لـ «كارول بيلامى Carol Belamy» - فى تقرير مسيرة الأمم لعام ١٩٩٩ عن مولود البليون السادس- تذهب فيه إلى أنه إذا قدر لمولود البليون السادس أن يولد فى منطقة فقيرة من العالم وكان هذا المولود أنثى، فإنها ستكون فى وضعٍ أسوأ من وضع أى ذكر يولد فى أى مكان فى العالم تقريبًا، فنصيبها من الطعام ـ إذا ما كان الطعام عزيز المنال ـ سيكون أقل من نصيب أخيها. . أما احتمالات التحاقها بالمدرسة فستكون أقل مما هو متاح للذكور فى عائلته. كما قد تتعرض للآلام والإذلال الناجمة عن تشويه أعضائها التناسلية نتيجة الختان إذ أنها وفق بعض الثقافات سوف تتم تربيتها على الاعتقاد بأنها لا تنتمى إلى عائلتها، بل إلى عائلة رجل آخر - لا تعرفه - سيصبح فى وقت من الأوقات زوجها! وبما أنها ستُزَفُّ إلى عريس فى السنوات المبكرة من حياتها، فمن المتوقع أن تبدأ عملية الإنجاب فى مرحلة عمرية صغيرة، واحتمالات وفاة الأمهات صغيرات السن ضعف احتمالات وفاة الراشدات أثناء الولادة (National Report 1999, P.2).

وتبين مؤشرات الحالة الصحية للنساء واحدًا من أهم مظاهر هشاشة أوضاعهن، فمعدل وفيات الأمهات مرتفع نسبيًّا فى مصر (١٧٤ لكل مائة ألف حالة ولادة حية) خاصة بالمقارنة مع دول أخرى مثل البحرين (٨٠) وبنما (٦٠) والدول الصناعية (٢٨ فى المتوسط)، وتتعرض النساء فى سن الخصوبة للوفاة نتيجةً لتعقيدات الحمل والولادة، ويرتفع احتمال الولادة بين الفقراء والأميين وبين النساء صغيرات السن (معهد التخطيط القومى، ١٩٩٦، ص ٩٨).

وقد أسفرت نتائج المسح الديموجرافى لعام ١٩٨٨ عن أن أطفال الأمهات صغيرات السن يواجهن احتمالات الوفاة بدرجة أكبرَ بشكلٍ جوهرى من أطفال الأمهات اللائى تتراوح أعمارهن ما بين ٢٠-٣٩ عامًا. ويشير تقرير البنك الدولى لعام ١٩٩٠ إلى أن وفيات أطفال الأمهات الأميات تبلغ ثلاثة أضعاف

وفيات أطفال الأمهات اللائى حصلن على قدر من التعليم يُقَدَّرُ بالمرحلة الابتدائية وما فوقها. كما تشير بعض الدراسات الموثقة فى هذا التقرير إلى أن كل سنة من سنوات تعليم الأم تؤدى إلى انخفاض فى نسبة وفيات الأطفال دون سن الخامسة بمقدار ٩٪.

وتَفْضُلُ المناطقُ الحضرية المناطقَ الريفية من حيث معدل وفيات الأطفال، حيث تتحسن الأحوال الصحية للفئات العالية والمتوسطة الدخل، وبالتالى مرتفعة التعليم.. فى حين تقل فى المناطق الريفية المحرومة من الخدمات الضرورية. ولعل ذلك يفسر مدى التفاوت بين المناطق المختلفة فى معدل وفيات الأطفال، إذ يزيد احتمال الوفاة عند الولادة بخمس مرات فى المناطق الريفية عن مستواه فى المناطق الحضرية، كما يزيد بمقدار ٧ر٤ مرة فى الصعيد عن مستواه فى سائر أنحاء الجمهورية.

ولاشك أن ذلك يرجع - بالإضافة إلى انعدام الخدمات الصحية والبيئية - إلى انعدام الوعى لدى الأمهات الأميات. ولا نستطيع أن نفصل هذه النتائج بين ارتفاع معدل وفيات الأطفال فى المناطق الريفية - وخاصة فى الصعيد - وبين ارتفاع نسبة الأمية.. كذلك تزيد معدلات وفيات المواليد الأطفال من الإناث بصورة ملحوظة على معدلات وفيات المواليد الأطفال من الذكور، بما يوضح وجود صلة قوية بين معدل وفيات الأطفال وبين المستوى الاقتصادى الاجتماعى من جهة أخرى، وزيادة تأثير العادات والتقاليد الاجتماعية التى ترفع من شأن الذكور وتقلل من قيمة إنجاب الإناث.

ويشير تقرير البنك الدولى لعام ١٩٩٣ إلى أنه يولد على مستوى العالم عدد من الذكور يفوق عدد الإناث، وعادةً ما تكون نسبة الإناث بين الأطفال الذكور دون سن الخامسة أعلى منها لدى الإناث، إلا أن البيانات تشير إلى أن التعرض لخطر الموت حتى سن الخامسة يتباين على مستوى العالم إلى حد كبير، فبينما تقل وفيات الأطفال الإناث فى الدول الصناعية عن وفيات الأطفال الذكور حتى

سن الخامسة بنسبة ٢٣٪، نجد أن خطر الموت حتى الخامسة فى بعض الدول الأدنى دخلاً يتهدد الأطفال الإناث عنه بالنسبة للأطفال الذكور، مما يوحى بوجود تمييز فى المعاملة بين الجنسين بالنسبة للغذاء والرعاية الصحية.

ويُخشَى أن تؤدى سياسات التكيف الهيكلى - التى تهدف إلى تحرير الأسعار ودعم الغذاء - إلى تقليل الموارد المخصصة لخدمات الصحة الوقائية، خاصةً فى مجال رعاية الطفولة والأمومة.. مما يؤدى إلى إحداث تأثير سلبى على مستويات تغذية الأفراد، خاصةً لدى الأسر ذات الدخل المنخفض.

وقد أظهرت دراسات ميدانية فى كل من القاهرة والإسكندرية أن ٢٥٪ من العمال الذين شملتهم هذه الدراسات توقفوا عن استهلاك اللحوم، كما أن ٥٠٪ من هؤلاء العمال توقفوا عن استهلاك بعض أنواع الخضراوات بسبب ارتفاع أسعارها. أيضًا فإن النساء هن أول الضحايا، فالمرأة هى المسئولة داخل الأسرة - عادةً - عن إدارة ميزانية البيت، بما يجعل مهمتها أكثر تعقيدًا واستهلاكًا للوقت عندما تزداد الأسعار بما يفوق إمكانيات دخل الأسرة. كما أن تدنى وضع المرأة داخل الأسرة - خاصة بالنسبة لبعض الشرائح الاجتماعية - يعطى أفضلية للزوج - أو للرجال داخل الأسرة عمومًا - فى توزيع الغذاء، بما يعرض المرأة لسوء التغذية، خاصةً فى مرحلتى الحمل والرضاعة.

وفى دراسة ميدانية حديثة فى مصر، بلغ معدل انتشار الأنيميا ١ر٢٢٪ بين الحوامل فى مصر، ٣ر٢٥٪ بين النساء المرضعات، مقابل ٤ر٢٢٪ بين مجموع من شملته عينة هذه الدراسة. وتوجد أكبر نسبة لنقص الحديد فى التغذية بين الأمهات، كما أن ما يقرب من ثلثى الأمهات لا يكفى استهلاكهن من الحديد لتلبية ٩٠٪ من النسبة المسموح بها يوميًّا ضمن ما يُوصَى به من معايير التغذية الصحية (تقرير التنمية البشرية، ١٩٩٦، ص ٦٨).

عَوْدٌ على بَدْء

ونعود فى نهاية استعراضنا لمؤشرات أوضاع المرأة الاجتماعية والاقتصادية

والصحية إلى مناقشة إجابة السؤال الذى سبق أن طرحناه فى بداية هذا الفصل، والذى يتعلق بمدى استفادة المرأة من التقدم العلمى والتكنولوجى الذى أسفرت عنه الثورة فى مجالى الإعلام والمعلومات. . لكى نؤكد أن ذلك التقدم غير المسبوق لم يُؤَدِّ إلى إحداث تغير فى أوضاعها، ولم يبشر بهذا التغير على أقل تقدير. . ويتضح ذلك من خلال مؤشرات ثلاثة لقياس وضعها، يتمثل المؤشر الأول فى وضعها التعليمى الذى يوضح عمق الفجوة النوعية التعليمية بين الجنسين، والذى لم تتمكن الاتفاقيات الدولية والتشريعات المحلية من تداركه على الرغم من التأكيد المستمر على حقها فى التعليم وحصولها على مستوى تعليمى مساو لتعليم الرجل، وإنما عاق دون ممارستها العملية اعتباراتٌ متعددة كالعادات والتقاليد والأعراف التى تدنى من مكانة المرأة وتقلل من أهمية تعليمها، والتى انعكست فى نقص استيعاب الفتيات فى التعليم وزيادة نسبة تسربهن؛ خاصةً فى المناطق الريفية التى تسود فيها العادات التقليدية والنظرة المتدنية إلى المرأة. . وقد ساعد ذلك التسرب على زيادة معدلات الأمية بين النساء بما يحتاج معه إلى إسراع لتضييق فجوة التعليم بين البنين والبنات، وإلى استراتيجيات تضمن معدلات أعلى من التحاق الفتيات بالدراسة، وإلى جهود مكثفة لزيادة تعليمهن ومحاولة علاج مشكلة الأمية المنتشرة بين النساء.

وفيما يتعلق بالمؤشر الاقتصادى، فقد أكدت الدراسات ضعف إسهام النساء فى الحياة الاقتصادية بصفة عامة، والعمالة بصفة خاصة. . كما أن تلك العمالة تتركز فى أعمالٍ بعينها، ويتعلق جانب منها فى القطاع غير الرسمى الذى يصعب حصره نظرًا لعدم الاتفاق على تعريفات محددة بشأنه. كما تشير بيانات البطالة السافرة إلى أن معدلاتها عادةً ما تزيد بين النساء، حيث تبلغ معدلاتها ضعف المعدل المناظر له على المستوى القومى. كما يبرز التحيز النوعى أيضًا فى حرمان النساء من بعض الوظائف التى تتطلب مهارات خاصة تقلل من فرصهن فى الترقى.

وفى نفس الوقت، فقد أثرت سياسات إعادة الهيكلة تأثيرًا سلبيًّا على النساء أكثر مما أثرت على الرجال، نتيجةً لانخفاض مستوى تعليمهن وقلة تدريبهن،

وافتقادهن إلى المهارات التكنولوجية التى تتناسب مع احتياجات سوق العمل الذى أصبح فى حاجة ماسة إلى تدريبٍ من نوع خاصة لمواكبة دخول التكنولوجيا إلى العديد من المجالات العملية.

ولا شك أن رفع مستوى المرأة ومساعدتها على مزيد من الإسهام فى مجالات العمل لن يتحقق إلا بانتهاج سياسات تنمية طويلة المدى تقوم على زيادة معدلات الاستثمار الخاص والعام، وتبنى أنماط تكنولوجية ملائمة، مع تشجيع التكنولوجيا الملائمة للبيئة، وتحقيق تنمية تشمل المرأة الريفية والحضرية، بالإضافة إلى تهيئة أفضل الظروف التى تساعدها على العمل فى عالم تسوده الكفاءة والمنافسة.

وعلى مستوى المؤشر الصحى، فقد أوضحت الدراسات عدم توافر الرعاية الكافية لهن، خاصةً فى مرحلة الإنجاب ومرحلة الحمل والإرضاع.. كما تتزايد معدلات الوفيات أثناء الولادة بالمقارنة ببعض الدول الأخرى التى لا تفوق مصر فى درجة تحضرها، كما ترتفع تلك الوفيات فى المناطق البعيدة عن الخدمات التى يقطنها الفقراء والأميون، حيث يزداد الأمر سوءًا لانتشار الأنيميا بين النساء الحوامل والمرضعات وصغيرات السن، ولا يخلو الأمر من تشويه لأعضائهن التناسلية نتيجةً لعمليات الختان التى ما زالت منتشرة لدى بعض فئات المجتمع نتيجةً للعادات والتقاليد والموروثات البالية.

يحتاج الأمر إذًا إلى تكثيف الرعاية الصحية للمرأة، مع الاهتمام بصفة خاصة بتوسيع ورفع مستوى الخدمات الوقائية حتى يقل الاعتماد على الخدمات العلاجية والتأهيلية من جانب، وتوسيع مظلة التأمين على الصحة من جانب آخر.. وبذل جهود خاصة من أجل التوعية الصحية والبيئية. ويمكن أن تقوم وسائل الإعلام بدورها فى هذا الصدد، فهى تملك أن تنشر جهودها حتى أبعد منطقة، وخاصةً المناطق المحرومة من الخدمات.. ففى عصر المعرفة والمعلومات يجب أن تعمم الاستفادة من الخدمات المتاحة حتى لا تصبح حكرًا على الأغنياء فقط، وإنما سلاحًا فى أيدى الفقراء أيضًا.

مراجع الفصل الأول

أولاً : المراجع العربية

- أسعد دياب : الإعلام العربى الأوربى، حوار من أجل المستقبل. مركز الدراسات العربى الأوروبى، أعمال المؤتمر الدولى السادس، ١٩٨٨، ص ٢٤١.
- الجمعية العامة للأمم المتحدة : الإعلان العالمى لحقوق الإنسان، المادة رقم ١٨ . نيويورك، الأمم المتحدة، ١٩٤٨.
- ــــــــــــــ : اتفاقية إلغاء جميع أشكال التمييز ضد المرأة. نيويورك، الأمم المتحدة، ١٩٦٧.
- ــــــــــــــ : اتفاقية إلغاء جميع أشكال التمييز ضد المرأة، نيويورك، الأمم المتحدة، ١٩٧٩.
- ــــــــــــــ : الإعلان العالمى للقضاء على العنف. نيويورك، الأمم المتحدة، ١٩٩٣.
- ثروت فايق؛ بثينة الديب : المستوى التعليمى، الاتجاهات والتباينات: تحليل ديموجرافى لتعداد ١٩٨٦. الجزء الأول، الجهاز المركزى للتعبئة العامة والإحصاء، ص ٢٨٢.
- الجهاز المركزى للتعبئة العامة والإحصاء، الكتاب الإحصائى السنوى من ١٩٩٢- ١٩٩٨، يونيو ١٩٩٨.

- عبد الحميد الأحدب : حدود الحريات والنظم الاجتماعية العربية - الأوربية فى مواجهة الإعلام، أعمال المؤتمر الدولى السادس حول الإعلام العربى الأوربى: حوار من أجل المستقبل. مركز الدراسات العربى الأوربى، البحرين، ١٩٩٨، ص ٢٢٦.

- سلوى صابر : تأثير سياسات إعادة الهيكلة الرأسمالية على عمل المرأة. المجلة الاجتماعية القومية، مجلد ٣٥، عدد ١ من يناير ١٩٩٨، ص ص ١٧٥:٢١٢.

- سيمون روزيس: الإعلام والحدود القانونية لحريات الرأى والتعبير: أعمال المؤتمر الدولى السادس للإعلام العربى الأوربى، حوار من أجل المستقبل. مركز الدراسات العربى الأوربى، البحرين، ١٩٩٨، ص ٢١٦.

- هربرت شيلر : المتلاعبون بالعقول. عالم المعرفة، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٩٩، الطبعة الثانية، العدد ٢٤٣، ص ١٦٩، ترجمة عبد السلام رضوان.

- فؤاد حسن عبد الله، عبد الستار فرج : دستور جمهورية مصر العربية. الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة، ١٩٨٤.

- محيا زيتون : أوضاع المرأة العاملة فى القطاعين الرسمى وغير الرسمى فى مصر : قضايا أساسية. المجلة الاجتماعية القومية، مجلد ٣٥، العدد الأول، يناير ١٩٩٨، القاهرة، ص ص ١:٩٩.

- محمد هشام الشريف : المرأة فى مصر، الواقع والتحديات : تحليل لدور المرأة فى إدارات شركات الأعمال. المؤتمر القومى الثانى للمرأة، اللجنة القومية للمرأة، ١٩٩٦.

- مختار هلودة (وآخرون) : المرأة المصرية فى العملية التعليمية. مؤتمر المرأة

المصرية وتحديات القرن الحادى والعشرين، اللجنة القومية للمرأة، يونيو ١٩٩٤.

- ناهد رمزى : التعليم الأساسى للفتيات ومحو أمية المرأة فى مصر. منتدى عمان للمنظمات غير الحكومية، عمان، ٢ : ٥ من نوفمبر ١٩٩٤.

- ــــــــــ : واقع المرأة التعليمى والمساواة بين الجنسين. المنتدى العالمى للمرأة فى بكين، تقرير مقدم من الجمعيات الأهلية المصرية، بكين، ١٩٩٥.

- ــــــــــ : التفاوتات الإقليمية والفجوة النوعية فى التعليم: بحث مقدم إلى المؤتمر السنوى الثانى للبحوث الاجتماعية، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية ٢٠٠٠، ص ص ٩١ : ١١٥.

- ــــــــــ : المرأة والعمل : الواقع - الآفاق - التحديات. مركز المرأة العربية للبحوث والدراسات، تونس، ١٩٩٨.

- ــــــــــ : عمل المرأة والاستقرار الأسرى فى ظل تحديات العولمة. مؤتمر عمل المرأة والاستقرار الأسرى، أبو ظبى، يناير، ٢٠٠١.

- نادر الفرجانى : دراسة الالتحاق بالتعليم الابتدائى واكتساب المهارات الأساسية فى القراءة والكتابة والرياضيات. مركز المشكاة بالتعاون مع هيئة اليونسيف، ١٩٩٤.

- وزارة التربية والتعليم، الإدارة العامة للمعلومات والحاسب الآلى، إحصاءات التعليم: مفكرة إحصاء عامى ١٩٩٧ - ١٩٩٨.

ثانياً: المراجع الأجنبية

- Andrea L. Press, Women Watching Televesion. Gender, class and generation in the American T.V. experience, Univ. of Penselvania Press, USA, 1991.

- Blau, J., Blau, P., The cost of Inequality: Metropolitan structure and violence crime. American sosio. Rev. No. 747, 1982-114-129.

- Ceika Mary Ann, Gender stereotypic images of occupations correspond to the sex segregation of employment. Personality and social psychology bulletin. Aut, vol. 25 (8), 108-120,1999.

- Gean Macbride, Communication and society, Report of the international commission for the study of communication problems, London, 1983.

- Janes, Kerrie, Truth of Fiction : Men as victim of domestic violence, Relationships Australia, New South Wales An. Australian & Newzealand J. of Family therapy. vol. 17 (3) 1996, 121-125.

- Institute of National Planning, Human Develpment Report Egypt, 1996.

- Michael, Robert, T, et al., Sex in American : A definitive survery, New York : Warner Books, 1994.

- Nancy, Julia Chodrow, Gender, Relation, and Differences in psychoanalytic prespective, In the future of Difference, by Hester Eisenstein (Edt.) Rutgers Univ. Press, London, 1980.

- Refice Declaration of E-9 countries, Recife pernambuco - Brazil, Feb. 2000.

- Sarah Graham - Brown, Images of women, Colobmbia Univ. Press, New York, 1998.

- Schnieider, Hans, J., Violence in the mass media, Westfalis, Muenster, Germany studies on crime & crime prevention. vol. 5 (1) 1996, 59-71.

- Unicef, the progress of nations 2000-, New York, 2000.

- United Nations, Economic and social council, further actions and initia-

tives to implement the Beijing Declaration and platform for action, Document No. E/Cn, 6, 2000,m. New York. pp. 1-20.

- United Nations, socioeconomic council, the women in 2000 Gender equality, Development and peace in 21st Centruy, Document No E/CN. 6/2000 PC/2, New York, 2000, pp. 1-30.

الفصل الثاني

أبعاد سلوك المرأة كما تقدمه قصص الصحافة النسائية

أظهرت المؤشرات التى ناقشناها فى الفصل السابق عن أوضاع المرأة، وجود فجوة نوعية تؤكد عدم المساواة بين المرأة والرجل، كما تتفق - فى نفس الوقت - الدراسات التى تناولت الصورة المرسومة عن المرأة فى وسائل الإعلام مقروءةً ومسموعةً ومرئية على حقيقة انخفاض مكانتها فى المجتمع، ويؤكد ذلك وجود نمط سائد عن المرأة يظهر من خلال أساليب متعددة، مما يجعلنا نتساءل عن العوامل التى تجعل هذا النمط قوة ملزمة، وعن طبيعة تلك القوة التى تطوِّع أفراد المجتمع فتتطابق الغالبية العظمى منهم - أو يكادون - مع ذلك النمط السائد، وماهية الدور الذى تقوم به وسائل الإعلام فى هذا الصدد: هل تقوم برسم معالم تلك الصورة وتدعمها مع الوقت حتى تصبح قوة مؤثرة أو قوة ملزمة، أم أن دورها ينحصر فى كونها مرآة عاكسة لثقافة مجتمع يكرس تلك التفرقة ويدعمها.

تعد وسائل الاتصال أحد المجالات الهامة التى يمكن إخضاعها للدراسة فى مجال العلوم السلوكية، ولعل ذلك ما دفع الباحثين فى هذا المجال إلى التصدى لدراستها - مقروءة ومسموعة ومرئية - فى إطار ارتباطها ببعض القضايا المجتمعية الهامة، نظراً لكونها تأتى فى أغلب الأحوال معبرةً عن طبيعة المجتمع وثقافة أفراده. وقد كانت قضية المرأة إحدى القضايا التى تناولها الباحثون من خلال تلك الوسائل، فقد اعتبروا أن المادة الإعلامية الموجهة إليها - على وجه الخصوص - هى بمثابة الميدان الخصب الذى يخضعونه لدراستهم فى محاولة

منهم لتحليل وتصنيف وتقييم تلك الرسالة المستقبَلة من المرأة، والمرسَلة منها فى أغلب الأحوال*.

ويواجهنا الفحص الأولى للتراث النظرى حول هذا الموضوع بمشكلةٍ تواجه العديد من البحوث التى أجريت فى هذا المجال، وهى غياب الضبط المنهجى الدقيق للأساليب المستخدمة، خاصةً وأن غالبيتها تعتمد على أسلوب تحليل المضمون Content analysis الذى يحتاج إلى تدقيق شديد فى استخدامه، كما يحتاج أيضًا إلى تدريب الباحثين والمحللين المستخدمين له خشية أن يؤدى تحليلهم إلى التوصل لنتائج متحيزة لا تعبر عن مضمون المادة المُحَلَّلة بقَدْرِ ما تعبر عن أيديولوجيتهم الخاصة ووجهة نظرهم تجاه الموضوع الذى يتصدون له بالدراسة. وبالإضافة إلى ذلك، فقد يؤدى ذلك التوجه إلى فقدان الباحث المهتم لإمكانية الاستفادة من النتائج التى سبق له التوصل إليها فى الدراسات المماثلة.

يعيب أيضًا بعض الدراسات فى هذا الميدان أن جانبًا منها لا يتناول إلا نقاطًا فرعية أو تفصيلية فقد أصحابها القدرة على مناقشتها فى ضوء إطار أشمل، فصورة المرأة فى الوسائل الاتصالية لمجتمع من المجتمعات لا يمكن دراستها بمعزل عن العوامل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية لهذا المجتمع فى لحظة زمنية معينة، فتصوير المرأة فى الوسائل الاتصالية إنما ينشأ عن تضافر مجموعة من العناصر والقوى المتباينة التى تشكل معًا الحقيقة الاجتماعية التى تعتبر الوسائل الاتصالية واحدة منها (Rhode, Deborah, 1995) (Hamilton,Kate, 1993) (ناهد رمزى، ١٩٩٩).

تحليل مضمون صورة المرأة كما تُقَدَّم فى الصحافة النسائية

تتسق النتائج المستخلصة من دراسات تحليل مضمون صورة المرأة فى الصحافة النسائية اتساقًا يلفت النظر، فهى لا تخرج عن تصوير المرأة فى صورة النموذج الذى يهتم بالشكل أكثر مما يهتم بالجوهر. . فالمرأة - كما تقدمها تلك

* بحصر المادة الاتصالية الموجَّهة إلى المرأة؛ وجد أن النسبة الغالبة منها مقدمة من النساء.

الوسيلة - مشغولة بجمالها، مسرفة فى أناقتها وزينتها، يحركها فى ذلك رغبتها فى اجتذاب الرجل من أجل أن تستحوذ على إعجابه. كما أن اهتمامها ينحصر أساسًا فى الحياة الأسرية، ويتركز اهتمامها فى رعاية الزوج والأبناء وشئون البيت، بعيدة تمام البعد عن الاهتمام بالقضايا المجتمعية الهامة أو الشئون السياسية أو العالم الخارجى؛ من منطلق أن ذلك الاهتمام إنما يخص الرجل أكثر مما يخص المرأة (Lienert, T., 1998)، (Whittaker, R., 1998)، (نيفين مسعد، ١٩٩٥)، (الكويت : المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب، ١٩٩٩)، (ناهد رمزى، ٢٠٠٠).

وتشير بعض الدراسات التى تناولت تحليل مضمون المجلات النسائية فى الولايات المتحدة الأمريكية - من حيث تاريخ تطورها - إلى أن تحول المجلات النسائية من شكلها الأصلى إلى ذلك الشكل الذى أشرنا إليه آنفًا إنما يرجع إلى زيادة الإعلانات بها، وإلى نمو الجانب الاقتصادى لتلك المجلات التى تعد مجالاً خصبًا لنشر الإعلانات وتوزيع المنتجات عن طريقها، لذا فإن الاعتماد على الإعلانات إلى حد كبير هو المسئول الرئيسى عن خروج تحليلات صورة المرأة فى تلك المجلات بشكل أنثوى بحت، بالإضافة إلى ظهور نتائج غير مترابطة. (Deloulh, Tara, N. 1995), (Brewis, A., 1999).

وتوصى بعض الدراسات التى أجريت على تحليل مضمون المجلات النسائية بأهمية الفصل بين تحليل مضمون الإعلانات وبين تحليل مضمون المادة المحرَّرة، سواء كانت مادة قصصية أو تحقيقات أو أخبار تخص المرأة نفسها أو تخص المرأة فى علاقتها بالآخرين، ولعل ذلك يؤدى إلى وضوح التحليل ودقته وموضوعيته فى نفس الوقت (ناهد رمزى، ١٩٨٣، ص ١٧١) ;(Lavine, H; Sweeny, D., 1999).

ومع ذلك؛ فالفصل الكامل بين نوعى التحليل لا ينصح به فى كل الأحوال، وخاصةً إذا أردنا المقارنة بين البحوث فى دول العالم المختلفة التى تلتزم كل

مجموعة منها بمنهج خاص. . فبحوث المجموعة الأوروبية - على وجه الخصوص - تميل إلى تقديم تقييم شامل لكل مجلة بكل ما تحويه، فى حين تميل البحوث الأمريكية فى تحليلها إلى تضييق وجهة النظر، فتناقش كل مجال على حدة (ناهد رمزى، ١٩٨٣ ، ١٧٢)، (Pinhas, Leora, 1999) .

وعلى أى الأحوال؛ فنتائج الدراسات التى أجريت على المجلات النسائية تشير بوجه عام إلى خطورة اعتماد المجلات النسائية اقتصاديـًا على الإعلانات، لأنه يعكس صورة للمرأة التى تتسق مع المعايير السائدة عن مفهوم الأنوثة، والتى تصمَّم وتقدَّم غالبًا من رجال إنما يعبّرون عن نظام اقتصادى واجتماعى وثقافى معين، ولذلك تبدو صورتها مغايرة للحقيقة، ومركزة على المرأة المفضلة للأعمال المنزلية والخدمية باعتبارهما تتلاءمان مع طبيعة المرأة ودورها فى المجتمع. كما يركز مقدمو هذه الإعلانات على تقديم إعلانات تدعو المرأة إما إلى تحسين الخدمة فى بيتها، أو أن تصبح مغرية جنسيـًا للرجل، ويعتبر الرجل أن ذلك هو محور وجود المرأة فى المجتمع، ويعمِّق هذا الاتجاه ويكثّفه غياب صورة المرأة العاملة المستقلة اقتصاديـًا وتصوير دور المرأة على أنه مضاد أو مقابل لدور الرجل.

وعلى الرغم من أن هناك محاولات معاصرة لتقديم صورة جديدة عن المرأة تُبرِز التغيرات الجديدة التى استحدثت على وضع المرأة ومكانتها فى المجتمع والأدوار الجديدة التى تضطلع بها فى المجتمع الحديث، إلا أنها تتمشى إلى حد كبير مع المفهوم التقليدى لدور المرأة الذى يقدَّم على أنه دور لا يقبل المناقشة، ولا يقتصر ذلك على الإعلام فى مجتمعاتنا العربية فقط، بل يتعداه أيضًا إلى المجتمعات الأجنبية (Heinberg, L. J., 1998) .

أما إذا انتقلنا إلى تحليل مضمون المادة غير الإعلانية فى المجلات النسائية لَلاحظنا أنها تتركز أساسًا فى المادة القصصية. . وللتأكد مما إذا كانت المادة غير القصصية تتضمن ما تضمنته المادة الإعلامية من وضع المرأة فى إطار تقليدى،

فقد أجريت دراسة مصرية* اشترك فيها مجموعة من الباحثين هدفت إلى ما يلى:

هدف الدراسة ومجالها

تعد هذه الدراسة جزءًا من دراسة أشمل؛ هدفت إلى التعرف على معالم الصورة المرسومة للمرأة كما تقدمها المادة القصصية فى الصحافة النسائية، وذلك لمقارنتها بالوضع الاجتماعى للمرأة الذى يمكن تحديده عن طريق مصادر أخرى، كالبحوث التجريبية التى أجريت فى فترة معاصرة، والإحصاءات الحديثة التى تقدمها الجهات المتخصصة عن المؤشرات الاجتماعية، والتى تحدد لنا مكانة المرأة فى المجتمع.

هذا، وقد اختيرت المادة القصصية بوجه خاص، حيث أنها تتميز بكونها توجَّه أساسًا وبشكل متخصص إلى المرأة، فقارئاتها أساسًا يكُنَّ من النساء، ويفسر ذلك ما ينشأ عن تحليل مادة تلك المجلات من التركيز على المرأة على وجه الخصوص (المركز القومى للبحوث الاجتماعية، ١٩٨٣).

ونقصد بالمادة القصصية أنها **«المادة التى تقدَّم فى صورة إخبارية دون أن تشير إلى أحداث بعينها وقعت فى مكان أو زمان معينين، ودون أن تتناول أشخاصًا على وجه التحديد».**

منهجية الدراسة

أ- العينة المستخدمة

لما كان الهدف من هذه الدراسة يتركز حول تحليل مضمون قصص الصحافة

* أجرى هذا البحث تحت مظلة المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية تحت عنوان «صورة المرأة كما تقدَّم فى وسائل الإعلام»، وأجريت الدراسة باستخدام أسلوب تحليل المضمون، والمادة المعروضة تتناول جزءًا من أجزائها، وهو الجزء الذى قامت به الكاتبة بمفردها. وقد روعى الاهتمام بإضافة هذه الدراسة، حيث إنها كانت من أولى الدراسات (عام ١٩٨٣) التى وضعت منهجًا دقيقًا احتذت حذوه الدراسات التالية.. ولم تكتف بذلك، بل دُعِّمَتْ تلك الدراسة بأحدث النتائج التى توصلت إليها بعض الدراسات العربية والأجنبية التى تناولت نفس الموضوع.

النسائية، فقد تم اختيار مجلة (حواء) باعتبارها المجلة الوحيدة التى كانت تصدر فى فترة إجراء البحث. وقد شمل التحليل ٨٦ قصة وردت خلال سنة كاملة عبر ٥٢ أسبوعًا، وحُدِّدَتْ بشكلٍ مُتَوَالٍ وبلا انقطاع.

ب ـ مستويات التحليل

فرضت علينا المادة القصصية التى تناولناها بالدراسة، استحداث أسلوب جديد فى التحليل يختلف عن الأسلوب الشائع المستخدم فى تحليل المضمون الذى يتضمن الاعتماد على فئات أو وحدات للتحليل، نظرًا لوجود مستويات متدرجة فى القصة الواحدة.. فهناك الموضوع الرئيس للقصة الذى يلم فى جملة قصيرة أو فى عبارة مكثفة أو فى كلمة واحدة بأطراف القصة كلها، ويحدد هدفها بإيجاز. ثم هناك المستوى الأقل عمومية، وهو مستوى المحاور الأساسية التى تتضمنها القصة، والتى تشمل الأحداث الرئيسة التى يشكل ظهور أى منها إضافةً أو تعديلاً أو تغييرًا فى مسارها. ثم تندرج تحت هذه المحاور أحداث أقل عمومية، أو كما سميناها بـ «العناصر التفصيلية»، تعبر عن أحداث بذاتها ترد صراحة على السطور، ولا تُستَقَى من بينها، وتقدم أفكارًا بسيطة غير مركبة.

جـ ـ حساب الثبات

كان أسلوب الاتساق بين المحللين هو أسلوبنا فى حساب الثبات. ونظرًا لما يتطلبه تحليل المضمون من تدريب طويل على معالجة المادة لتضمن تناول المحللين لها من منظور واحد.. لذا؛ فقد تطلب التوصل إلى درجة عالية من الثبات إحكام تدريب المحللين، وقد تطلب ذلك عقد جلسات مكثفة تناقش فيها التحليلات المختلفة للعمل الواحد الذى قام به كل محلل باستقلال عن الآخرين. وفى ضوء المناقشة الجماعية لمادة التحليل يتم التعرف على أوجه الاتفاق وأوجه الاختلاف فى معالجة المادة الواحدة، ومدى اقتراب كل محلل أو ابتعاده عن النص الأصلى، ثم يدعم الأسلوب الأوفق فى التحليل. ولم تنته

تلك المحاولات التدريبية إلا بعد أن استقرت الهيئة تمامًا إلى وصول المحللين إلى مرحلة من التقارب فيما بينهم حتى أمكن لهم معالجة مادة التحليل من منظور شديد التشابه، ليساعد ذلك على تحقيق درجة عالية من الاتساق بين المحللين.

وللوصول إلى قيمة رقمية لدرجة الاتساق بين المحللين، وُضِع مقياس للرُّتَب يتضمن خمس رتب، تعبر كل رتبة منها عن درجة تدل على مستوى التشابه بين التحليلين، وذلك وفقًا للجدول الآتى:

مستوى التشابه	الدرجـة
تطابق أو تشابه تام	٥
تشابه إلى حد كبير	٤
تقارب	٣
تقارب طفيف	٢
لا تشابه	١

نتائج الدراسة

عولجت مادة تحليل مضمون قصص الصحافة النسائية التى نعرض لها فى الدراسة الحالية من أكثر من وجهة نظر، فجاءت متضمنةً لجوانب متعددة، فشملت وصفًا لأبعاد سلوك المرأة، ثم أدوارها المتعددة، ثم القضايا المركزية والهامشية التى تشغل عالم المرأة، وأخيرًا القيم التى حاولت تلك القصص التركيز عليها. إلا أن هذا الفصل سيتناول بالمعالجة شريحة واحدة من النتائج تتعلق بالجزء الخاص بوصف أبعاد سلوك المرأة كما قدمته المادة المحللة بمستوياتها الثلاثة: الموضوعات الرئيسة، المحاور الأساسية، والعناصر التفصيلية.

تعريف مفهوم الأبعاد

المقصود بالبعد فى هذه الدراسة أنه إحصاء مختصر، يهدف إلى تركيز المادة وتبويبها وتنظيمها فى كُلٍّ شامل نستطيع من خلاله أن نصنف المتغيرات الكثيرة التى استطعنا التوصل إليها. وهو يمتد سلبًا وإيجابًا أو تدرجًا بين طرفى قطبين متعارضين، وبالتالى يمكن أن نحدد عليه موضعًا لكل حدث سلوكى. . هذا الموضع يوضح ما إذا كان الحدث أقرب إلى أحد القطبين أم إلى القطب الآخر.

وعلى الرغم من أن البعد مفهوم رياضى يعنى الامتداد، إلا أن استخدام ذلك المصطلح لم يصبح اليوم قاصرًا على المجال الرياضى بعد أن استخدمه علماء النفس فى مجال الشخصية على وجه الخصوص، فيذهب «جيلفورد» فى تعريفه لأبعاد الشخصية إلى أن كل سمة سلوكية ـ فيما عدا القدرات ـ تعنى قطبًا له قطب مقابل، ويحتل كل قطب منهما نهاية متصل واحد، ويتخلل هذا المتصل مواقع مختلفة على طول هذا المتصل (Guilford, 1952, p. 526).

ويعنى ذلك أن الفروق بين الأفراد فى سمة معينة هى فروق فى الدرجة وليست فى النوع، أى تتدرج الفروق بين الأفراد على أحد المقاييس من قطب إلى القطب المقابل. . فإذا طبقنا مقياسًا كالانبساط على عينة من المفحوصين، فلا شك أننا سنجد حدًّا أعلى وحدًّا أدنى للدرجات، بمعنى أننا سنجد أفرادًا من العينة شديدى الانطواء يحتلون طرف المتصل، كما سنجد فى مقابل ذلك أفرادًا شديدى الانبساط، فى حين سنجد النسبة الغالبة من الأفراد يحتلون موضعًا متوسطًا بين هذين القطبين المتعارضين، وهذا يوحى بأن درجات السمة تتوزع من طرف المنحنى إلى الطرف المقابل (Stagner, 1974, p. 222).

وفى هذا يذكر «جيلفورد» أن معظم السمات قابلة للتدرج، لذا يمكن تمثيل كل منها بخط مستقيم يحتل كل فرد من الأفراد نقطة عليه، بمعنى أن أغلب السمات متوفرة لدى مختلف الأفراد بدرجات متفاوتة (Guilford, 1959, pp 62-63)، وهذا ما نقصده بالضبط بمفهوم أبعاد السلوك. وعلى الرغم من أن أبعادنا

فى هذا البحث لم نصل إليها باستخدام أسلوب التحليل العاملى الذى يوصلنا إلى المعنى الرياضى للمفهوم، إلا أنها تمثل أبعادًا سيكولوجية تَوَصَّلْنا إليها عن طريق ما لاحظناه من وجود سلوك عام للمرأة تَمكَّنَّا من أن نجرّد ونعمم استنادًا له.

والأبعاد التى سنتناولها بالتفسير فى هذا الجزء إنما هى مستقاة مما ورد إلينا من مادة محلَّلة، وما لاحظناه من وجود اتساق وظيفى بين ثنايا المادة التى توصلنا إليها وأتاحت لنا اقتراح الأبعاد التى ستنتظم مادتنا من خلالها.

الأبعاد المستخلصة

حفلت دراستنا التى انتهينا من عرض منهجها بالعديد من النقاط الثرية، فقد استطعنا أن نتوصل من خلالها إلى ستة أبعاد اندرج تحتها اثنا عشر قطبًا، يحوى كل قطب منها العديد من المواقف السلوكية التى تفسر سلوك المرأة من زوايا متعددة. . ومن بين هذه الأبعاد الستة؛ ثلاثة أبعاد تم التوصل إليها من قبل من خلال التجربة الاستطلاعية، وظهورها مرة أخرى فى هذه التجربة إنما يدل على أنها أبعاد من الصلابة و الثبات إلى الحد الذى استطاعت به أن تستخلص مرة أخرى على الرغم من اختلاف مادة التحليل من جهة، واختلاف العامل الزمنى من جهة أخرى، وإن كان ورود المواقف السلوكية التى تندرج تحت هذه الأبعاد قد أصبح أكثر تواترًا، ويرجع ذلك إلى اتساع قاعدة التجربة الحالية التى تناولنا فيها بالتحليل ستة وثمانين قصة.

كما تم التوصل أيضًا إلى ثلاثة أبعاد جديدة لم تظهر من خلال التجربة الاستطلاعية من قبل، إلا أنه لوحظ ظهورها فى التجربة الحالية بالوزن والحجم الذى أتاح لمجموعات من المواقف السلوكية أن تكوّن بعدًا واضح المعالم يحْوى قطبين متباينين.

ومن الجدير بالذكر أن كل قطبين مشتركين فى بعد واحد كان يُعَدُّ كل قطب منها وكأنه مقلوب القطب الآخر، وكنا نلاحظ أن نفس المؤشرات أو العناصر

التى نحلل على أساسها أحد الأقطاب هى ذات المؤشرات أو العناصر التى نحلل مقلوبها على القطب الآخر، وأن كل قطب منها يدعم القطب الآخر الذى يمثل نهاية البعد، وكأننا أمام مادة رياضية ولسنا بصدد تحليلات كيفية تم استقاؤها من مادة قصصية بأسلوب تحليل المضمون.

وفيما يتعلق بالأبعاد التى تم التوصل إليها على مستوى التجربتين: الاستطلاعية والأساسية، فقد كانت هناك ثلاثة أبعاد، هى:

- البعد الممتد من السلبية إلى الإيجابية.
- البعد الممتد من الذاتية إلى الغيرية.
- البعد الممتد من العاطفية إلى العقلانية.

أما الأبعاد الثلاثة التى أضيفت إلى الأبعاد السابقة، والتى لم تظهر إلا من خلال مادة التجربة الأساسية، فقد جاءت كالتالى:

- البعد الممتد من تغليب الحياة العملية إلى تغليب الحياة الأسرية.
- البعد الممتد من التسامح إلى الرغبة فى الانتقام.
- البعد الممتد من العصرية أو التقدمية إلى المحافظة أو التقليدية.

• أولاً: بعد السلبية/ الإيجابية

وهو بعد ثنائى الأقطاب، يجمع بين السلبية الخالصة كطرف، وبين الإيجابية النفسية كطرف مقابل. وتتمثل السلبية فى صورة من يحتاج دائمًا إلى سند وعون من خارج الذات وليس من داخلها، وفيمن يتوقع أن تأتى المبادرات من غيره، وينصاع إلى الحلول التى تصدر عن الآخرين نظرًا لضعف القدرة على اتخاذ القرارات أو التفكير السليم فى الأمور. كما تتمثل أيضًا فى الضعف وعدم القدرة على مواجهة المشكلات الصعبة أو غير المتوقعة، والفشل فى التكيف السليم معها.

فى حين يتمثل قطب الإيجابية فى الاستقلال الشخصى والاستغناء عن مساعدات الآخرين، والقدرة على التصدى للأمور، ومواجهة المواقف دون انتظار لمبادرات خارجية، أو انسياق وراء حلول مستمرة من الغير، كما أنها تتضمن أيضًا القدرة على اتخاذ القرارات بأسلوب إرادى فعال يتسم بالفعالية والحسم.

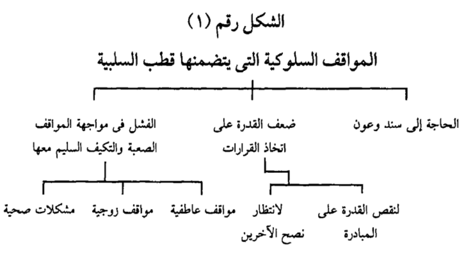
١- قطب السلبية

إذا تناولنا بالفحص القصص الستة والثمانين التى كانت موضوعًا لدراستنا، مُرَكِّزِينَ من خلالها على قطب السلبية، لوجدنا أن السلوك السلبى للمرأة قد ظهر ثمانٍ وعشرين مرة على مستوى التحليلات الثلاثة، فتناولته خمسة موضوعات رئيسةٍ، وخمسة محاور أساسية، وثمانية عشر عنصرًا تفصيليًّا اندرجت جميعها تحت قطب السلبية.

وإذا قمنا بمحاولة تشريحية لمفهوم السلبية وفقًا لتعريفنا له، ووفقًا للمواقف السلوكية التى اندرجت تحته، لوجدنا أنه يتضمن ثلاثة جوانب يوضحها الشكل رقم (١).

الشكل رقم (١)

المواقف السلوكية التى يتضمنها قطب السلبية



(أ) الحاجة إلى سند وعون

ظهر هذا الجانب من جوانب السلبية على مستوى التحليلات الثلاثة كمُعَبِّر

عن السلوك السلبى للمرأة، فقد توصلنا من خلال التحليلات المندرجة تحت هذا الجانب إلى أن المرأة قد صُوِّرَت على أنها تحتاج دائمًا إلى سند وعون الآخرين، كما صورت على أنها تتوقع دائمًا أن يتمثل هذا العون فى شخص الرجل، ويبدو أن هذا الاتجاه فى قصص الصحافة النسائية له وزنه وأهميته إلى الحد الذى أظهره من قبل على مستوى الثمانى والعشرين قصة التى تناولناها بالتحليل فى التجربة الاستطلاعية التى سبقت الإشارة إليها.

ويتضح من تحليلاتنا أيضًا أن الرجل الذى تعتبره المرأة عائلها هو الزوج ـ إذا كانت متزوجة.. ولكن يبدو أن الحاجة إلى العون والسند لا تتمثل فى الزوج فقط، إذ تصور القصص الفتاة غير المتزوجة فى صورة من يبحث عن هذا السند فى أى رجل يحيط بها، سواء كان هذا الرجل أبًا أو أخًا أو صديقًا أو زميلاً أو حتى جارًا!

وتذهب قصصنا المحلَّلة إلى أبعد من ذلك حينما تصور المرأة فى حاجة إلى الرجل بوجه عام، أيًّا كان هذا الرجل، ودون تحديد لهويته، فهو الذى يمثل بالنسبة لها المعين والراعى والمتحمل لكافة مسئولياتها.

(ب) ضعف القدرة على المبادرة واتخاذ القرارات

ويظهر هذا الجانب من جوانب السلبية على مستويات التحليل الثلاثة أيضًا، ولكنه يتضمن اتجاهين مختلفين.. يتجلى الاتجاه الأول فى ضعف القدرة على المبادرة، ويظهر الثانى من خلال انتشار النصح والإرشاد، وتوقع اتخاذ القرارات من شخص خارجى.

وفيما يتعلق بالاتجاه الأول، فقد صُوِّرَتْ المرأة على أنها شخص تنقصه القدرة على اتخاذ موقف يتسم بالمبادرة.. ولكن تلك القدرة الضعيفة على المبادرة قد ظهرت بشكل واضح من خلال سلوك الفتاة التى تمر بخبرة عاطفية مع شخص من الجنس الآخر، وفى جميع القصص التى تعرضت لهذا الموقف

ظهرت فيها المرأة فى شكل الشخص الذى لا يستطيع التعبير عن مشاعره ولا يملك القدرة على ذلك، وينتظر المبادرة من شخص الطرف الآخر. وفى هذا نضرب مثلاً بأحد التحليلات الذى يذهب أحد عناصره إلى أن الفتاة إذا أحبت فإنها تتوقع ممن تحب أن يصارحها بحبه.

أما الاتجاه الآخر ـ الذى يتناول عدم القدرة على اتخاذ القرارات ـ فقد ظهر على مستويات التحليل الثلاثة، وأخذ طابعًا آخر يتمثل فى النظر إلى الوالدين ـ على وجه الخصوص ـ على أنهما صاحبا القرار فيما يتعلق بحياة الفتاة ومستقبلها، وقد يرجع ذلك ليس فقط إلى ضعف القدرة على اتخاذ القرار، وإنما قد يرجع أيضًا إلى تعوّد الفتاة على احترام آراء الوالدين، وخاصة فيما يتعلق بمستقبل الفتاة وحياتها الزوجية. وتأخذ الموضوعات الرئيسة والمحاور الأساسية والعناصر التفصيلية مسارًا واحدًا فى تصوير المرأة بمظهر غير القادر على اتخاذ القرار، وترسم لنا فى بعض المجالات صورة أشد تطرفًا تظهر من خلال اعتماد الفتاة فى اتخاذها لقراراتها على والدها حتى بعد وفاته!

(جـ) عدم القدرة على مواجهة المشكلات والفشل فى التكيف السليم معها

ويعبر هذا الجانب عن شكل ثالث من أشكال السلبية يظهر من خلال ضعف القدرة على مواجهة المشكلات وحسن التكيف معها، وقد لمست المشكلات التى تفشل المرأة فى مواجهتها مشكلات تتعلق بحياتها الزوجية التى غالبًا ما تعالجها المرأة معالجة خاطئة، فالمرأة التى يخونها زوجها ترد له الصاع صاعين، فتنجذب إلى رجال آخرين.. والمرأة التى تتأزم ظروف حياتها مع زوجها تترك له البيت والأبناء هاربةً من حل مشكلاتها.

أما الفتاة التى تختار شريك حياتها فيوقعها أحيانًا سوء تصرفها فى مشكلات تعجز عن حلها وتعرضها للكثير من الخبرات الفاشلة. كذلك فى مواجهة

مشكلات مرضها نجدها ترتكب حماقات، فتلجأ إلى العرافين وقارئى الفنجان إذا فشل الأطباء فى علاجها.

٢- قطب الإيجابية

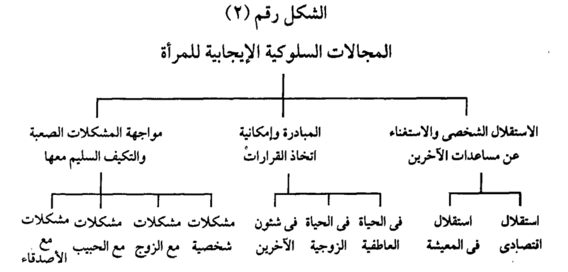
يعد قطب الإيجابية نهاية متصل بعد السلبية ـ الإيجابية، كما يعد إلى حد كبير مقلوبًا لقطب السلبية (إن صح هذا التعبير). وقد ظهرت المواقف السلوكية التى تندرج تحت هذا القطب على مستويات تحليلنا ثلاثًا وسبعين مرة، فورد فى أحد عشر موضوعًا رئيسًا، وفى اثنين وعشرين محورًا أساسيًا، وفى أربعين عنصرًا تفصيليًا.

وكما كان لقطب السلبية ثلاثة مجالات فسرنا من خلالها المواقف السلبية، فقد تبين لنا أيضًا وجود مجالات ثلاث تفسر المواقف الإيجابية للمرأة.

ومن خلال التعريف الذى اعتمدنا عليه، استطعنا أن نحدد المواقف السلوكية الإيجابية للمرأة فى ثلاثة مجالات يوضحها شكل رقم (٢).

الشكل رقم (٢)

المجالات السلوكية الإيجابية للمرأة



(أ) الاستقلال الشخصى والاستغناء عن مساعدات الآخرين

ظهرت لنا المواقف السلوكية التى تعبر عن هذا الجانب على مستوى

التحليلات الثلاثة، وقد بدا ذلك الاستقلال فى أكثر من جانب من جوانب حياة المرأة، ففى جانب منه صُوِّرَت المرأة أنها تسعى إلى استقلالها الاقتصادى فى إطار تأكيدها لشخصيتها المستقلة، وفى جانب آخر صورت فى سعيها إلى الاستقلالية بحياتها الخاصة بعيدًا عن الآخرين، ومن جانب ثالث بدت كمن يرفض استشارة أحد فى شئون حياتها الخاصة. ويبدو أن هذا النوع من الاستقلال ـ على وجه الخصوص ـ قد ارتبط بالنضج العمرى أو بتراكم الخبرات المختلفة، فنلاحظ من القصص التى تعرضت لفكرة رفض المرأة إقحام مشكلاتها على الآخرين أن جميع تلك التحليلات قد ورت فى إطار حياة المرأة المتزوجة، ولم تعرض للفتاة غير المتزوجة التى تستسهل بناء حياتها العلمية والعملية، أو الزوجية التى تحتاج فيها إلى معونة الآخرين فى رسم طريق حياتها ـ كما عرضنا لذلك من خلال قطب السلبية.

ومما يلفت النظر فى هذا الجانب أن عمل المرأة واستقلالها الاقتصادى والشخصى قد جاء كما لو كان مؤيدًا من تلك القصص، وهذا يختلف عما توصلنا إليه من نتائج فى الدراسة الاستطلاعية التى صورت فيها المرأة العاملة المكافحة المستقلة كمخلوق أنانى يسعى إلى مصلحته الشخصية على حساب مصلحة الزوج والأبناء والحياة الأسرية.

(ب) القدرة على المبادرة واتخاذ القرارات بشكل إرادى فعال

وتنقسم المواقف السلوكية التى تندرج تحت هذا الجانب إلى ثلاثة مجالات فرعية: فجانب منها يتناول مبادرة الفتاة مع من تحب، واتخاذها للقرار فيما يتعلق بحياتها العاطفية، وفى هذا المجال تصور المرأة فى صورة الشخص القوى الذى يحدد مسار حياته ويتخذ قراراته المصيرية بأسلوب إرادى فعال، تاركًا نصائح الآخرين وتوجيهاتهم جانبًا.

ثم نجدها من جانب آخر متخذة للقرار فيما يتعلق بشئون حياتها الزوجية: فى علاقتها بزوجها وبشئون حياتها الأسرية، وهنا تتضح أمامنا صورة للزوجة التى ترفض البقاء مع زوجها إذا تركها أو أهملها، أو أساء معاملتها، أو أقام علاقة

بغيرها، أو شك فى إخلاصها له. ثم صورة أخرى للمرأة التى تتمسك بحياتها الزوجية وتبذل الجهد من أجل الاحتفاظ بالزوج.

ومن جانب ثالث تتضح أمامنا صورة للمرأة المبادِرة المتخذة للقرار خارج نطاق حياتها الشخصية - عاطفية كانت أم أسرية - وفيما يتعلق بالإسهام فى حل مشكلات الآخرين، وهنا تبدو إيجابيةً مبادِرة مع الآباء والزوج والأبناء والأحفاد، وحتى الصديقات والجارات. ولا يقتصر الأمر عند هذا الحد، بل تذهب بعض القصص إلى مجالات أبعد من ذلك؛ فتصور المرأة فى صورة من يتصدى للدفاع عن حقوق بنات جنسها.

(جـ) مواجهة المشكلات الصعبة والتكيف السليم معها

وفى إطار الإيجابية أيضًا نجد الجانب الثالث الذى تظهر المرأة من خلاله فى صورة الشخص الإيجابى الفعال، وهو جانب مواجهة المشكلات الصعبة والتكيف السليم معها. وفى هذا الجانب يبدو السلوك الإيجابى للمرأة فى مواجهة أربعة أنواع من المشكلات تتركز فى:

(أ) مواجهة مشكلاتها الشخصية.. وهنا تبدو المرأة غير محتاجة إلى معاونة الآخرين، وتملك من حسن التصرف ما يعينها على حل مشكلاتها والتصدى لها.

(ب) مواجهة مشكلات زوجها.. وهنا نجدها تقوم بدور المساعد إذا تعرض مركزه المالى أو العملى أو الأدبى للخطر.

(جـ) مواجهة مشكلات من تحب.. وهى لا تتوانى فى هذا المجال عن مساعدته وتوجيهه إذا تعرض مستقبله للانحراف، أو مبادئه التى اختارته من أجلها للتغير تحت أى إغراء.

(د) مواجهة مشكلات الصديقات وتقديم العون والمساعدة، والقيام بدور الناصح الأمين، والقيام بمهمة الحماية للصديقات فى موقف يدعو إلى التحرك السريع.

● ثانياً: بعد الذاتية.الغيرية

ويمتد هذا البعد على متصل يبدأ بقطب الذاتية، ونعنى به التركيز حول الذات فى الأحكام وفى وجهة النظر والاهتمام بالمصلحة الشخصية، بصرف النظر عن مصلحة الآخرين.. وينتهى هذا المتصل على الجانب الآخر بقطب الغيرية الذى يظهر من خلال المنح والعطاء حتى إذا تعارض ذلك مع المصلحة الذاتية.. فتركيز الشخص لا يكون حول الذات بقدر ما يكون حول الآخرين.

١ - قطب الذاتية

جاءت المواقف السلوكية التى اندرجت تحت قطب الذاتية أقل ورودًا من المواقف السلوكية المندرجة تحت قطب الغيرية، ويبدو أن طبيعة المرأة فى أذهان كتاب القصص لا تتلاءم والسلوك الذاتى، فقد وردت المواقف السلوكية الذاتية فى قصصنا المحللة عشرين مرة، فى حين وردت المواقف السلوكية الغيرية أربعة وأربعين مرة على مستويات التحليل الثلاثة بالنسبة للقطبين.

وفيما يتعلق بقطب الذاتية، فتشير مادتنا المحللة إلى وجود أكثر من مجال للسلوك الذاتى للمرأة، فهناك السلوك الذاتى فى العلاقة بالأبناء، ثم السلوك الذاتى فى العلاقة بالزوج، وفى مجال الحياة العاطفية.

إلا أن السلوك الذاتى فى العلاقة بالأبناء جاء أضعف الجوانب المعروضة وأقلها وزنًا استنادًا إلى عدد القصص القليل الذى تضمنه هذا العنوان الفرعى، ويبدو أنه من الأمور غير الطبيعية أن تكون الأم ذاتية فى علاقتها بأبنائها، فقد أسفر فحصنا لهذا الجانب بالذات أنه لم يرد فى قصصنا المحللة إلا ثلاث مرات على مستوى التحليل ككل.

أما عن سلوك المرأة الذاتى فى علاقتها بالزوج؛ فينشأ عن محاولة استقطابه إلى جانبها والاستحواز عليه، وما يترتب على ذلك من إثارة انفعال الغيرة إذا انصرف الزوج بوقته أو بعواطفه أو اهتمامه إلى موضوع آخر، فهى تضيق به إذا أعطى حياته العملية الاعتبار الأول فى حياته، أو إذا انصرف عنها إلى امرأة

أخرى، أو حتى إذا شعرت بأنه يتحمل فراقها. . كذلك فهى تبدو أكثر ذاتية عندما تضيق به إذا طال مرضه أو إذا فشل فى إسعادها.

وفيما يتعلق بسلوك المرأة الذاتى فى مجال العلاقة العاطفية فيبدو فى مجالين، أولهما: تتفق فيه مع الزوجة، فالحبيبة أو الخطيبة يضايقها هى الأخرى أن ينشغل عنها من تحب بموضوع آخر أو بشخص آخر، وفى هذا الإطار تصور القصص أيضًا نموذجًا آخر من النساء يسعى إلى لفت الانتباه وجذب الأنظار فى كل مكان يذهب إليه.

أما المجال الآخر فيبدو من خلال محاولة الفتاة أن تضع من تحب أو من سترتبط به بالزواج فى قالب ترضى عنه ويتلاءم ووضعها الاجتماعى والاقتصادى، متغافلةً عن رغبته الذاتية أو كيانه الشخصى.

٢- قطب الغيرية

كما ذكرنا آنفًا، فقد ظهر هذا القطب بتكثيف يزيد عن ضعف قطب الذاتية الذى يمثل بداية المتصل، حيث ظهر على مستويات التحليل الثلاثة، فتناولته عشر موضوعات رئيسة وعشرون محورًا أساسيًّا وأربعة وعشرون عنصرًا تفصيليًّا، ولم يقتصر قراء هذا القطب على تكرار وروده فقط، بل إنه أضاف أيضًا إلى المواقف السلوكية الثلاث السابقة (العلاقة بالأبناء، العلاقة بالزوج، مجال الحياة العاطفية) مجالاً آخر هو السلوك الغيرى فى العلاقة بالوالدين.

وعلى العكس مما توصلنا إليه فى قطب الذاتية من ضآلة عدد القصص التى تعرضت لذاتية المرأة فى علاقتها بالأبناء، نجد أن هذا الاتجاه قد ظهر واضحًا فى قطب الغيرية، وقد أسفر فحصنا للموضوعات الرئيسة فى هذا الجانب عن وجود ستة موضوعات تناولت السلوك الغيرى للأم من بين عشر موضوعات رئيسة تناولها هذا القطب، أى بنسبة ٦٠٪.

وفى هذا الإطار نجد الأم وكأنها تعيش من خلال أبنائها، فهى تتلهف عليهم إذا مرضوا أو غابوا، بل إنها تتعاطف مع أى صغير ترى فيه أبناءها. . كذلك إذا

توفى عنها زوجها أو تركها فهى تضحى بحياتها من أجل تربيتهم وإسعادهم. ثم تذهب بعض القصص إلى أبعد من ذلك، فتقدم صورة للمرأة التى تضحى بحياتها الزوجية إذا تعارضت تلك الحياة مع سعادة أو مستقبل الأبناء، ومن جهة أخرى فقد تتحمل حياة شاقة وتعيش مع زوج لا يقدر المسئولية أو أعباء الحياة الزوجية إذا كان ذلك من مصلحة الأبناء، أو إذا كان انفصالها عنه يضر بمصلحتهم. هذا. . وتمتلئ المواقف السلوكية المتعلقة بغيرية الأم فى علاقتها بأبنائها بالمواقف الإنسانية الثرية التى تحفل بها جداول الدراسة الأساسية.

وفى إطار العلاقة بالزوج؛ يظهر أيضًا السلوك الغيرى للمرأة، ولكنه يظهر أقل وضوحًا وتواترًا مما ظهر به من خلال السلوك الغيرى للمرأة فى علاقتها بالأبناء، إلا أنه يقدم لنا منظورًا جديدًا للسلوك الغيرى يتلاءم وعلاقتها بالزوج، فهى من ناحية تتوحد معه فى كيان واحد، فنجاحه يسعدها ويعد مصدر فخر لها، وتزهو به إذا حقق من النجاح ما لم يستطع أن يحققه غيره. . ومن ناحية أخرى تتعاطف معه فى مشكلاته فتمد له يد العون والمشاركة إذا اقتضى الأمر ذلك.

كما أننا نجدها ـ حتى فى محاولتها الانفصال عنه والارتباط بشخص جديد لأنها لا تتجاوب معه ـ نجدها تضع مشاعره ومصالحه نصب عينيها لكى لا تسبب له ألمًا. كما نجدها مخلصة لذكراه إذا توفى، أو إذا اقتضته الظروف الانفصال عنها.

ولا يختلف الأمر كثيرًا فى مجال الحياة العاطفية للفتاة، فنجدها مضحية بمشاعرها إذا كان من تحب متزوجًا، تاركة من تحب لأبنائه وزوجته. . كما نجدها مخلصة للعهد الذى ارتبطت به مع من تحب إذا لم يقدر لها أن ترتبط به.

وفى إطار السلوك الغيرى فى العلاقة بالوالدين؛ تقدم لنا قصصنا المحللة صورة للفتاة المكافحة المضحية التى تهب نفسها ومالها لمساعدة أسرتها، كما أنها تقف إلى جوار الأم إذا اكتشفت خيانة الأب لها، كما تقف إلى جوار الأب إذا تعرضت حياته أو كيانه للخطر. . وهى فى ذلك كله تقف موقف المضحى بذاته وبمصالحه الشخصية من أجل الآخرين.

ولا يتوقف سلوك المرأة الغيرى عند المجالات المذكورة آنفًا، بل نجد مجالات أخرى للسلوك الغيرى، إلا أنها ظهرت بنسب ضئيلة. . فقد بدت غيرية مهتمة بمشكلات صديقاتها، كما يبدو سلوكها الغيرى فى تعاطفها مع مشكلات وطنها، فتكرس جهودها ومالها لتحرير وطنها، كما تتراجع عن أسلوب حياتها الخاطئ لتستعد لخدمة وطنها أثناء العدوان عليه.

كما صورت بعض القصص أيضًا المرأة على أنها تتميز بالسلوك الغيرى بوجه عام، ولكن ذلك لم يظهر إلا على مستوى العناصر فقط، فنجد أن الفتاة تعطى من نفسها وجهدها لكل من يقصدها.

• ثالثًا: بعد الانفعالية.العقلانية

وهو أيضًا بعد ثنائى الأقطاب، يمتد على متصل يبدأ من الانفعالية المتطرفة وينتهى بالعقلانية التامة. ويقصد بقطب الانفعالية الإشارة إلى السلوك المبنى على المشاعر الوجدانية تجاه الآخرين، أو المواقف المختلفة والإغراق فى هذه المشاعر والسلوك وفقًا لها، مع إغفال العوامل الموضوعية، وعدم القدرة على تخطى الموقف الانفعالى أو التمييز بين الاعتبارات الواقعية.

وعلى النقيض من ذلك يأتى قطب العقلانية، ونعنى به القدرة على التعامل أو السلوك فى ضوء العوامل الموضوعية والمنطق، مع النظر إلى الذات باعتبارها عنصرًا أو متغيرًا ينظر له من الخارج، مع محاولة استبعاد وتخطى الحالة الوجدانية الخاصة.

ويعد بعد العقلانية ـ الانفعالية من الأبعاد التى كان لها فى بحثنا الحالى وعلى مستوى التجربتين، الاستطلاعية والأساسية، قدر لا بأس به من الثبات، فقد ظهر بوزن يعتد به فى التجربتين المشار إليهما وعلى المستويات الثلاثة للتحليل، وتجب الإشارة هنا إلى أن قطب العقلانية ـ والذى يمثل بداية البعد أو القطب الإيجابى منه ـ كان أقل ورودًا إذا قيس بقطب الانفعالية الذى يعد نهاية هذا البعد أو القطب السلبى منه، وهى نفس النتيجة التى توصلنا إليها فى تجربتنا الاستطلاعية.

فإذا استعرضنا جداول تحليل قطب العقلانية بمستوياتها الثلاثة، لوجدنا أن السلوك العقلانى للمرأة قد ورد خمسًا وعشرين مرة، فكان موضوعًا رئيسًا لثلاث قصص، فى حين ورد فى محورين أساسيين وفى عشرين عنصراً تفصيليًّا.

فى حين أننا إذا انتقلنا إلى قطب الانفعالية للاحظنا مدى الثراء الذى بدا من عدد مرات ورود السلوك الانفعالى للمرأة على مستويات التحليل الثلاثة، والتى بلغت ثلاثة وخمسين موقفًا سلوكيًّا، فكان السلوك الانفعالى موضوعًا رئيسًا لعشرة قصص، فى حين لاحظناه من خلال اثنى عشر محورًا وواحدًا وثلاثين عنصرًا تفصيليًّا، ومن خلال فحصنا لجداول قطب العقلانية وقطب الانفعالية، استطعنا أن نتوسم فئات سلوكية كبرى يمكننا أن نفسر مادتنا من خلالها، ويلاحظ فى ذلك أن المواقف السلوكية التى توسمناها فى قطب العقلانية تعد مواقف مضادة للمواقف السلوكية المتعلقة بقطب الانفعالية، فأمامنا فى قطب العقلانية:

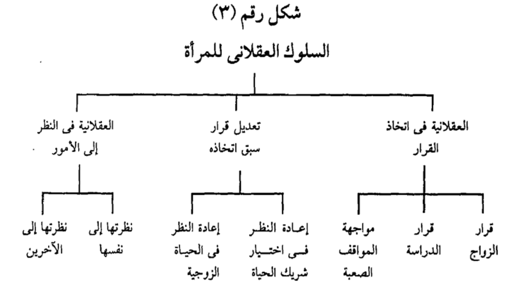
أولاً: السلوك العقلانى للمرأة فى موقف اتخاذها للقرار.

ثانيًا: السلوك العقلانى للمرأة فى موقف تعديلها لقرار سبق اتخاذه.

ثالثًا: السلوك العقلانى للمرأة فى النظر إلى الأمور بوجه عام (انظر شكل رقم ٣).

شكل رقم (٣)

السلوك العقلانى للمرأة



يقابل هذه المواقف السلوكية التى تظهر عقلانية المرأة، مواقف سلوكية أخرى تنم عن انفعالها، ويمكن استقراؤها من خلال جداول تحليل قطب الانفعالية التى تمثلت فى:

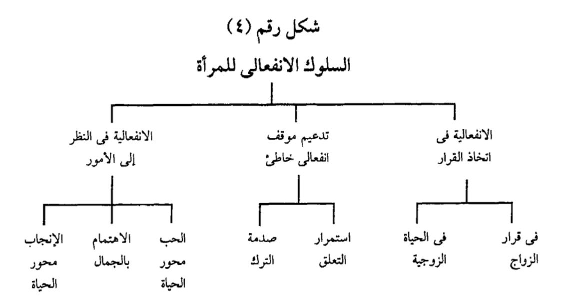
أولاً: السلوك الانفعالى للمرأة فى موقف اتخاذها للقرار.

ثانيًا: استمرار المرأة فى تدعيم موقف انفعالى خاطئ، وعدم قدرتها على تعديله أو التكيف مع الموقف الجديد.

ثالثًا: السلوك الانفعالى للمرأة فى النظر إلى الأمور بوجه عام.

شكل رقم (٤)

السلوك الانفعالى للمرأة



١- قطب العقلانية

(أ) السلوك العقلانى للمرأة فى موقف اتخاذها للقرار

لوحظ أن قدرة المرأة على اتخاذ قرار عقلانى فى شأن حياتها قد ورد عشرة مرات على مستويات التحليل الثلاثة، ولكن بفحصنا لنوع القرارات التى اتخذتها المرأة توصلنا إلى أن النسبة الغالبة فيها - والتى تبلغ ٧٠٪ من عدد القصص التى وردت تحت هذا البند - كان القرار العقلانى الذى اتخذ يتعلق بحياة الفتاة المستقبلة وفى اختيارها لشريك الحياة، مما يوضح أمامنا أن قرار

الزواج يعد من أهم القرارات التى تتخذها المرأة فى سنى حياتها. . فنجد فى هذا صورة للفتاة التى ترفض كل من يتقدم من الشبان ليتزوجها لعدم اقتناعها بهم، حتى تجد من يرضى طموحها أو من يتناسب معها عقليًا وماديًا وعاطفيًا.

ونجد صورة أخرى للفتاة التى ترفض أن تبدأ حياة زوجية مع من تحب فى جو محفوف بالمشاكل، ثم نجد صورة لمن تؤجل الحكم على مشاعرها العاطفية حتى تتبلور هذه المشاعر. وعلى صعيد آخر نجد أنواعًا أخرى من القرارات التى تقوم المرأة باتخاذها، ولكنها تبدو أقل أهمية لندرة ظهورها فى قصصنا المحللة، إلا أننا ـ على أى الأحوال ـ لم نجد من بينها قرارات تتعلق بموقف علمى أو مهنى، أو قرار يمس مستقبل أبنائها، أو حتى الاشتراك مع الزوج فى اتخاذ قرار مشترك يمس حياتهما معًا، أو غير ذلك من المواقف التى تواجه الفرد فى حياته العادية.

(ب) السلوك العقلانى للمرأة فى تعديل قرار سبق اتخاذه

من المواقف السلوكية التى ظهرت من خلال قطب العقلانية أيضًا: سلوك المرأة فى رجوعها عن قرار اكتشفت من خلال الممارسة أنه كان قرارًا خاطئًا، وتتلخص المواقف السلوكية المعبرة عن هذا الجانب فى فئتين، تعيد أمامنا الفئة الأولى من جديد قضيه اختيار شريك الحياة، فى حين تظهر الفئة الثانية من خلال إعادة النظر فى أمر الحياة الزوجية التى ثبت مع الزمن فشلها. وهنا تظهر أمامنا صورة الفتاة أو الخطيبة التى تبتعد عمن كانت سترتبط به من قبل لاكتشافها عيبًا به، أو لتعلقها بشخص آخر، أو لاكتشافها اختلافًا فى ميولهما أو اهتماماتهما فى ضوء إعادة تقييمها لحياتها المستقبلة فى إطار هذا التغير الجديد. كما نجد أيضًا موقفًا يبدو أكثر صعوبة؛ يظهر من خلال رغبة الزوجة فى الانفصال عن زوجها برغم ما بينهما من حياة مشتركة، لإدراكها فشل حياتهما الزوجية.

(جـ) السلوك العقلانى للمرأة فى نظرتها إلى الأمور بوجه عام

بالإضافة إلى الفئتين السلوكيتين اللتين سبق الحديث عنهما، واللتين ظهرتا بشكل محدود، فقد وضعت مواقف سلوكية أخرى تعبر عن نظرة المرأة العقلانية إلى الأمور بوجه عام، فهى من ناحية عقلانية فى سلوكها العام، مسيطرة على انفعالاتها، متحكمة فى عواطفها إزاء المواقف الصعبة، تتميز أحكامها على الأمور بالتعقل والاتزان. . وهى من ناحية أخرى تعيب على الأشخاص الآخرين الاستغراق فى المواقف الانفعالية التى تعطل أحكامهم العقلانية، وتؤدى بهم إلى الحكم على الأمور من منظور خاطئ.

٢- قطب الانفعالية

إذا تحركنا على المتصل الذى يمتد من العقلانية حتى قطبها الآخر ـ الانفعالية ـ لاستطعنا أن نفسر مادة هذا القطب وفق المؤشرات الثلاثة الكبرى التى تحدثنا عنها من قبل، والتى تقابل المؤشرات الثلاثة للعقلانية، والتى كان الموقف الأول منها هو السلوك الانفعالى للمرأة فى موقف اتخاذها للقرار. ويعطينا هذا المؤشر جانبين للسلوك الانفعالى للمرأة، يبدو أولهما فى السلوك الانفعالى للفتاة فى موقف اختيارها لشريك الحياة، حيث نجد أن الفتاة حين اتخاذها لقرار اختيار شريك الحياة تتحكم فيها درجة عالية من الانفعالية، وتؤثر عليها عناصر غير موضوعية فى اختياره، ويبدو ثانيهما، وهو السلوك الانفعالى للزوجة، فى مواقفها السلوكية التى تظهر من خلال حياتها الزوجية. . وفى كلا الموقفين تبرز القصص المحللة قيمة الحب فى حياة المرأة الذى تسعى إليه جاهدة، فإن وجدته ضحت من أجله بالكثير، وإن لم تجده استغرقتها أحلام الحب مع محبين وهميين.

ثم يطالعنا المؤشر الثانى الذى يظهر من خلال استمرار المرأة فى تدعيم موقف انفعالى خاطئ، وعدم قدرتها عن تعديله أو التكيف السليم مع الموقف الجديد. وتعطينا قصصنا المحللة فى هذا الصدد مجموعتين متميزتين من المواقف السلوكية، تتمثل المجموعة الأولى فى استمرار تعلق المرأة بشخص

من تحب، سواء كانت متزوجة أو غير متزوجة، نتيجة لثقة بلا حدود توليها المرأة لشخص تعلقت به. فى حين توضح مجموعة المواقف السلوكية الثانية الصدمة العنيفة التى تتلقاها المرأة من شخص علقت عليه آمالها وقرر تركها أو انشغل عنها بشخص آخر.

تم تقدم لنا قصصنا المحللة المؤشر الثالث الذى قدمناه فى بداية هذا الجزء، وهو السلوك الانفعالى للمرأة بوجه عام. ونجد فى هذا الصدد بعض المواقف التى تشير إلى طبيعة المرأة كما قدمها كتاب القصص، ومنها اعتبار الحب وكأنه شيء أساسى فى حياتها تسلك سعيًا إليه دائمًا، فإذا وفقت فيه تحولت حياتها إلى سعادة، وإذا فشلت انقلبت هذه الحياة إلى شقاء، وهنا نجدها تنظر إلى الأمور بمنظار مظلم يؤثر على نظرتها إلى الأمور بوجه عام.

• رابعًا: بعد تغليب الحياة العملية. الحياة الأسرية

ونعنى بقطب تغليب الحياة العملية، والذى يمثل بداية البعد، حب العمل والاهتمام به، واعتباره ضرورة حيوية يتم عن طريقها تحقيق الذات، وصقل الشخصية، ورفع المكانة الاجتماعية، والوصول إلى الاستقلال الاقتصادى. فى حين نعنى بقطب تغليب الحياة الأسرية: الاهتمام الشديد بالبيت والحياة الأسرية، واعتبار الزواج والأمومة أسمى أهداف الحياة التى تتضاءل أمامهما أى أهداف أخرى.

١- قطب تغليب الحياة العملية

ويمثل هذا البعد إضافة إلى الأبعاد الثلاثة المقدمة فى الدراسة الاستطلاعية، حيث أن قطب تغليب الحياة العملية ـ على وجه الخصوص ـ لم يظهر من قبل بالوزن أو الحجم الذى ظهر به فى الدراسة الحالية، فقد وردت الإشارة إلى عمل المرأة مرتين فقط فى مستويات التحليل الثلاثة، وقد يرجع ذلك إمّا لاتساع قاعدة التجربة الأساسية التى تناولت بالتحليل ستًّا وثمانين قصة فى مقابل ثمان وعشرين قصة فى التجربة الاستطلاعية، أو قد يرجع إلى تغير حدث فى اتجاهات مؤلفى القصص.

وإذا فحصنا القصص المدرجة تحت قطب تغليب الحياة العملية، لوجدنا أن الإشارة إلى عمل المرأة قد وردت ثلاثًا وثلاثين مرة فى عينة القصص على مستويات التحليل الثلاثة، فوردت فى موضوعين رئيسين، وفى أحد عشر محورًا، وعشرين عنصرًا تفصيليًّا. كذلك وردت الإشارة إلى الحياة الأسرية ثلاثًا وثلاثين مرة على نفس مستويات التحليل، فوردت فى خمسة موضوعات رئيسة وخمسة محاور أساسية واثنين وعشرين عنصرًا تفصيليًّا، مما استوجب معه إقرار بعد خاص بهذا الجانب، وهو ما أسميناه تغليب الحياة العملية فى مقابل الحياة الأسرية.

على أن فحصنا لقطب تغليب الحياة العملية أوضح أنه يمكن دمج جميع القصص الواردة تحت قطب الحياة العملية فى فئتين كبيرتين: فئة الأسباب التى تدعو المرأة إلى العمل، وفئة النتائج التى أسفر عنها خروج المرأة إلى العمل.

(أ) فئة الأسباب التى تدعو المرأة إلى العمل

إذا بحثنا عن الأسباب التى تدفع المرأة إلى العمل؛ لوجدنا أنها تنحصر إما فى أسباب نفسية، كحدوث صدع أو خلل فى الحياة الأسرية مثل فشل الحياة الزوجية أو العاطفية، وفى تلك الظروف تحاول المرأة التغلب على ذلك بالاندماج الكامل فى العمل لمحاولة تعويض فشلها فى حياتها الأسرية.. أو تنحصر فى أسباب اقتصادية كفقدها للعائل الاقتصادى للأسرة عن طريق الانفصال أو الوفاة، أو لمحاولتها رفع مستواها الاقتصادى لانتمائها إلى طبقة اقتصادية أو اجتماعية متواضعة.

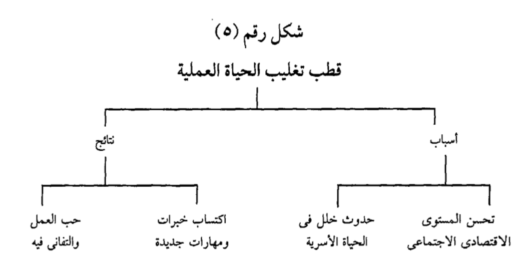
(أ) النتائج التى أسفر عنها خروج المرأة إلى العمل

وفى إطار النتائج التى أسفر عنها خروجها إلى العمل، تتضح أمامنا ثلاث نتائج هامة؛ يظهر أولها من خلال اكتسابها لمهارات جديدة من خلال انفتاحها على الآخرين وعلى خبرة العمل، مما يتيح أمامها فهمًا أعمق للآخرين وللظروف المحيطة بها، ويكسبها قدرة على الجمع بين العمل من جهة، ومسئوليات البيت

ورعاية الأبناء من جهة أخرى. وتظهر النتيجة الثانية من خلال حب العمل والإخلاص له والتفانى فى أدائه.

وتوضح قصصنا المحللة أيضًا نتيجة ثالثة لخروج المرأة إلى العمل، وهى فكرة أن خروجها للعمل لم يكن له فقط جانبه الإيجابى، بل له أيضًا جانبه السلبى، كالمشكلات التى تنشأ فى علاقتها بالزوج، والتى ترجع إلى استقلالها الاقتصادى من جانب، ولتواجدها لفترات منتظمة خارج البيت من جانب آخر.

ويوضح شكل (٥) المؤشرات التى تناولناها من خلال قطب تغليب الحياة العملية.



٢- قطب تغليب الحياة الأسرية

وكما استطعنا أن نقدم خريطة لشكل السلوك من خلال قطب تغليب الحياة العملية، نستطيع أن نقدم خريطة أخرى توضح أشكال السلوك داخل قطب تغليب الحياة الأسرية، ويتضح من خلاله فئتان رئيستان: الفئة الأولى، وهى تسليم موضوعات القصص المحللة بأن مكان المرأة هو البيت.. وثانيتهما، أنها لا تلجأ للعمل إلا كارهة. وتندرج تحت كل منهما نقاط تفصيلية.

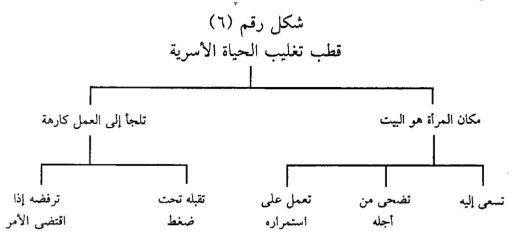
(أ) إذا استعرضنا الفئة الرئيسة الأولى التى تعرض لفكرة أن مكان المرأة هو

البيت، لوجدنا تركيزًا حول سعيها الدائم إلى هذا البيت وسعادتها ببنائه. . وينطبق ذلك على المرأة فى مواقعها المختلفة، مهما كانت درجة نجاحها أو طموحها، ويقدم لنا حبها الشديد للبيت مبررًا لتمسكها به وتضحيتها من أجله بأى طموح علمى أو عملى. ويبدو أن تضحيتها بالكثير من أجل بناء البيت الذى تسعى إليه دائمًا تجعلها أكثر تمسكًا به وحرصًا على استمراره وإزالة المعوقات من طريقه، تلك المعوقات التى تتمثل أولاً فى الاحتفاظ بالزوج الذى تثير فكرة فقده قلقها الشديد على كيان البيت، لذا فهى تحاول استرضاءه من أجل الاحتفاظ به، وتتمثل ثانيًا فى إنجاب الأبناء الذين يشكل عدم وجودهم تهديدًا كبيرًا لحياتها الزوجية وبيتها الذى جاهدت لبنائه والاحتفاظ به.

(ب) أما الفئة الثانية فتدور فى إطار أن المرأة لا تلجأ للعمل إلا كارهة، ويتناول الجانب الأول فى هذه الفئة إمكانية قبولها للعمل تحت ضغط الظروف التى تدفعها إلى ذلك، فى حين يتناول الجانب الثانى تركها للعمل غير آسفة عليه إذا تعارض ذلك مع مسئوليات بيتها وأبنائها، أو بهدف إرضاء الزوج. وكان الاعتبار الأول فى حياة المرأة هو البيت، فى حين يمثل العمل بالنسبة لها أمرًا عارضًا، تقبله إذا أكرهتها الظروف، وترفضه إذا تعارض مع حياتها الأسرية وإرضاء الزوج.

ويوضح الشكل رقم (٦) الفئات التى حلل على أساسها قطب تغليب الحياة الأسرية.

شكل رقم (٦)
قطب تغليب الحياة الأسرية



• خامساً: بعد التسامح.الرغبة في الانتقام

وهو بعد ثنائى الأقطاب، يمتد على متصل يبدأ بالتسامح الذى يتمثل فى بذل الذات من أجل الآخرين وتحمل أخطائهم والتغاضى عن عيوبهم فى إطارٍ من إنكار الذات ومراعاة مصلحة الآخرين، وينتهى بقطب الرغبة فى الانتقام الذى نقصد به السلوك المبنى على الحقد والكراهية والرغبة فى الانتقام، سواء كان سبب ذلك الانتقام من شخص معين، أو موقف على وجه التحديد قد سبّب إيلامًا معينًا لصاحبه.

ويعد هذا البعد أحد الأبعاد التى أضيفت فى هذه التجربة إلى الأبعاد الثلاثة التى تم التوصل إليها فى الدراسة الاستطلاعية، فظهر بقطبيه واضحًا محددًا على مستويات التحليل الثلاثة.

١ - قطب التسامح

ورد قطب التسامح إحدى وعشرين مرة على مستويات التحليل الثلاثة، فنلاحظه مرتين من خلال الموضوعات الرئيسة، وإحدى عشرة مرة على مستوى المحاور، وثمانى مرات على مستوى العناصر التفصيلية. . فى الوقت الذى ورد فيه قطب الرغبة فى الانتقام ثمانٍ وعشرين مرة، فكان موضوعًا رئيسًا لتسع قصص، فى حين كان محورًا أساسيًّا فى ثمانى قصص، وظهر إحدى عشرة مرة على مستوى العناصر التفصيلية.

ونستطيع أن نتناول بداية البعد ـ حيث قطب التسامح ـ من خلال ثلاثة مؤشرات: يتناول المؤشر الأول الشخص الذى تسلك معه المرأة متسامحة مضحية، وهنا تبرز شخصية الزوج من خلال المستويات الثلاثة للتحليل، فنجدها تتسامح معه وتعود إليه بعد انفصال لتقديرها لظروفه النفسية أو المادية القاسية، فتضاعف من رعايتها له متغاضية عن أسباب الخلاف أو الشقاق الذى كان بينهما، كما تظهر شخصية الأبناء كموضوع للتسامح، فنجد الأم ـ وكذلك

الحماة - تبدو فى صورة المتسامح دائمًا عن أخطاء الأبناء أو زوجاتهم أو أزواجهن من فرط حبها وتضحيتها من أجلهم. كما تبدو أمامنا أيضًا شخصية المحبوب كموضوع للتسامح، فتصور المرأة فى دور المحبة التى تغفر لحبيبها أخطاءه مهما كانت طبيعة تلك الأخطاء أو نوعيتها. كما تبدو أيضًا شخصية الوالدين أو من يقوم مقامهما كموضوع للتسامح أو التضحية.

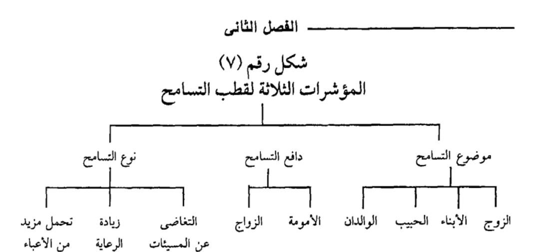
كما يتعرض المؤشر الثانى للدافع وراء سلوك التضحية أو التسامح، وهنا تتضح أمامنا الحياة الزوجية كهدف أساس من أهداف التسامح أو التضحية، فنجد المرأة تتسامح وتضحى من أجل الاحتفاظ بحياتها الزوجية وتتحمل المسئوليات، فتتغاضى عن سلوك زوجها وتصرفاته التى تضايقها أو شكوكها تجاهه لكى تستمر حياتها الزوجية معه.

ثم يأتى الحب بمعناه الواسع لكى يصبح دافعًا لسلوك التسامح أو التضحيه، فنجدها تغفر وتتسامح باسم الحب.

ثم يأتينا المؤشر الثالث ليقدم لنا طبيعة التسامح أو التضحية التى تقوم بها المرأة فى هذا المجال، فنجد مواقف سلوكية تندرج فى إطار التغاضى عن الشكوك والمسيئات، فالزوجة تنسى إساءة زوجها لها وتتغاضى عن سلوكه الذى يضايقها، بل إنها تعدل عن فكرة انتقامها منه برغم إصرارها من قبل على هذا الانتقام، كما أنها تغفر لأبنائها تقصيرهم فى حقها. وتبدو المرأة فى دور الحبيبة، فهى تعود متسامحة إلى من تحب فى موقف تعرضه للأزمات؛ ناسية تخليه عنها. كما تقوم الفتاة فى دور الابنة أيضًا بالتسامح مع والديها الذين أدى موقفهما المتشدد معها إلى أن تترك من تحب وترتبط بمن تقدم لها للزواج لتتحمل عنهما مزيدًا من الأعباء.

ويوضح الشكل رقم (٧) المؤشرات الثلاثة التى حلل على أساسها قطب التسامح أو التضحية.

شكل رقم (٧)
المؤشرات الثلاثة لقطب التسامح



٢- قطب الرغبة فى الانتقام

كما تناولنا قطب التسامح أو التضحية من خلال ثلاثة مؤشرات، سنتناول أيضًا قطب الرغبة فى الانتقام من خلال نفس المؤشرات، أو من خلال مقلوب قطب التسامح أو التضحية إن صح هذا التعبير، وهى: الشخص موضوع الانتقام، دافع الانتقام، الأسلوب المستخدم فى الانتقام.

إذا تعرضنا للمؤشر الأول الذى يتناول الشخص موضوع الانتقام، لوجدنا أنه كما كان الزوج يستحوز على نسبة كبيرة من الموضوعات المندرجة تحت قطب التسامح، والذى أظهر أمامنا أن تسامح المرأة يتجلى أساسًا من خلال علاقتها بالزوج، لوجدنا أن هذا الزوج الذى تضحى المرأة من أجله وتتسامح معه هو نفسه الشخص الذى يستحوز على نسبة كبيرة من الموضوعات والمحاور والعناصر التى تمثل قطب الانتقام، وكان الزوج يعد محور حياة المرأة المتزوجة كما صوره كُتّاب القصص. وتعد شخصية الحبيب أو الخطيب هى الشخصية الثانية التى تتفاعل معها المرأة فى موقف الانتقام.. وعلى الرغم من أن شخصية الحبيب أو الخطيب قد ظهرت أقل ورودًا من شخصية الزوج، إلا أننا نلاحظ أنها استحوزت على وزن غير قليل، فقد ظهرت المرأة فى سلوك الشخص المنتقم من الحبيب أو الخطيب فى نسبة ٣٠٪ من الموضوعات الرئيسة، فى حين ظهرت فى نسبة ٢٥٪ من المحاور الأساسية، كما ظهرت فى حوالى ١٨٪ من خلال العناصر التفصيلية.

ومن جانب آخر نجد من خلال هذا القطب أيضًا محاولة المرأة، سواء فى موقع الزوجة أو الحبيبة أو الخطيبة، الانتقام من غريمتها التى سلبتها من تحب، ولكنها لا تجد تحقيقًا لتلك الفكرة إلا على مستوى العناصر التفصيلية.

ونكاد لا نجد شخصيات أخرى تظهر المرأة فى علاقة تفاعلية منتقمة منها إلا شخصية الأب، ويبدو ذلك أمرًا غير طبيعى، ولكننا إذا وضعناه فى إطاره الصحيح لاستطعنا أن نجد له مبررًا.. فالفتاة فى القصة التى ظهرت فيها فى دور المنتقم من أبيها تنتقم منه لفرط تعلقها وتعاطفها مع الأم التى تعتبر أن العدوان عليها عدوان على كيانها الشخصى.

وإذا انتقلنا إلى المؤشر الثانى الذى تنظم مادة هذا القطب من خلاله وهو دافع الانتقام، لوجدنا سببين رئيسين يدفعان المرأة إلى الانتقام؛ السبب الأول هو خيانة الطرف الآخر، ويستوى فى ذلك إن كان ذلك الشخص زوجًا أو خطيبًا أو حبيبًا، والسبب الثانى هو انفصال الطرف الآخر عنها والارتباط بامرأة أخرى.

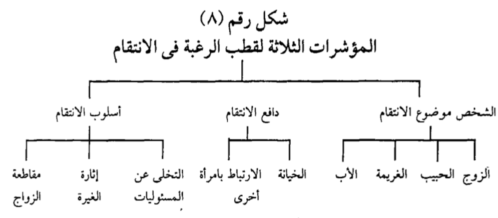
وإذا فحصنا الأسباب التى تكمن وراء هذين الدافعين لوجدنا أنها جميعًا لا تخرج عن إحساس المرأة بأنها تركت إلى غيرها، وأنها وضعت فى موقع المفاضلة بينها وبين امرأة أخرى ورجحت كفة المرأة الأخرى، وهنا لا تتوانى عن الانتقام كنوع من الدفاع عن النفس ومقاومة تهديد الذات، ورغبة فى الاحتفاظ بشريك الحياة أو بمن تريده أن يكون شريكًا للحياة.

ويؤدى بنا مؤشر الدافع إلى الانتقام إلى المؤشر الثالث، وهو أسلوب الانتقام.. وهنا نجد أن المرأة تلجأ إلى أكثر من أسلوب تعبر به عن انتقامها، فهى إذا كانت زوجة وأمًّا فهى تعلم جيدًا أنها تقوم بدور إيجابى فعال فى تحمل مسئوليات الأسرة وتربية الأبناء وإراحة الزوج من عناء تحمل كل هذه المسئوليات، فلا تجد أمامها من سلوك انتقامى تتبعه إزاء الزوج الذى يخونها أو يتركها أو الذى يفكر فى الارتباط بغيرها إلا إعلان العصيان والتمرد على الحياة الأسرية بكل ما فيها ومن فيها، فهى فى انتقامها هذا لا تتخلى عن مسئوليات بيتها

فقط، ولكن يصل بها الأمر إلى التخلى عن مسئوليات رعاية أبنائها أيضًا، مقررةً أن تبدأ حياة جديدة تثبت فيها كيانها، محاولة فى هذا أن تثير غيرة الزوج وترد له الصاع صاعين.

ويوضح الشكل رقم (٨) المؤشرات الثلاثة لقطب الرغبة فى الانتقام.

شكل رقم (٨)
المؤشرات الثلاثة لقطب الرغبة فى الانتقام



• سادساً: بعد العصرية.التقليدية

وهو بعد ثنائى الأقطاب أيضًا، يشمل متصلاً يبدأ بالعصرية أو التقدمية، وينتهى بالتقليدية أو المحافظة. ونعنى بقطب العصرية أو التقدمية: التقبل العقلى للتغيير فى العادات والقيم والتقاليد القائم على احترام الإنسان وقيمة العمل والمساواة، واحترام حق الآخرين فى اختيار شكل السلوك، وتقبل حق الآخرين فى الريادة والتقدم دون تقييم لهذا الحق بمحكات يقينية أو عقائدية حتى لو اختلفت مع ما يراه الإنسان لنفسه أو لمجتمعه. فى حين نقصد بقطب التقليدية أو المحافظة: رفض التغيير والتمسك بكل ما هو تقليدى، والسلوك وفق ما يراه المجتمع ويرضاه، ورفض أى تغير فى العادات أو القيم أو التقاليد.

ويعد بعد العصرية ـ التقليدية من الأبعاد الثلاثة الجديدة التى ظهرت فى دراستنا الحالية ولم تظهر من قبل فى الدراسة الاستطلاعية، أو على الأقل لم تظهر بالوضوح الذى يجعلنا نفرد لها بعدًا خاصًّا على الرغم من ظهورها فى تجربتنا هذه بالوزن والحجم الذى يستأهل التعليق عليه.. فقد ورد بعد العصرية

على مستويات التحليل الثلاثة إحدى وثلاثين مرة، فتناولته أربعة موضوعات رئيسة وسبعة محاور أساسية وعشرون عنصرًا تفصيليًّـا، كما ظهر قطب التقليدية خمسًا وعشرين مرة على مدى قصصنا المحللة، فكان موضوعًا رئيسًا لقصتين من قصصنا المحللة، فى حين كان محورًا رئيسًا لتسع قصص، وتناوله أربعة عشر عنصرًا تفصيليًّـا.

ومن خلال تعريفنا لبعد العصرية ـ التقليدية.. ومن خلال مادة القصص المحللة، استطعنا أن نجد مجموعة من الأنماط السلوكية للمرأة سلكتها بأسلوب عصرى، فى مقابل مجموعة أخرى من المواقف السلوكية تعبر عن سلوك تقليدى محافظ.

١- قطب العصرية

على الرغم من أن هذا القطب لم يَحْوِ ثراءً كميًّـا كبيرًا بمعنى أنه لم تندرج تحته مجموعة ضخمة من الموضوعات والمحاور والعناصر، إلا أنه حوى ثراءً كيفيًّـا، وأظهر أمامنا مجموعة من المواقف السلوكية المتنوعة التى تجعلنا نفسر السلوك العصرى المتحرر للمرأة من خلالها.

فأمامنا:

١- الموقف السلوكى للمرأة فى مواجهتها لرجعية الآخرين وتزمتهم.

٢- موقفها السلوكى فى التصدى لفكرة الفروق الطبقية.

٣- موقفها السلوكى من خلال تدعيم حق الشخص المطلق فى اختيار شريك الحياة.

٤- سلوكها العصرى فيما يتعلق بالعلاقة بأفراد الجنس الآخر.

٥- ميلها العام إلى التحرر الفكرى.

وفيما يلى عرض وتحليل لهذه المواقف السلوكية الخمسة:

أولاً: بالنسبة للموقف السلوكى للمرأة من خلال مواجهتها لرجعية الآخرين

وتزمتهم، تبدو المرأة فى صورة العصرية المتحررة المقتنعة بسلوكها الذى تظهر من خلاله متحدية للمجتمع، الذى يبدو من وجهة نظرها مجتمعًا رجعيًا، فتواجه مواقفه المتزمتة التى تبدو من خلال محاولة إرغامها على الاتساق مع قالب مفروض عليها، تحقيقًا لضغوط المجتمع، ونزولاً على رغبات أفراده.

ثانيًا: ومن جانب آخر، تظهر المرأة العصرية فى قصصنا المحللة من خلال مواقف سلوكية تعبر عن محاربتها وتصديها لفكرة الفروق الطبقية، ويظهر ذلك بشكل خاص فى مجال الحياة الزوجية والعاطفية، فنجدها لا تقيم وزنًا للقيمة المادية فى اختيارها للشخص الذى سترتبط به، كما أنها ترفض أن يتقيم الأفراد استنادًا إلى انتماءاتهم الطبقية أو العقائدية أو العنصرية.

ثالثًا: وهناك أيضًا الموقف السلوكى الثالث الذى يظهر من خلال اقتناع المرأة الكامل بفكرة حق الشخص المطلق فى اختيار شريك الحياة، وفى هذا المجال تتفرع موضوعات القصص المندرجة تحت قطب العصرية إلى اتجاهين مختلفين، أحدهما يوضح دفاع الفتاة القوى الإيجابى عن حياتها المستقبلية وعن حقها فى اختيار شريك الحياة، ويبدو الثانى فى رفضها للأسلوب التقليدى الذى يسير عليه نظام الزواج فى مجتمعنا، كما أنها ترفض تمامًا فكرة اعتبار الزواج قيمة نهائية فى الحياة، بل قد تكون هناك قيم أخرى أكثر أهمية.. ويتحدد ذلك تبعًا للأولويات التى تهدف المرأة إلى تحقيقها.

رابعًا: ثم نأتى إلى فئة المواقف السلوكية الرابعة التى تشير إلى العصرية فى قصصنا المحللة، وهو سلوك المرأة فى علاقتها بالجنس الآخر.. فهى تعطى نفسها الحق فى إقامة علاقة مع أفراد الجنس الآخر عن طريق الصداقة أو عن طريق الارتباط العاطفى، وتؤمن تمامًا بأن هذه العلاقة يجب أن تمارس فى العلن، فليس هناك ضرورة لممارستها فى الخفاء. وهى فى ارتباطها العاطفى لا يهمها أن تنتهى تلك العلاقة بالزواج، لأنه ليس القيمة النهائية بالنسبة لها، كما أنها فى علاقتها هذه لا تبغى الإيقاع بزوج، وهى من جانب آخر تعتبر أن علاقتها

بالطرف الآخر علاقة على درجة واحدة من المشاركة. . لذا، فهى تفاتح بصراحة من تحب فى حقيقة مشاعرها نحوه، كذلك فهى لا تقبل أن تفصم هذه العلاقة من جانب واحد طالما أنها علاقة تفاعلية تجمع شخصين على درجة واحدة من التساوى.

خامسًا: أما إذا انتقلنا إلى النقطة الخامسة فى قطب العصرية، لوجدنا أن قصصنا المحللة قد تناولت ـ بالإضافة إلى المواقف المعروضة من قبل ـ ميلاً عامًّا من المرأة ينحو بها تجاه الميل إلى التفكير بأسلوب عصرى، وهنا لا نجد موقفًا سلوكيًّا على وجه التحديد، ولكنه يميل فى أغلب الأحوال لأن يكون موقفًا عامًّا أو مبدأً رئيسًا من مبادئ المرأة العصرية، فتقدم لنا القصص على لسان بطلاتها مواقف عصرية للمرأة تجاه بعض القضايا المهمة لقضايا العمل والزواج، كما تبدو فى بعض القصص محاربة من أجل قضايا عامة كقضية تحرير المرأة.

٢- قطب التقليدية

وإذا تحركنا على نفس المتصل الذى بدأناه من قطب العصرية سائرين فى اتجاه مستقيم حتى نقطة النهاية، لوجدنا قطب التقليدية بمعناه المتطرف، حيث أننا نكون هنا قد تخطينا النقاط الوسطى أو البينيه التى تصل ما بين العصرية والتقليدية. وكما ذكرنا من قبل؛ فإن قطب التقليدية يعد مقلوبًا لقطب العصرية، أى أنه يتضمن نفس المواقف السلوكية، ولكنها مقلوبة أو معكوسة إذا صح هذا التعبير، وهذا ما دعانا إلى تناوله استنادًا إلى مقلوب المواقف السلوكية التى تعرضنا لها فى قطب العصرية، والتى تحددت فى المواقف التالية:

١- المواقف السلوكية للمرأة فى تقبلها ورضوخها للتقاليد الرجعية. وفى هذا المجال نلاحظ وجود نمطين من أنماط السلوك الرجعى، أحدهما نابع من ذات المرأة، والآخر مفروض عليها من الخارج، وإن ظهر النمط الأول أكثر وضوحًا وحدده تردد الفتاة وخوفها من اتخاذ موقف معين تقتنع به لكى

لا تتهم بالخروج عن القيم أو المعايير السائدة، أو لكى لا تتناثر الشائعات من حولها، فى حين يظهر النمط الآخر من خلال محاولة الآخرين وضع المرأة فى قالب يتسق مع المعايير الاجتماعية المحافظة ورضوخها لهذا الضغط الاجتماعى الخارجى.

٢- المواقف السلوكية للمرأة كما تظهر من خلال قبولها لفكرة الفروق الطبقية واهتمامها بالقيمة المادية على حساب أى قيم أخرى، ويتضح ذلك من خلال منظور واحد هو اختيار الزوج المتيسر ماديًّا الذى يعنى بالنسبة لها البيت المستقر والمستقبل الآمن الذى يستطيع بثرائه أن يؤمن حياتها وحياة أبنائها من أى تقلبات لا تستطيع مواجهتها. ويقدم هذا الاتجاه فى قصصنا المحللة على أنه أمر مشروع بالنسبة للمرأة التى لا دخل لها من عملها، حيث أن النسبة الكبرى من القصص التى استقينا منها مادة قطب التقليدية صورت فيه المرأة على أنها امرأة غير عاملة، وظيفتها الأساسية هى إدارة البيت ورعاية الزوج والأبناء، فى الوقت الذى تحمل فيه الزوج أعباء الأسرة الاقتصادية، بمعنى أن الزوجة والزوج يتحركان معًا فى إطار الأدوار التقليدية التى يرسمها المجتمع لكل منهما بعناية وإحكام.

ومن هنا كان من الضرورى أن تسعى المرأة فى بحثها عن الزوج إلى الاهتمام بانتمائه الطبقى من حيث الثروة والجاه واللقب والأصل.

٣- المواقف السلوكية للمرأة كما تظهر من خلال عدم الاستقلال أو الحرية فى اختيار شريك الحياة. ونستطيع من خلال هذا المؤشر أن نرى صورة للمرأة الأم التى لا تترك لأبنائها من الجنسين فرصة ظهور إرادتهم الشخصية فى اختيار شريك الحياة، فتفرض على ابنها الزواج من فتاة تعتبرها من وجهة نظرها الشخصية ملائمة له، كما تلعب مع ابنتها نفس الدور؛ فتفرض عليها زوجًا تختاره هى نظرًا لثرائه ومكانته، ضاربةً بإرادتها الذاتية عرض الحائط.

٤- المواقف السلوكية للمرأة كما تظهر من خلال علاقتها بالجنس الآخر. وهنا

يظهر أمامنا أكثر من موقف سلوكى يحدد طبيعة العلاقة بالجنس الآخر، وفى هذا الإطار تبدو أمامنا فكرة راسخة؛ مؤداها أن قيمة المرأة تتحدد من خلال جمالها أو أنوثتها اللذين يملكان وحدهما تحقيق آمالها، وهى هنا تتصور أن الجمال والأنوثة يمثلان قيمة أساسية يسعى إليها الرجل فى المرأة، فإذا كانت تملك قدرًا كبيرًا منهما نالت ما تريد، أما إذا كان حظها منهما ضئيلاً متواضعًا بدت فى موقع المنافس الضعيف أمام الأخريات. ومن هنا كان اقتناعها بأن اختيار الرجل لزوجته يتم على أساس شكلى بحت ولا قيمة لأى عوامل أخرى، شخصية كانت أم عقلية. وهنا تبدو المرأة فى تصورها للعلاقة بين الجنسين، وفى أنها علاقة أساسها البيع والشراء.. فالرجل هو الشارى، وإذا ما اشترى فعليه أن يشترى أفضل المعروض.

كما يقدم لنا هذا المؤشر أيضًا صورة أخرى للعلاقة بين الجنسين.. علاقة تقوم على أساس وجود طرف قوى هو الرجل، وطرف آخر ضعيف هو المرأة.. وعلى هذا الطرف الضعيف بذل أقصى طاقة ممكنة لديه للاحتفاظ بالطرف الآخر من العلاقة، فإذا فشلت تلك العلاقة فالمسئول عنها هو المرأة التى لم تحاول الاحتفاظ به، وعليها أن تتحمل لوم ونقد الآخرين. وهى فى هذا الموقف برمته تبدو فى صورة الكائن الضعيف السلبى الذى لا يملك التصرف أو المواجهة، فإذا تركها طرف العلاقة الآخر إلى غيرها فليس أمامها من سلوك إلا الصبر والانتظار حتى يتخلص الزوج من هذه النزوة التى اعترضت طريق حياته، وكأنها فى هذا الموقف مخلوق لا كرامة له، تنتظر ما يجود به الطرف القوى عليها.

خامسًا: ويقدم لنا قطب التقليدية مجموعة أخرى من المواقف السلوكية التى تعبر عن ميل المرأة العام إلى السلوك فى إطار تقليدى، ويظهر ذلك من خلال مواقف المرأة من قضايا عامة، مثل قضية العمل والتعليم والزواج والحب والاقتناع بالغيبيات.

مناقشة النتائج

حفلت دراستنا التى انتهينا من عرض نتائجها بالعديد من النقاط الثرية، فقد استطعنا أن نتوصل من خلالها إلى ستة أبعاد اندرج تحتها اثنا عشر قطبًا يحوى العديد من المواقف السلوكية التى تفسر سلوك المرأة من زوايا متعددة. ومن بين هذه الأبعاد الستة ثلاثة أبعاد تم التوصل إليها من قبل من خلال التجربة الاستطلاعية، وظهورها مرة أخرى فى هذه التجربة إنما يدل على أنها أبعاد من الصلابة والثبات إلى الحد الذى استطاعت فيه أن تستخلص ثانية على الرغم من اختلاف مادة التحليل من جهة، واختلاف العامل الزمنى من جهة أخرى، وإن كان ورود المواقف السلوكية التى تندرج تحت هذه الأبعاد قد أصبح أكثر تكرارًا. ويرجع ذلك إلى اتساع قاعدة التجربة الحالية التى تناولنا فيها بالتحليل ستة وثمانين قصة.

كما تم التوصل أيضًا إلى ثلاثة أبعاد جديدة لم تظهر من خلال التجربة الاستطلاعية من قبل، ولكن لوحظ ظهورها فى التجربة الحالية بالوزن والحجم الذى أتاح لمجموعات من المواقف السلوكية أن تكوّن بعدًا واضح المعالم يحوى قطبين متقابلين.

ومن الجدير بالذكر أن كل قطبين مشتركين فى بعد واحد كان يعد كل قطب منهما وكأنه مقلوب القطب الآخر، وكنا نلاحظ أن نفس المؤشرات أو العناصر التى تحلل على أساسها أحد الأقطاب هى ذات المؤشرات أو العناصر التى تحلل مقلوبها على القطب الآخر، وأن كل قطب منها يدعم القطب الآخر الذى يمثل نهاية البعد، وكأننا أمام مادة رياضية ولسنا بصدد تحليلات كيفية تم استقاؤها من مادة قصصية بأسلوب تحليل المضمون.

وإذا نظرنا إلى النتائج الإجمالية لهذه الدراسة تاركين التفصيلات الدقيقة التى عرضنا لها فى هذا الفصل، للاحظنا أن هناك نغمة سائدة غلبت على كتابات مؤلفى القصة القصيرة التى تناولناها بالتحليل وظهرت من خلال الأبعاد الستة

التى توصلنا إليها، تركزت حول أن مكان المرأة هو البيت، وأن اهتماماتها تنحصر فى حياتها الأسرية أو العاطفية.

وعلى الرغم من أن الإشارة إلى عمل المرأة لم يرد فى التجربة الاستطلاعية إلا مرتين فقط على مستوى التحليلات الثلاثة، وأن الإشارة إليه ظهرت فى التجربة الحالية بالحجم والوزن الذى أتاح له أن يكون أحد أقطاب بعد كامل هو بعد تغليب الحياة العملية ـ تغليب الحياة الأسرية، إلا أن فحص مضمون القصص التى تعرضت لعمل المرأة يوضح أن خروج المرأة للعمل ـ من وجهة نظر الكتاب ـ قد نتج عن عوز اقتصادى أو فشل فى الحياة الأسرية ولم ينشأ عن إحساس بأهمية العمل أو ضرورته، كما لم تتناول تلك القصص على الإطلاق أن عمل المرأة يمثل قيمة فى حد ذاتها أو ضرورة لا يمكن الاستغناء عنها. . . وفيما يتعلق بنتائج العمل، فلم تناقش القصص أن العمل أدى إلى نضج فكرى أو عقلى للمرأة، أو أن استقلالها الاقتصادى الناتج عن عملها قد قدم لها أى نوع من المزايا، بل كان الربط واضحًا بين خروج المرأة للعمل وبين فشلها فى حياتها الأسرية، والتى ظهرت من خلال سوء العلاقة بالزوج والفشل فى رعاية الأبناء.

أما إذا انتقلنا إلى القطب الآخر، وهو قطب تغليب الحياة الأسرية، وجدنا موضوعات القصص فى هذا القطب تتسق إلى حد بعيد مع موضوعات قصص القطب الآخر لهذا البعد، فنلاحظ وجود فكرتين رئيستين يدعمهما هذا القطب، إحداهما فكرة أن مكان المرأة هو البيت. . لذا فهى تسعى إليه وتضحى من أجله، وتحرص على استمراره وإزالة المهددات من طريقه حتى إذا كانت تلك المعوقات هى نجاحها العلمى أو العملى أوطموحها الشخصى. أما الفكرة الثانية فهى أنها لا تلجأ إلى العمل إلا كارهة، ولا تقبل عليه إلا تحت ضغط ظروف الحياة، وبالتالى فهى ترفضه إذا اقتضى الأمر، أى إذا تعارض مع مسئوليات بيتها وأبنائها أو بهدف إرضاء الزوج. كما أنها تتنازل عن عملها أو عن دراستها وهى تشعر بالرضى التام لأنها أدت ما يمليه عليها واجبها كزوجة وكأم، فالأولوية دائمًا للبيت وللحياة الأسرية.

أما البعد الذى يمتد من التسامح إلى الرغبة فى الانتقام؛ فهو أحد الأبعاد الجديدة التى أضافتها التجربة الحالية، فقد ورد واضحًا محددًا على مستويات التحليل الثلاثة. ويؤكد هذا البعد أيضًا النغمة السائدة فى القصص بوجه عام، وهى أن اهتمامات المرأة وحياتها لا تخرج عن حدود حياتها الأسرية، فقد أظهر قطب التسامح أن الشخص الذى تتسامح معه المرأة عادةً هو أحد الأشخاص الذين ترتبط معه المرأة بعلاقة أسرية أو عاطفية. وهنا تبرز شخصية الزوج كشخصية أساسية فى محيط التضحية والتسامح، ثم يظهر الأبناء كموضوع للتضحية، ثم الوالدين، أو من يقوم مقامهما. . إلا أننا لا نجد هذا النوع الأخير من التضحية إلا على المستوى الأدنى للتحليل (المحاور، العناصر).

أما إذا بحثنا عن الدافع وراء التضحية، لبرزت أمامنا الحياة الزوجية والحب بمعناه الواسع كهدف من أهداف التسامح والتضحية، ويظهر من خلال التغاضى عن الشكوك والمسيئات.

وكما كانت الحياة الأسرية أو العاطفية هى الموضوع الأول فى مجال التضحية أو التسامح، كانت أيضًا موضوعًا للانتقام، فقد صور الكتاب المرأة فى حالة انتقامها إذا شعرت أن حياتها العاطفية أو الأسرية ستتعرض للخطر، أو أنها بسبيلها لفقدان من تحب، من هنا كان الشخص موضوع الانتقام فى قصصنا هو الزوج أولاً، ثم الخطيب أو الحبيب أو المرأة المنافسة، وللسبب نفسه لم يظهر على الإطلاق الأبناء أو الآباء كموضوع للانتقام.

ومن الأبعاد التى ظهرت لأول مرة فى تجربتنا الحالية، البعد الذى يمتد من العصرية حتى التقليدية، وعلى الرغم من أن هذا البعد لم يَحْوِ ثراءً كميًّا كبيراً كالذى حوته الأبعاد التى استخلصت من قبل، إلا أنه حوى ثراءً كيفيًّا هائلا. . فقد أظهر مجموعة من المواقف السلوكية المتنوعة نستطيع أن نفسر السلوك العصرى للمرأة من خلالها، حيث شمل الموقف السلوكى للمرأة فى مواجهتها لرجعية الآخرين، وفى اختيار شريك الحياة، وسلوكها العصرى فيما يتعلق بالعلاقة بأفراد الجنس الآخر.

ولكن ذلك السلوك العصرى للمرأة قد قدم فى قصصنا المحللة من خلال مواقف أسرية أو عاطفية فى مجملها، فهى إما مدافعة عن حبها فى مواجهة أسرتها، أو بسبيلها لاختيار شريك حياتها. إلا أنها نادرًا ما تصور على أنها تلك المرأة العصرية التى تدافع عن قضايا أو مواقف عامة، وإنما هى مواقف شخصية وأمور عاطفية على وجه الخصوص.

ولم يختلف الأمر بالنسبة لقطب التقليدية الذى يمثل نهاية البعد، فالمواقف السلوكية التى أظهرت الاتجاه التقليدى للمرأة برزت من خلال مواقف أسرية أو عاطفية فى مجملها.

ولا يختلف الأمر إذا انتقلنا من الأبعاد التى توصلنا إليها لأول مرة فى التجربة الحالية إلى الأبعاد الثلاثة التى سبق استخلاصها فى التجربة الاستطلاعية. ومن تلك الأبعاد البعد الذى يمتد من قطب الإيجابية حتى قطب السلبية، والذى يتضمن مجموعةً من المواقف السلوكية، تبدأ من قمة القدرة على الاستقلال الشخصى والاستغناء عن مساعدات الآخرين، والقدرة على المبادرة واتخاذ القرارات بأسلوب إرادى فعال، ومواجهة المشكلات الصعبة والتكيف السليم معها، وتنتهى بضعف هذه القدرة وعدم فعاليتها، والفشل فى مواجهة المواقف الصعبة والقدرة على التكيف الملائم معها. وهى تلك المواقف السلوكية التى تظهر من خلال قطب السلبية الذى يمثل نهاية البعد.

وحتى تلك المواقف التى يمثلها هذا البعد كانت مواقف أسرية تظهر من خلال حياة عائلية أو مواقف عاطفية.

أما بعد الذاتية ـ الغيرية فقد أظهر مجموعة من المواقف السلوكية اندرجت تحت مؤشرات ثلاث: هى السلوك الذاتى فى العلاقة بالأبناء، وبالزوج، وفى مجال الحياة العاطفية بوجه عام. وعلى النقيض منها جاء القطب المعبر عن السلوك الغيرى الذى ظهرت من خلاله المؤشرات ذاتها وكأنه مقلوب قطب الذاتية، وإنما أضيف إليه مؤشر جديد هو المواقف الغيرية فى العلاقة بالآباء. وغنى عن البيان ـ وكما هو واضح من المؤشرات التى اندرجت تحتها المواقف

السلوكية فى هذا البعد ـ أنها كانت فى جملتها شئونًا أسرية وعلاقات عاطفية، فهناك الآباء والزوج والأبناء؛ ثم الخطيب أو الحبيب.

ثم نأتى إلى البعد الذى يمتد من العقلانية وينتهى بالانفعالية، وهو أيضًا من الأبعاد التى تم التوصل إليها من قبل فى التجربة الاستطلاعية، ويبدو أمرًا طبيعيًّا أن يتضمن قطب الانفعالية اهتمامًا بالحياة العاطفية والأسرية نظرًا لطبيعته، وهذا ما حدث بالفعل.. ولكن من الغريب أن نجد قطب العقلانية بدوره جاء متضمنًا لنفس مجالات الاهتمام؛ فالمواقف السلوكية التى بدت فيها المرأة عقلانية لم تخرج عن أمور أسرية فى مجملها، وتناولت بالفعل اتخاذ قرارات عقلانية فى أمور الحب والزواج وما إليها.

وتدعونا هذه النتائج إلى التساؤل: هل حياة المرأة تقتصر فقط على شئونها العائلية؟ وهل تقتصر اهتماماتها على الحب والزواج والحياة الأسرية؟ وهل كل ما يشغل بالها هو الزوج والأبناء والشخص المحبوب؟ إذا كان ذلك سليمًا فهذا يعنى أن بمجتمعنا فئة واحدة من النساء هى الزوجة الأم ربة البيت.. وإذا كان الأمر كذلك؛ فأين المرأة العاملة التى تجد أعدادًا كبيرة منها اليوم فى مجالات العمل المختلفة، والتى تشير الإحصاءات إلى زيادة أعدادها بشكل مطرد؟ وأين الفتاة الدارسة التى تنافس بتفوقها الذكور فى مراحل التعليم المختلفة؟ بل أين المرأة فى مجالات الحياة المختلفة التى تخرج عن نطاق الحياة الأسرية؟

وتجدنا نتساءل مرة أخرى: هل تعبر تلك الصورة التى قدمها كُتّاب القصة القصيرة عن واقع المرأة المصرية بالفعل، أم أنها تعبر عن تصوراتهم ومعتقداتهم فى المرأة، بحيث لا تعبر عن الواقع الفعلى بقدر ما تعبر عما يدور فى أذهان الكُتّاب؟

خاتمة

عندما انتهينا من إجراء دراستنا التى تعرضنا لها آنفًا، لم نكن نتصور آنذاك أن صورة المرأة العربية لن يطرأ عليها إلا تغييرٌ طفيف منذ إجراء تلك الدراسة وحتى يومنا هذا، وهو زمن ليس بالقصير.. ولعل ذلك ما يعطى تلك الدراسة أهميتها.. فالقضية التى تتناولها ما تزال معروضةً ومحل جدل ومناقشة، وليس أدَلّ على ذلك من أن يخصص لها المجلس القومى للمرأة موضوع منتداه الأول فى شهر مايو من عام ٢٠٠٠م، واعتبارها من أولى القضايا التى تحتاج إلى إعادة نظر.. فأهمية وسائل الإعلام والاتصال الجماهيرى تتزايد يومًا بعد يوم، ويبرز من خلالها دور الإعلام فى تشكيل الرأى العام، سواء من حيث تصورات وأفكار الأفراد، أو توجيه مواقفهم من القضايا والمشكلات المختلفة التى تهم المجتمع.. وقضية المرأة من أهم القضايا التى تسهم وسائل الإعلام فى تشكيل موقف الرأى العام منها.

ومما يؤسف له أننا ما زلنا حتى يومنا هذا نرى أن صورة المرأة فى وسائل الإعلام لا تعبر عما وصلت إليه المرأة فى مسيرة تقدمها على مستوى المجتمع العربى، كما أنها لا تعكس التنوع الثقافى والاجتماعى الذى تعيشه المرأة اليوم. وتبدو تلك الصورة فى بعض وسائل الإعلام ـ مقروءةً ومسموعةً ومرئيةً ـ مغلوطة فى بعض الأحيان، بل ومشوّهة فى أحيان أخرى.. كما تميل فى بعض المواقف إلى التركيز بشكل مبالغ فيه على النماذج السلبية للمرأة دون الإيجابية منها. وفى هذا الصدد، فقد نوقش ذلك فى المؤتمر الأول لقمة المرأة العربية، كما أشير أيضًا إلى أهمية النهوض بالمرأة العربية والعمل على تغيير صورتها التى باتت غير معبِّرة عنها، وتتمثل خطورة ذلك فى أن تدعيم الصور السلبية للمرأة

العربية والتركيز عليها بشكلها الحالى يعطل حركة النهوض بها ويعوق مسيرتها، ولا يؤدى إلى تشكيل رأى عام يتجاوب مع مشكلاتها الأساسية، بل يشيع اتجاهًا مذبذبًا حول قضاياها الجوهرية (المؤتمر الأول لقمة المرأة العربية، ٢٠٠٠م).

كذلك، فقد سعى منتدى المرأة الأول (المجلس القومى للمرأة، ٢٠٠٠م) إلى تقويم الدور الذى تقوم به أجهزة الإعلام فى صياغة وعى المجتمع بالدور الذى تقوم به المرأة؛ فى محاولة مخلصة لإيجاد صيغة للتعاون المشترك بين القائمين على أجهزة الإعلام المختلفة، وبين المهتمين بشئون المرأة من الأكاديميين المهتميه بقضيه المرأة فى وسائل الإعلام، وإبراز الإيجابيات والإنجازات التى استطاعت المرأة أن تحققها فى مسيرتها نحو التقدم. وقد انتهى منتدى صورة المرأة فى وسائل الإعلام إلى مجموعة من التوصيات الهامة، كان من أبرزها:

أولاً: استخدام الإعلام فى تغيير المفاهيم السائدة والموروثات التقليدية والأفكار الخاطئة حول المرأة ودورها.

ثانيًا: التعاون بين المجلس القومى للمرأة وبين أجهزة الإعلام فى التوعية بحقوق وواجبات المرأة.

ثالثًا: إنشاء وحدة رصد إعلامى بالمجلس القومى للمرأة؛ تتعاون فى قياس أثر الرسالة الإعلامية على المجتمع بجميع فئاته وشرائحه وطبقاته.

رابعًا: الكف عن تقديم المرأة فى وسائل الإعلام كوسيلة إغراء وتشهير، أو كسلعة، وإبراز الجوانب الإنسانية والحضارية للمرأة المصرية، بالإضافة إلى تاريخها المتميز، وحاضرها المشرف، ومستقبلها الواعد.

خامسًا: الأخذ بمبدأ الشفافية فى فهم أوضاع المرأة الراهنة، ودراسة الثقافة التحتية والأعراف والتقاليد والطقوس المكبِّلة لتطور المرأة، بحيث تأتى الرسالة الإعلامية مرتبطةً بالسياسة العامة للدولة، وذلك حتى يتحقق الهدف المنشود من وراء جميع الجهود المبذولة فى هذا الصدر، ألا وهو: تحقيق التنمية الشاملة.

مراجع الفصل الثانى

أولاً : المراجع العربية

- سعد لبيب، ناهد رمزى: مشروع التوجهات العامة فى التعامل مع الأمومة فى مجال الإعلام والثقافة. المجلس القومى للطفولة والأمومة، ١٩٩٤.
- صفوت فرج: التحليل العاملى فى العلوم السلوكية. القاهرة: دار الفكر العربى، ١٩٨٠.
- فوزى فهمى: المرأة والمنظومة الثقافية. مؤتمر نهضة مصر: المرأة.. المواطنة والتنمية، المجلس القومى للمرأة، مارس ٢٠٠٠. ص ص ٨٦:٩٢.
- المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية: صورة المرأة كما تقدم فى قصص الصحافة النسائية، المجلد الثانى. منشورات المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية، القاهرة، ١٩٨٣.
- المجلس القومى للمرأة: المنتدى الفكرى الأول (المرأة والإعلام)، القاهرة، ١١ من مايو ٢٠٠٠م.
- المجلس القومى للمرأة بالتعاون المشترك بين جامعة الدول العربية ومؤسسة الحريرى اللبنانية: المؤتمر الأول لقمة المرأة العربية بين تحديات الحاضر وآفاق المستقبل، ١٨ إلى ٢٠ من نوفمبر ٢٠٠٠.
- المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب: العولمة ظاهرة العصر، المجلد

٢٨ ، العدد الثانى، أكتوبر: ديسمبر ١٩٩٩، عالم الفكر، الكويت.

- ناهد رمزى: سيكولوجية المرأة، قضايا معاصرة. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٩٩.

- نيفين مسعد: المرأة المصرية فى الإعلام. فى «المرأة المصرية والعمل العام، رؤية مستقبلية». مركز البحوث والدراسات السياسية، ١٩٩٥، ص ص ١٠٩: ١٢٩.

ثانياً: المراجع الأجنبية

- Brewis, Alexandra A., The accuracy of attractive body- size Judment. Current Anthropplogy, Vol. 440 (4) 1999, 5449-553.

- Delouth, Tara - N; Cholle and others, Gender and ethnic role portrayals: Photographic images in three Califoornia newspapers, psychological Repoorts, Apr. Vol. 76 (2) 1995, 443-438.

- Hamilton, Kate; Waller, Glen, Media influences on body size estimation in anorexia and bulimia : An experimental study. British jounral of Psychiatry, Vol. 16 (2) 1993, 837-840.

- Heinberg, Leslie J., Body Image and Televised Images of thinness and attactivenss : A controlled laboratory investigation, Journal of Social and Clinical Psychology, Vol. 14 (4) 1998, 325-338.

- Lavine, Howard' Sweeny, Donna, Depieling women as sex objects in television advertising: Effects on body dissatisfaction, personality and social psychology Bulleting, 1994, Aug. Vol. 25 (8) 1049-1058.

- Lirnert, Tania, women's self - starvation, cosmetic surgery and transsexualism, feminism and psychology, May, Vol. 8 (2) 1998, 245-250.

- Ogden, J; Elder, C., The role of family status and ethnic group on body image and eating behavior, International J. of Eating Disorders, Apr. Vol. 23 (3) 1998, 309-315.

- Pinhas, Leora; Ali Alisha, The effects of the ideal of female beauty on mood and body satisfaction. International Journal of Eating Disorders, Vol. 25 (2) 1999, 223-226.

- Rhode, Deborah, Media images, feminist issues. Stanford Law school, Vol. 20 (3) 1995, 685-710.

- Whittaker, Rosemary, Reframing the representation of women in advertisements for hormone replacement therapy, Nursing Inquiry, Vol. 5 (2) 1998, 77-86.

الفصل الثالث

مقارنة بين صورة المرأة وصورة الرجل في الدراما التلفزيونية

منذ أن تم الاتفاق على استراتيجيات نيروبى التطلعية التى وضعت خطة عمل للنهوض بالمرأة، والمؤتمرات التالية تبذل جهودًا متواصلة لوضع تلك الاستراتيجيات موضع التنفيذ، كان آخرها مؤتمر المرأة الدولى الرابع فى بكين ١٩٩٥، والذى نوقشت متابعة قراراته فى منتصف العقد فى يونيو عام ٢٠٠٠ تحت شعار: المساواة بين الجنسين والتنمية والسلام (/UN, 2000 PC/2). ويتركز جوهر تلك الاستراتيجية حول «أن النهوض بالمرأة وتحقيق المساواة بينها وبين الرجل هى مسألة تتعلق بحقوق الإنسان، وشرط من شروط العدالة الاجتماعية، وهى السبيل الوحيد لبناء مجتمع قابل للاستمرار وعادل ومتقدم (الفقرة ٤١)، مع التأكيد على دور وسائل الإعلام الفاعل والمؤثر فى نقل المعلومات والثقافة والتعليم، والتأثير على سلوك الأفراد وتصوراتهم، وفى تغيير المفاهيم والعادات والمهارات والمعارف والأفكار (الفقرة ٢٨١). وتشير تقارير الأمم المتحدة (UN, E/CN,6,2000/PC/2) إلى أن بعض دول العالم قد حققت تقدمًا فى اتجاه المساواة بين الجنسين، فهل تَحَقَّقَ فى مصر تقدم مماثل؟

لم يأت الاهتمام بالمنظور النوعى من فراغ، وإنما جاء تعبيرًا عن توافق آراء ١٨٩ دولة من منطلق الاهتمام بتحقيق المساواة الكاملة بين الرجال والنساء فى القضايا الاثنتى عشرة التى تمثل القضايا الرئيسة التى كانت محورًا لمنهاج عمل بكين لعام ١٩٩٥، بل وكافة المؤتمرات التى عقدت فى التسعينات تحت إشراف

الأمم المتحدة. ومن بين تلك المؤتمرات؛ مؤتمر القمة العالمى من أجل الطفل (١٩٩٠)، ومؤتمر الأمم المتحدة المَعْنِىّ بالبيئة والتنمية (١٩٩٢)، والمؤتمر العالمى لحقوق الإنسان (١٩٩٣)، والمؤتمر الدولى للسكان والتنمية (١٩٩٤)، ومؤتمر القمة العالمى للتنمية الاجتماعية (١٩٩٥). وقد شكَّلَ المنهاج إطارًا قويًّا لتعميم بُعد المساواة بين الجنسين فى جداول أعمال المؤتمرات التالية، مثل مؤتمر الأمم المتحدة للمستوطنات البشرية (الموئل الثانى، ١٩٩٦)، ومؤتمر القمة العالمى المعنى بالأغذية (١٩٩٦) وغيرها من المؤتمرات (UN,2000,PC/2).

وقد جاءت كافة هذه المؤتمرات من خلال الالتزامات المعلّنة خلال العقود المتوالية التى نظمتها الأمم المتحدة منذ عام ١٩٧٦ وحتى عام ١٩٨٥، ومن بينها الالتزامات المتفق عليها والمتعهد بها فى مؤتمر نيروبى أمام الحكومات المشاركة (UN,6,2000,P.6).

ومن الجدير بالإشارة إليه؛ ذلك التحول الهام الذى حدث على مدار الربع الأخير من هذا القرن، والذى شهد كافة تلك المؤتمرات التى عقدت من أجل النهوض بالمرأة ومساواتها بالرجل. وقد تمثل ذلك التغير فى العناية التى أوليت للرجل فى منهاج العمل الأخير، وإن دل ذلك على شىء فإنما يدل على التحول من التركيز على المرأة بمفردها إلى التحول للاهتمام بالجنسين معًا بالعمل من خلال الاهتمام بالمنظور النوعى، حيث حظيت العلاقة بين المرأة والرجل بأهمية خاصة، ولا سيما من حيث العلاقات الجنسية والإنجاب، فى محاولة للتشجيع على الخروج من إطار القولبة السلبية Negative Stereotype للدور التقليدى لكل منهما، ومحاولة تدعيم أدوار جديدة تتناسب مع التغيرات الحادثة فى مجتمع معاصر (Ibid, P. 10).

ويشير منهاج عمل بكين بشكل صريح إلى دور وسائل الإعلام التى بمقدورها أن تقوم بدور هام وفعال فى درء الصور السلبية عن المرأة، وفى نشر الأدوار

المستحدثة لكل من الجنسين. . يساعد على ذلك التقدم الكبير الذى حدث فى الفترة الأخيرة فى تكنولوجيا المعلومات والاتصال، وما أحدثه ذلك من توفر المعلومات وسرعة انتشارها إلى أماكن بعيدة، بالإضافة إلى ذيوع أساليب الاتصال الحديثة واستخدامها بأساليب مختلفة بين أوساط ثقافية واجتماعية متنوعة. (الأمم المتحدة، ٢٠٠٠، ١٧٤، فقرة ٥٤٥).

كان نتيجة هذا الاهتمام الدولى أن برزت محاولات جادة على مستوى العالم لوضع استراتيجيات وبرامج للترويج لرسم صورة متوازنة عن المرأة فى وسائل الإعلام، ولا سيما من خلال المواد البحثية والتعليمية من أجل كفالة التقدير العادل للجنسين، وعند إنتاج المواد الإعلامية. . وقامت فى هذا الصدد مجموعة من الدراسات العلمية التى تهدف إلى التعرف على التغيرات الحادثة فى هذا الشأن، سواء فى اتجاه تغير صورة المرأة. أو رسم صورة متوازنة تعبر عن بذل جهود جادة لإلغاء الأشكال المختلفة للأدوار النمطية التى يقوم بها كل جنس من الجنسين، والتى تحاول بعض وسائل الإعلام الترويج لها وتأكيدها بصورة منتظمة (Birds, S.E. 1999)، (Ogden, J. Mundray, k.,) 1996)، (Kang, Mee-Evn, 1997)، (Henderson-King, E., 1997)، (Winter, J., 1993).

وفى هذا الصدد أيضًا، هناك دراسة تُجرَى حاليًّا فى أيسلندا للتعرف على الصور التى تركز على الفروق النوعية بين الجنسين فى وسائل الإعلام (الأمم المتحدة، ٢٠٠٠، ١٨٢)، كما تقوم هولندا أيضًا بوضع اللمسات النهائية لما يسمى بـ «مرشد لرسم صورة فعالة»، يتضمن مشورة مقدمة من «راسمى صور» محترفين بشأن الأساليب التى يمكن من خلالها إزالة الصور النوعية النمطية، كما تقوم الإذاعة الوطنية أيضًا بإدارة مشروع نموذجى ينعقد على مدى خمس سنوات لإيجاد سبل عملية لرسم صور أوسع نطاقًا وأكثر تنوعًا للنساء والرجال (المرجع السابق، ١٨٢ : ١٨٣).

ونفذت الدانمرك مشروعًا لإنتاج برامج إذاعية بشأن مجالات الاهتمام الاثنى عشر التى تضمنها منهاج عمل بكين لكى تبثها إلى آسيا وإفريقيا وأمريكا اللاتينية، إلا أن تلك البرامج جاءت بالتركيز على قضايا صحة المرأة، والمرأة والأسرة، وتنشئة الأطفال، والأزياء، والمطبخ، وإدارة شئون البيت، إلا أنها سرعان ما تداركت الأمر وأعدت برامج تتناول القضايا الأخرى التى كانت نادرًا ما تُثار، مثل المرأة فى سوق العمل، إتاحة الفرص التعليمية للفتيات، الإلمام بالقراءة والكتابة، وحقوق المرأة والعنف ضدها، إدمان المخدرات، ونقص المناعة (الإيدز)، والمرأة فى المنارعات المسلحة.

كما بُذلت جهود فى بعض الدول الأخرى، من أبرزها اليونان، من أجل وضع مبادئ توجيهية تشجع على التصوير العادل لقضايا المرأة والرجل، من خلال المنظور النوعى، وإلغاء التحيز القائم على أساس الجنس خاصة فى لغة الخطاب المستخدم أو فى السلوك الذى تتضمنه تلك البرامج. . كما تقوم اليابان بالانتهاء من عمل دليل يساعد على كيفية التعرف على الصور المتحيزة ضد النوع، وإلغاء ما يتعلق بأى صور ازدرائية أو تحيزية قائمة على أساس الجنس (المرجع السابق، ص ١٨٣).

إلا أن تلك الجهود الإيجابية اعترضتها بعض العقبات، وعلى الرغم من التطورات التى نجمت عن ثورة المعلومات، إلا أن صورة المرأة ما زالت تتعرض لنظريات سلبية، كما أن الصور النمطية المتحيزة ما زالت سائدة.

وإذا كانت الصورة المقدمة عن المرأة تلك هى معالمها، فماذا عن صورتها إذا قورنت بصورة الرجل؟ وما هى الأدوار التى تقوم بها المرأة؟ وما هى الأدوار التى يقوم بها الرجل؟ وكيف تقسم تلك الأدوار بينهما؟ وماهى الأنماط السلوكية المقبولة لكليهما؟ وهل توجد فروق فى نوعية القيم التى يتبناها كل منهما(*)؟

تلك التساؤلات التى لم تطرح من قبل ـ على حد علمنا ـ فى الدراسات التى

(*) أجريت هذه الدراسة بالتعاون مع إدارة المرأة بهيئة اليونسيف، وبتمويل منها، وذلك لتقديمها إلى المؤتمر الدولى الرابع للمرأة فى بكين، ١٩٩٥.

تناولت تحليل مضمون المادة الاتصالية، كانت موضعًا للدراسة الحالية التى تركزت فى هدفين رئيسين:

الهدف الأول: تحليل مضمون بعض نماذج من الأعمال التى تقدم فى أكثر الوسائل الاتصالية انتشارًا بين المتلقين (التلفزيون) مع التركيز على الدراما التلفزيونية التى تمثل أكثر المواد جذبًا للمشاهدين، بهدف التعرف على الصورة التى تقدَّم بها المرأة، وذلك من أجل تطوير تلك الصورة حتى تتلاءم مع الدور الذى يجب أن تؤديه المرأة فى مجال التنمية، والإسهام فى تطور المجتمع، وتبنى استراتيجيات تترجم إلى خطط عمل تهدف إلى القضاء على أوجه عدم المساواة بسبب النوع، وتمكين المرأة من مقدراتها، والاندراج جنبًا إلى جنب مع الرجل.

الهدف الثانى: إجراء مقارنة بين صورة المرأة وصورة الرجل كما تقدمها الدراما التليفزيونية للتعرف على الأنماط السلوكية المقبولة لكلا الجنسين، والأدوار التى يلعبها كل منهما، وما إذا كانت هناك قيمٌ خاصة يمتثل بها كل جنس من الجنسين، أم أن ثقافة المجتمع تفرض قيم تحتَذَى لأى فرد من أفراده ـ رجلاً كان أم امرأة.

ويقصد بالمادة الدرامية التلفزيونية، كل ما يقدم على شاشة التلفزيون بأسلوب تمثيلى، سواء كان فى شكل مسلسلات يومية تقدم فى حلقات متتابعة، أو تمثيليات فيلمية تقدم فى سهرة كاملة.

ولقد اختيرت المادة الدرامية لاعتبارات عدة، من أهمها:

أولاً: أن الدراما التلفزيونية على وجه الخصوص ـ سواء قدمت فى شكل مسلسل يومى أو فى صورة تمثيلية فيلمية ـ تعد من أكثر المواد التلفزيونية جذبًا للمشاهدين وانتشارًا بينهم.

ثانيًا: أنها تقدم فى فترة ذروة المشاهدة، سواء المسلسلات التى تذاع فى فترة المساء، أو التمثيليات التى تذاع فى فترة السهرة. وأمام جاذبيتها للمشاهد

وإذاعتها فى فترة الذروة، يصبح تأثيرها كاسحًا على المشاهدين، مع ضمان مشاهدتهم لها.

ثالثًا: أن التركيز على مادة إعلامية متجانسة إلى حد بعيد يؤدى إلى تقديم صورة مركزة وملخصة، ونموذج لأعمال درامية تحظى بقبول واسع من المشاهدين.

الأسلوب المستخدم فى التحليل

استخدم فى هذه الدراسة أسلوب تحليل المضمون، حيث يعد من أكثر الأساليب المنهجية مناسبة فى الدراسات التى تتناول المادة الاتصالية وتحليل مضمونها، إذا اتبعت القواعد المنهجية الدقيقة، وتم تجنب الثغرات التى عادة ما تشوب استخدامها، كعدم إحكام تدريب المحللين، أو دقة تحديد العناصر المحللة أو وحدات التحليل، مما يؤدى إلى تسرب العوامل الشخصية والإغراء بالتعميمات الكلية التى لا تستند إلى أسس موضوعية دقيقة.

الخطوات الإجرائية

أ ـ تدريب المحللين

لتحقيق قدر مقبول من موضوعية التحليل، تم تسجيل عملين دراميين يتشابهان مع الأعمال الدرامية التى ستخضع للتحليل لكى يستخدما فى تدريب المحللين، وهما: مسلسل طويل يذاع يوميًا بعنوان «الفلوس»، والثانى تمثيلية تلفزيونية أذيعت كاملة فى سهرة بعنوان «دليل المرأة الذكية».

تم تدريب المحللين على أسلوب التحليل، الذى اتفق على أن يتم بمقتضاه استخلاص الأفكار الأساسية التى يتضمنها العمل الدرامى، وتشمل الأحداث الرئيسة التى يشكل ظهور أى منها إضافة أو تعديلاً أو تغييرًا فى مسار العمل.

هذا، وقد اعتبرت وحدة التحليل فى المسلسل: الحلقة الواحدة، فى حين اعتبرت وحدة التحليل فى التمثيلية الفيلمية: العمل الكامل.

ب ـ وصف العينة

تضمنت الدراسة الحالية عملين دراميين اختيرا من المادة المقدمة خلال الفترة من بداية شهر نوفمبر ١٩٩٤ حتى نهاية شهر يناير ١٩٩٥، وشملت:

أولاً: مسلسل عُرض فى القناة الأولى فى الفترة المسائية على مدى اثنى عشر حلقة فى الفترة من ١١/١٢ وحتى ١٩٩٤/١١/٢٤ بعنوان «وجوه للحب».

ثانيًا: تمثيلية فيلمية أذيعت فى سهرة الأحد الموافق ١٥ من يناير ١٩٩٥ بعنوان «إلا ابنتى».

وقد روعى فى اختيار المادة أن تتضمن أدوارًا لكل من المرأة والرجل فى علاقات تفاعلية بينهما توضح النمط السلوكى المقبول لكل منهما، كذلك القيم التى يتمسكون بها، والأدوار التى يلعبونها للتعرف على الصورة المرسومة لكل منهما، وإدراك ما إذا كانت هناك فروق نوعية تسعى المادة الدرامية المقدمة إلى تأكيدها، أم أنه ليس هناك فروق ذات بال تدعو إلى التوقف عندها.

هذا، وقد اقتصر الاختيار على القنوات التلفزيونية التى تشاهد من خلال القاهرة الكبرى، مع استبعاد القناة الثانية التى لا تبث سوى مسلسلات أو أفلامًا أجنبية، حيث كان التركيز على الأعمال الدرامية المصرية التى تصور الأنماط السلوكية المقبولة، والقيم السائدة، والعلاقات بين الأفراد داخل المجتمع المصرى.

وعلى الرغم من اقتناعنا الكامل بأن العمل الفنى ذا المستوى الرفيع يساعد على سهولة التحليل واستخلاص معالم الصورة المرسومة للمرأة وللرجل، نظرًا لحبكة البناء الدرامى ودقة رسم الشخصيات، وعدم تناقض الأحداث التى تتمشى مع الخط الدرامى العام للعمل بلا طفرات مفاجئة أو غير متوقعة، إلا أن تلك الاعتبارات لم توضع فى الاعتبار خشية أن يؤدى الاختيار المتعمد إلى تحيز غير معمول حسابه، مما يفقد العمل موضوعيته وحياديته.

كذلك لم يوضع فى الاعتبار أيضًا فنية العمل الدرامى أو توفر العناصر التى تعمل على إنجاحه، مثل جودة القصة أو السيناريو أو الحوار أو الإخراج أو التصوير، فلم يكن الهدف هو تقييم العمل من حيث فنيته، وإنما لكونه عملاً دراميًا معروضًا على المشاهدين بما يملكه من تأثير عليهم، كذلك فارتفاع مستوى العمل الفنى أو تدنيه لن يغير من الصورة المقدمة سواء للمرأة أو للرجل.

وعلى الرغم من الحياد وموضوعية الاختيار التى روعيت فى تحديد الأعمال التى أخضعت للتحليل، إلا أنه يجدر القول أن تحليل الأعمال المختارة لم يقصد من ورائه الوصول إلى نتائج قابلة للتعميم على المادة الدرامية التلفزيونية، وإنما تمثل دراسات حالة أجريت بشكل تعمقى لتقدم صورة شديدة التركيز أو التلخيص للأعمال الدرامية التى تقدم للمشاهدين.

جـ- حساب الثبات

تحتل عملية حساب ثبات الباحثين بعد تدريبهم مكانة بالغة الأهمية للتأكد من الحيدة التامة والبعد عن الذاتية، ولتحقيق أكبر قدر من الموضوعية فى استخدام أسلوب تحليل المضمون.

وهناك أحد أسلوبين يمكن اتباع أحدهما أو كليهما فى حساب الثبات، يتم الأول عن طريق حساب اتساق الباحث مع نفسه، عن طريق تكليفه بتحليل مادة اتصالية معينة، ثم يعيد تحليلها مرة أخرى بعد فترة زمنية محددة، ثم تحسب درجة الاتفاق بين التحليل الأول والتحليل الثانى للتأكد من ثبات الباحث عبر تلك الفترة.

ويعتمد الأسلوب الثانى على درجة الاتساق بين مجموعة من المحللين المختلفين، يقوم كل منهم مستقلاً عن الآخر بتحليل عمل معين. وتعنى درجة الاتفاق المرتفعة بينهم القدرة على تحقيق الموضوعية والبعد عن الذاتية الشخصية.

وكان أسلوب الاتساق بين المحللين هو الأسلوب المستخدم فى هذه الدراسة،

ونظرًا لما يتطلبه تحليل المضمون من تدريب طويل على معالجة المادة، فقد تطلب التوصل إلى درجة عالية من الثبات إحكام تدريب المحللين عن طريق عقد جلسات مكثفة، يتم من خلالها مناقشة التحليلات المختلفة التى يقوم بها كل محلل مستقلاً عن الآخر.

وفى ضوء المناقشة الجماعية لمادة التحليل، يتم التعرف على أوجه الاتفاق وأوجه الاختلاف فى معالجة المادة الواحدة، ومدى اقتراب كل محلل أو ابتعاده عن النص الأصلى، ثم يتم تدعيم الأسلوب الأوفق فى التحليل.

د - التقدير الكمى لثبات التحليل

ومن خلال تلك المحاولات التدريبية، وصل المحللون إلى مرحلة من التقارب فيما بينهم تتيح لهم القدرة على معالجة مادة التحليل من منظور شديد التشابه، ساعد على تحقيق درجة عالية من الاتساق بين المحللين.

وللوصول إلى قيمة رقمية لدرجة الاتساق بين المحللين، تم استخدام مقياس للرتب الذى تم الاعتماد عليه فى دراسة سابقة وتم التأكد من سلامته، ويوفر ذلك المقياس مزيدًا من الدقة فى تقدير ثبات التحليل، وتضمن خمس رتب، تعبر كل رتبة منها عن درجة تدل على مستوى التشابه بين التحليلين وفقًا للجدول الآتى:

جدول رقم (١)
درجات مقياس الرتب

مستوى التشابه	الدرجة
تطابق أو تشابه تام	٥
تشابه إلى حد كبير	٤
تقارب	٣
تقارب طفيف	٢
لا تشابه	١

هـ - خطة العمل

بهدف تطبيق مقياس الرتب، تطلب الأمر وجود اثنين من المحللين واثنين من المحكمين؛ بحيث يُحَلَّل العمل الواحد مرتين من خلال محللين مختلفين، يقوم كل منهما بالتحليل مستقلاً عن الآخر، ثم يعرض التحليلات على اثنين من المحكمين، يتولى كل منهما مستقلاً عن الآخر أيضًا وضع درجة لمستوى التشابه بين العملين، وفى حالة الاختلاف بين المحكمين على الدرجة المقدرة، تجمع الدرجتان، وتؤخذ الدرجة المتوسطة لتعامل على أنها درجة التشابه بين التحليلين، وفقًا لمقياس الرتب المشار إليه آنفًا.

أدى العمل بهذا الأسلوب إلى وجود صياغتين للعبارات المستخلصة من التحليل الواحد، ولقد نشأ ذلك عن تحليل العمل الواحد مرتين عن طريق محللين مختلفين.

وقد تم التغلب على هذه المشكلة عن طريق إجراء توفيق بين الصياغتين، واستحداث صياغة جديدة تجمع العناصر المشتركة بينهما، على أن يقوم بهذا العمل شخص ممن لم يقم بأحد التحليلين من قبل، فى محاولة للتغلب على الذاتية وتحقيق أكبر قدر من الموضوعية فى المراحل الثلاث للعمل: التحليل والتحكيم والصياغة النهائية.

و - عرض النتائج

وباستخدام المنهج المشار إليه سابقًا، تم تحليل مضمون الأعمال الدرامية التى تم اختيارها، حيث شمل التحليل عدة جوانب وأكثر من زاوية نظر، تضمنت الآتى:

١- استعراضًا للشخصيات الأساسية فى العمل الدرامى، مع التركيز على الشخصيات المحورية التى تلعب دورًا مؤثرًا فى سير الأحداث.

٢- تقديم العمل الدرامى ملخصًا، مع توضيح أبعاده الأساسية والمغزى العام الذى يهدف إليه.

٣- استخلاص الأفكار الأساسية التى يتضمنها العمل الدرامى، والتى تشكل كل فكرة منها حدثًا هامًّا من أحداثه يؤدى إلى الإضافة أو التعديل أو التغيير فى مسار الأحداث.

٤- تحليل العلاقات التفاعلية بين شخصيات المسلسل، مع التركيز على العلاقات بين الجنسين فى إطار الجو العام المؤثر على أحداث العمل الدرامى.

٥- استعراض الأنماط السلوكية المقبولة للشخصيات المحورية من خلال أبعاد السلوك، حيث يمتد البعد سلبًا وإيجابًا أو تدرجًا بين طرفى قطبين متعارضين، حيث يمكن أن يحدد عليه موضع لكل حدث سلوكى يوضح ما إذا كان الحدث أقرب إلى أحد القطبين أو إلى القطب الآخر.

٦- استخلاص القيم السائدة التى تقدم بشكل سلبى أو إيجابى، والتى تبرز من خلال السلوك أو الاتجاهات أو الآراء أو الأفكار أو التعبيرات اللفظية المستخدمة.

أولاً: تحليل مضمون مسلسل «وجوه للحب»

تضمن هذا المسلسل اثنتى عشرة حلقة، عرضت من خلال القناة الأولى فى الفترة من ١١/١٢ حتى ١٩٩٤/١١/٢٤ فى الفترة المسائية حوالى الساعة السابعة والنصف مساءً، ويبلغ زمن الحلقة ما بين ٤٥-٥٥ دقيقة تقريبًا.

١ـ شخصيات المسلسل

- **إسماعيل**

رب الأسرة الذى أحيل إلى المعاش بعد فترة خدمة طويلة بوزارة الداخلية كموظف عادى، وهو يبحث عن عمل بعد إحالته إلى المعاش لكى يعينه على مواجهة ارتفاع الأسعار، وليشغل وقت فراغه الطويل الذى أصبح يؤرقه.

وهو سعيد فى حياته الزوجية مع زوجته «صفية» التى يوجهها دائمًا إلى السلوك الذى يجب أن تحتذيه، وأبنائه الأربعة: «سوسن» التى تزوجت،

و«نصر» الذى يعمل ضابطًا بالجيش، و «نجوى» طالبة الجامعة والشخصية المحورية فى المسلسل، و «منير» الذى نجح فى الثانوية العامة بعد سنوات رسوب طويلة.

ويتمتع «إسماعيل» بسلطة اتخاذ القرار، فهو صاحب الكلمة الأخيرة فى البيت، ويتمتع باحترام من جميع أفراد أسرته، فهم يحبونه ويحترمونه ويخشونه فى نفس الوقت، ويتركون الأمور معلقة حتى يقول كلمته الأخيرة، كما يبدو فى المسلسل وكأنه هو العالم ببواطن الأمور؛ حيث يُسْتَفْتَى فى كل شىء، كما يبدو أن كلمته فى الغالب كلمة لا ترد.

وهو أحيانًا ما يتبسط مع زوجته وأبنائه، ولا يتسم سلوكه بالتشدد، ولكن بالحزم المشوب بالعطف والحب والرعاية لجميع أفراد أسرته. كما أنه المسئول عن الأسرة ماديًّا، ويستنكف أن يساعده أحد، فبحثه عن عمل بعد إحالته إلى المعاش يرجع إلى رغبته فى تحقيق حياة مريحة لأسرته، ولكى يتولى المسئولية المادية لمن لم يتزوج من أبنائه.

● **صفية (الأم)**

زوجة «إسماعيل»، وهى امرأة فى العقد الخامس من عمرها، ما زالت محتفظة بجمالها وشبابها، وهى سعيدة بذلك، وأحيانًا ما تتباهى بأنها تبدو وكأنها شقيقة لبناتها، يهمها أن تعتنى بمظهرها الخارجى، ولكن بأسلوب غير مفتعل أو مبالغ فيه، فهى غاية فى البساطة والطيبة.

وهى امرأة غير عاملة، وتعتمد فى تدبير المتطلبات الاقتصادية لأسرتها على مرتب زوجها، لذا فهى تقوم بجميع أعباء الأسرة وخدمة أفرادها بلا غضاضة، خاصة زوجها الذى لا يكف عن تكليفها بأعمال متواصلة يستطيع أن يقوم هو بها.

يحبها أبناؤها لطيبتها وبساطتها، ولكنهم لا يعملون لها حسابًا كالأب، وهى ـ على طيبتها وبساطتها وعاطفيتها ـ لا تتمتع بدرجة كافية من الحساسية بما يسمح

لها باستشفاف مشكلات أبنائها أو الدخول إلى أغوارهم. أيضًا فهى لا تملك القدرة على حل المشكلات، ولا تتدخل فى الأمور المصيرية لأبنائها، وتترك تلك الأمور إلى زوجها لأنها لا تملك سلطة اتخاذ القرار.

● نجوى (الابنة الصغرى)

الشخصية المحورية فى المسلسل، وهى طالبة جامعية، تتميز بالعاطفية والسلبية، لا تملك مصيرها، تقيم وزنًا كبيرًا لحياتها العاطفية، إلا أنها تضحى بها عندما توازن بينها وبين مستقبلها الزوجى، وهى أيضًا لا تملك قراراتها، ولكن الأب هو صاحب القرار الذى تنقاد له فى أكثر الأحوال.

إلا أن تغيرًا طفيفًا يطرأ على شخصيتها بعد أن تتخرج من الجامعة وتدخل فى سلسلة من الاختيارات الفاصلة لزوج المستقبل، فهى تريد أن تستقل بحياتها وتتحمل مسئولية قراراتها، إلا أنها لم تدرب على ذلك بشكل كاف، فالمسئولية دائمًا يتحملها الأب الذى يهيمن على الجميع، وبينما يدعى أنه ربى أبناءه على الحرية والصراحة وإبداء الرأى، توضح المواقف غير ذلك، بما يؤكد أن تلك الأمور نسبية إلى حد بعيد.

● منير

وهو الأخ الأصغر لـ «نجوى» الشخصية المحورية، وهو شاب خفيف الظل، لديه ميول فنية، يتمتع برؤية واضحة، كثيرًا ما يتولى نصح وإرشاد شقيقته التى تكبره. وعلى الرغم من فشله فى الحصول على الثانوية العامة لخمس مرات متوالية، إلا أن ذلك لا يرجع إلى انخفاض ذكائه بقدر ما يعبر عن ميوله الفنية الواضحة واهتمامه بالموسيقى، وتظهر تلك الميول عندما يلتحق بمعهد الموسيقى ويتخرج منه بتفوق لكى يعين معيدًا.

● نصر

هو الابن الأكبر لأسرة «إسماعيل» وشقيق «نجوى» الشخصية المحورية،

ويعمل ضابطًا فى الجيش، ويتمتع بشخصية هادئة متزنة مستقلة، لا تتدخل أسرته كثيرًا فى قراراته، ولا يفرض عليه والداه أىَّ هيمنة، ويبدو أن ذلك يرجع لثقته فى القرارات التى يتخذها.

● **سوسن**

الشقيقة الكبرى لـ «نجوى» الشخصية المحورية، وهى شخصية مرحة راضية بحياتها الزوجية مع «إبراهيم» الذى اختارته بنفسها، ووافقت على الحياة معه فى أقاصى الصعيد، وعلى الرغم من أنه متواضع الحال، إلا أنها تحبه وقانعة بالحياة معه.

● **إبراهيم**

زوج «سوسن»، وهو مساعد مهندس محدود الدخل، يعمل فى أحد المصانع فى جنوب مصر، يسعى إلى تحسين مستقبله وزيادة دخله، يساعده فى ذلك والد زوجته.

● **د. سعيد**

وهو أستاذ جامعى يعمل فى الكلية التى تخرجت منها «نجوى»، وهو شخص مقبول من الناحية الموضوعية، إلا أنه شخصية مملة غير جذابة، يتصف بالبخل الشديد والحرص فى كل شىء.

وتوافق «نجوى» على خطبته لها بعد ضغوط من أهلها، إلا أنها لا تتحمله وتجده زوجًا غير مناسب لها، وينتهى الأمر بفصم العلاقة بينهما.

● **مدبولى**

زوج «نجوى»، وهو شخص لا يحمل شهادات، ولكنه يملك ذكاءً اجتماعيًّا عاليًا، يجيد عدة لغات يستخدمها فى إقامة العلاقات وتسيير الأمور، يملك شركة استيراد وتصدير تلجأ إلى أساليب غير قانونية فى تعاملاتها، وقد أدى ذلك إلى أن يثرى ثراءً فاحشًا.

● **صفوان**

وهو زميل «نجوى» فى الجامعة، ارتبطت به عاطفيـًّا، وعلى الرغم من محدودية ظهوره فى حلقات المسلسل إلا أنه يعد شخصية هامة لارتباط «نجوى» به، ذلك الارتباط الذى أثر على سير الأحداث تأثيرًا كبيرًا.

٢- أحداث المسلسل

توضح أحداث المسلسل طبيعة الحياة المستقرة التى تعيشها أسرة «إسماعيل حافظ»، وهى أسرة تعيش حياة متوسطة، فعائلها كان يعمل ـ قبل إحالته إلى المعاش ـ موظفًا بوزارة الداخلية، ويبحث عن عمل يشغل به وقت فراغه من ناحية، وليستطيع مواجهة ظروف أبنائه الذين وصلوا إلى مرحلة الزواج ويحتاجون إلى مصروفات إضافية من ناحية أخرى.

أما «صفية» فهى ربة أسرة ولا تعمل، وتعتمد على دخل زوجها فى إدارة شئون البيت المالية، وهى لا تحمل للدنيا هَمـًّا، حيث يوفر لها الزوج كافة مطالبها ومطالب الأسرة.

أما «نجوى» ـ الشخصية المحورية فى المسلسل ـ فهى تحب «صفوان» زميلها الذى يسبقها فى الجامعة، والذى يبدو أكثر اعتدالاً فى مشاعره نحوها، والذى يقرر السفر بعد تخرجه لكى يبنى مستقبله بدون أن يعدها بشىء أو يطلب منها انتظاره، وتودعه «نجوى» فى المطار دون أن تخبر أسرتها عن العلاقة العاطفية التى تربطها به، ولكنها لا تستطيع أن تتخلص من حبها له أو تقلل من شدة مشاعرها نحوه.

ويتقدم للزواج من نجوى الدكتور «سعيد» ـ أستاذها بالجامعة الذى يعرفها من خلال قاعات المحاضرات ويُكِنُّ لها إعجابًا شديدًا ـ ولا يفاتحها فى الأمر، ولكنه يلجأ مباشرة لأسرتها طالبًا يدها.

وتقبله الأسرة وترحب به ترحيبًا شديدًا، حيث أنه - من الناحية الموضوعية - يعد شخصًا مناسبًا كزوج للمستقبل، وتضطر نجوى إلى قبوله على مضض، فهى لا تملك مفاتحة أسرتها بشأن مشاعرها الحقيقية أو ارتباطها بشخص آخر، وتتم الخطبة فى جو غاية فى التقليدية.

ولا تستطيع «نجوى» مسايرة خطيبها لأنها ما زالت متعلقة بـ «صفوان»، ونجدها تفكر فى فصم العلاقة، ولكنها لا تملك من أمر نفسها شيئًا ولا تستطيع أن تأخذ قرارًا إيجابيًّا، إلا أنها تقرر ذلك بعد فترة، بعد أن اكتشفت بخله الشديد وشخصيته المملة السخيفة، فتخبره بعدم رغبتها فى الزواج منه وتقطع علاقتها به.

ويثور الأب على ابنته ثورة عارمة لاتخاذها قرارًا بفسخ خطبتها دون الرجوع إليه أو استئذانه، ويهم بضربها لولا تدخل الأم، التى تحزن حزنًا شديدًا على فسخ الخطبة، حيث تبدو متعجلة لزواج ابنتها، غير متفهمة لمشاعرها الحقيقية.

وبعد أن تترك «نجوى» الدكتور «سعيد»، يتقرب إليها «شريف» المعيد فى نفس كليتها، وتنجذب هى إليه بعض الشىء غير متنبهة إلى ألاعيبه الكثيرة وأساليبه غير الأخلاقية، وتكتشف بعد فترة محاولته للإيقاع بها، وتصدم مرة أخرى بعد أن تعرف حقيقته، فتتركه نهائيًّا بعد أن تلجأ إلى أخيها الأصغر لطلب النصح والمشورة.

وتتجه «نجوى» بعد أن تترك «شريف» إلى عريس آخر هو «نادر»، المهندس الناجح حديث التخرج الذى كان جارًا لها منذ الصغر، إلا أنه لا يجد منها قبولاً على الرغم من ترحيب أسرتها به، نظرًا لخضوعه الكامل لسيطرة والدته التى انقطعت لتربيته بعد وفاة والده، وتنتظر منه أن يكون بارًّا بها، لذا فهى تتولى عنه اتخاذ جميع القرارات بما فيها اختياره لزوجة المستقبل.

وتتركه «نجوى» بعد أن تشعر بضعف شخصيته، فتفتح أمامه بذلك عالمًا جديدًا يدفعه إلى التمرد على سلطة والدته والرغبة فى أن يستقل تمامًا عنها.

وتعمل «نجوى» بعد التخرج فى مكتب «مدبولى» الذى التحق به والدها بعد إحالته إلى المعاش، ويعمل ذلك المكتب فى الاستيراد والتصدير، ولكنه يلجأ إلى أساليب غير قانونية.

ويعجب «مدبولى» بـ «نجوى» أشد الإعجاب، ويقنعها بالزواج منه بعد أن يقنعها بعصاميته، إلا أن والدها لا يوافق لعدم التكافؤ الثقافى بينهما، ولكن «نجوى» أصرت على الزواج منه، وبالفعل تتزوجه، وتعيش لفترة متمتعة بثرائه الفاحش، ولا تكتشف شخصيته الحقيقية إلا بعد أن تصبح حاملاً، ويرفض «مدبولى» هذا الحمل ويحاول أن يجهضها بشتى الطرق، وترضخ «نجوى» لرغبته فى إجهاضها، إلا أن حياتها تتعرض للخطر وتسوء حالتها النفسية، فتعود للحياة لدى أسرتها حيث تنجب ابنتها «رانيا»، ويتولى الأب (والد نجوى) رعايتها ورعاية ابنتها، ويعتبر نفسه مسئولاً عنهما معًا.

ويقبض على «مدبولى» بتهمة المتاجرة فى العملة بمساعدة سكرتيرته التى تعمل مرشدة للبوليس، ويدخل إلى السجن، وترفض «نجوى» طلب الطلاق من زوجها حتى يرسل لها هو ورقة طلاقها، ويقنعها والدها بفتح صفحة جديدة من حياتها وأن تنسى تمامًا ما حدث لها مع زوجها السابق.

وتبحث «نجوى» عن عمل جديد، وتجد وظيفة مناسبة لها فى شركة تعمل بها صديقتها «سميرة»، فتتعرف على «ناجى»، المهندس فى نفس الشركة، والذى تزوج من قبل فى ظروف تقليدية ودون معرفة كافية بزوجته التى لم يقتنع بها اقتناعًا كافيًا، والتى تتوفى بعد أن تترك له ابنًا فى حاجة إلى رعاية الأم.

وتقترب «نجوى» من «ناجى» وتقتنع به كما يقتنع هو بها تمامًا، ويتفقان على

الزواج بعد معرفة كافية، وبعد أن وحدت بينهما الظروف المتشابهة والاختيار الهادئ الذى لم يتدخل فيه أحد سوى الطرفين أصحاب الأمر والحياة المشتركة.

وبذلك يوجه هذا المسلسل رسالة إلى المشاهدين، فحواها أن الاختيار فى الزواج يجب ألا يتم بتعجل، فهو يحتاج إلى توفر عناصر متعددة، فالحب وحده لا يكفى إذا كان الشخص المحبوب غير مستعد للزواج بدرجة كافية، ولم يَبْنِ مستقبله. كما أن الوظيفة البراقة المستقرة والمستقبل المضمون لا يعتبران كافيين إذا لم يتوفر الحب والتفاهم. كما أن المعرفة السابقة والتقارب العائلى لا يمكن أن تبنى عليه حياة زوجية ناجحة إذا لم تكن شخصية الخطيب شخصية ناضجة مستقلة. كما أن المال بمفرده لا يكفى لإنجاح الحياة الزوجية إذا لم يتوفر شرط التكافؤ بين الزوجين، وإنما يحتاج الأمر إلى توفر عدة عناصر، من أهمها الاختيار الهادئ المتأنى الذى يعتمد على التفاهم والتقارب والتشابه فى النظرة إلى الأمور، والتقارب الشخصى، وتوحد الأهداف والمشارب.

٣- الأحداث الأساسية

من خلال الحلقات الاثنتى عشرة لهذا المسلسل، تم استخلاص الأحداث الرئيسة لكل حلقة من حلقاته، حيث اعتبرت وحدة التحليل هى الحلقة الواحدة، وتراوحت الأحداث الرئيسة ما بين ثلاثة إلى سبعة أحداث فى الحلقة الواحدة بما شكل ٥١ حدثًا أساسيًّا على مستوى العمل الدرامى ككل.

ويوضح جدول رقم (٢) الأحداث الأساسية فى الحلقات الاثنتى عشرة، والتى تمثل حصيلة ما اتفق عليه المحللون، وما تم تحكيمه من قبل المحكمين..

جدول رقم (٢)

درجات الاتفاق بين المحللين فى استخلاص العناصر الأساسية

الحلقة الأولى	درجة الاتفاق	الحلقة الثانية	درجة الاتفاق
١ - تقوم الأم بكافة الأعباء المنزلية للأسرة.	٣ر٥	١ - الأب صاحب القرار فى زواج ابنته.	٣ر٥
٢ - تحتاج الأم إلى التوجيه المستمر من الأب.	٣	٢ - يشجع الوالدان الزواج التقليدى للابنة.	٣
٣ - لا تصارح الفتاة أسرتها بحبها لشخص يناسبها.	٤	٣ - تقبل الفتاة من تقدم للزواج منها إذا تركها من تحب بدون وعد بالزواج.	٣ر٥
٤ - تستنكر الفتاة سفر من تحب بدون وعد بالزواج.	٣	٤ - إن أكثر ما يهم الأم هو أن تتزوج ابنتها.	٢ر٥
٥ - لا يستنكف الزوج تكليف زوجته بكل ما يحتاج إليه من خدمات داخل البيت.	٤	٥ - تسعد الأم إذا بدت جميلة وفى عمر بناتها.	٢ر٥
٦ - لا تملك الزوجة المعلومات والمعارف الكافية عن حقائق الحياة.	٢ر٥		
٧ - يتسم سلوك الأم باللهفة الشديدة على أبنائها.	٣		

الحلقة الثالثة	درجة الاتفاق	الحلقة الرابعة	درجة الاتفاق
١ - لا تستطيع الفتاة أن تنسى من تحب حتى إذا خطبت لغيره.	٤	١ - ليس من حق الفتاة أن تتخذ قرارًا فى شأن حياتها المستقبلية بدون الرجوع إلى رأى الأسرة.	٢ر٥
٢ - تلجأ الفتاة إلى الاستعانة برأى أخيها فى مشكلاتها وترى أنه أكثر منها حكمة.	٣	٢ - الأب هو صاحب القرار فيما يتعلق بمستقبل زواج ابنته.	٤
٣ - تتردد الأسرة فى فصم خطبة ابنتها حتى إذا أظهر الخاطب سيئات لا يعرفونها عنه.	٣	٣ - سلبية الأم لا تساعدها على الإسهام فى اتخاذ قرار فيما يتعلق بحياة ابنتها.	٣
٤ - تهتم الفتاة بالأمور المادية وتسعد بالهدايا غالية الثمن.	٢ر٥		

تابع جدول رقم (٢)

درجات الاتفاق بين المحللين فى استخلاص العناصر الأساسية

الحلقة الخامسة	درجة الاتفاق	الحلقة السادسة	درجة الاتفاق
١- تنساق الفتاة وراء العبارات المعسولة وتصدق كلمات الحب.	٢ر٥	١- تعتقد الفتاة أن سبب فشل خطبتها هو تدخل والدها وعدم وضع رأيها موضع الاعتبار.	٢ر٥
٢- يسهل التغرير بالفتاة حتى إذا كانت متعلمة.	٣ر٥	٢- لا تستطيع الفتاة أن تواجه أسرتها برأيها الخاص فيما يتعلق بزواجها.	٣
٣- تسرع الأم إلى تزويج ابنتها إذا كان لها خبرة فشل سابقة.	٣	٣- تعتقد الأسرة أن حياة الابنة الزوجية أهم من أى شيء آخر.	٣
٤- من حق الأخ أن يتدخل فى حياة شقيقته إذا لم يعجبه سلوكها.	٢ر٥	٤- تتغير شخصية الفتاة السلبية بعد أن تكتشف سلبية من تقدم للزواج منها.	٢ر٥
		٥- إذا انفردت الأم بتربية ابنها فرضت سيطرتها عليه.	٣

الحلقة السابعة	درجة الاتفاق	الحلقة الثامنة	درجة الاتفاق
١- لا تتدخل الأسرة فى زواج أبنائها كما تتدخل فى زواج بناتها.	٤	١- لا يوافق الأب على زواج ابنته من شخص غير متعلم.	٣
٢- عندما تختار الفتاة للزواج لا تختار من تحب، ولكن من هو مستعد ماديًّا.	٣	٢- تقتنع الفتاة بالشخص الغنى الناجح حتى إذا كان أقل منها تعليمًا.	٢ر٥
٣- يتدخل الأب فى كل ما يتعلق بحياة ابنته حتى فى عملها.	٣ر٥	٣- تتصدى الفتاة لاختيار من تتزوجه إذا ثبت أن اختيار الأهل لأشخاص سابقين لم يكن موفقًا.	٣ر٥
٤- يظل الأب متحملاً لمسئولية ابنته حتى بعد أن تتزوج.	٢ر٥		

تابع جدول رقم (٢)

درجات الاتفاق بين المحللين فى استخلاص العناصر الأساسية

الحلقة التاسعة	درجة الاتفاق	الحلقة العاشـــرة	درجة الاتفاق
١- تحاول الزوجة المتزوجة حديثًا أن ترضى زوجها وتحقق رغباته إلى الحد الذى يعرض حياتها للخطر.	٢ر٥	١- تثق الزوجة المتزوجة حديثًا فى رأى والدها فيما يعترضها من مشكلات مع زوجها.	٣
٢- تلجأ الفتاة إلى أسرتها إذا تعثرت حياتها مع زوجها.	٤ر٥	٢- ترفض الزوجة التخلى عن زوجها فى محنته أثناء سجنه.	٣,٥
٣- يظل الأب مشغولاً بمشكلات بناته حتى بعد زواجهن.	٣ر٥	٣- يتولى الأب مسئولية الابنة والحفيدة بعد سجن الزوج.	٤
٤- إنجاب الابن الذكر يدخل السعادة على قلب الأسرة.	٣	٤- ينحصر إسهام الأم فى محنة ابنتها فى المساعدة فى خدمة البيت.	٤

الحلقة الحادية عشرة	درجة الاتفاق	الحلقة الثانية عشرة	درجة الاتفاق
١- لا تلعب الأم دورًا فعالاً فى الإسهام فى حل مشكلة ابنتها.	٣	١- إذا فكرت المرأة المطلقة فى الزواج فإنها تبحث عن شخص تتشابه ظروفها مع ظروفه لكى تتزوجه.	٢ر٥
٢- تبذل الابنة جهودًا مكثفة للتخلص من سيطرة والدها عليها.	٣ر٥	٢- إذا فشلت الحياة الزوجية الأولى للمرأة فإنها تتأنى فى اختيارها الثانى.	٣ر٥
٣- يبحث خريج الجامعة الفقير عن سيدة غنية لكى يتزوجها.	٤	٣- يساعد العمل والاستقلال الاقتصادى المرأة على أن تتخذ قراراتها بنفسها.	٤
٤- تشعر الزوجة التى طلقت أن أسرتها تضيق الخناق عليها لكونها مطلقة.	٤		

٤- الأنماط السلوكية المقبولة من خلال أبعاد السلوك

تضمنت المادة الدرامية التى احتوى عليها مسلسل «وجوه للحب» العديد من المواقف السلوكية التى تفسر سلوك كل من المرأة والرجل من زوايا متعددة، وقد لاحظنا أن سلوك كل منهما يأتى متناقضًا فى بعض الأحوال. وبهدف إبراز الفروق النوعية وتحديد الأنماط السلوكية المقبولة؛ آثرنا استخدام الأبعاد السلوكية. ونعنى بالبعد فى دراستنا هذه أنه إحصاء مختصر، يهدف إلى تركيز المادة وتبويبها وتنظيمها فى كل شامل، يمكن من خلالها وصف المتغيرات الكثيرة التى تشملها الأحداث من خلال تلك الأبعاد.

والبعد يمتد سلبًا وإيجابًا أو تدرجًا بين طرفى قطبين متعارضين، وبالتالى يمكن من خلاله أن يحدد عليه موضع لكل حدث سلوكى، ويوضح هذا الموضع ما إذا كان ذلك الحدث أقرب إلى أحد القطبين أم إلى القطب الآخر.

وعلى الرغم من أن البعد مفهوم رياضى، إلا أنه يستخدم أحيانًا فى مجال العلوم السلوكية، وقد استخدم بنجاح فى مجال الشخصية على وجه الخصوص، فكل سمة سلوكية (فيما عدا القدرات) يمكن تصورها من خلال بعد يمتد من قطب إيجابى إلى قطب مقابل له، ويمثل كل قطب منهما نهاية متصل واحد، ويتخلل هذا المتصل مواقع مختلفة على طول هذا المتصل. ويعنى ذلك أن الفروق بين الأفراد إنما هى فروق فى الدرجة وليست فروقًا فى النوع، كما يعنى أيضًا أن كل شخص يمثل نقطة على ذلك المتصل أو الخط الممتد من قطب إلى آخر، وأن السمة السلوكية الواحدة إنما هى متوفرة لدى جميع الأفراد؛ ولكن بدرجات متفاوتة.

ومن خلال متابعتنا لهذا العمل الدرامى؛ أمكن لنا التوصل إلى بعدين أساسين للسلوك، هما:

أولاً : بعد الإيجابية / السلبية: وهو البعد الذى يمتد من السلوك الإيجابى وينتهى بالسلوك السلبى.

ثانيًا : بعد العقلانية / العاطفية: وهو البعد الذى يمتد من السلوك العقلانى وينتهى بالسلوك العاطفى.

ومن خلال هذين البعدين أمكن استخلاص الأنماط المقبولة لكلٍ من سلوك المرأة وسلوك الرجل، حيث كان لسلوك كلٍ منهما موضع على كل بعد من هذه الأبعاد. وقد أدى تحليل المضمون - استنادًا إلى استخدام أسلوب أبعاد السلوك - إلى إظهار مزيد من الفروق النوعية والنمط السلوكى المقبول لكلٍ من المرأة والرجل، كما سيبدو ذلك من التحليل الكيفى الذى سنستعرضه فى الخطوات القادمة.

• أولاً: بعد الإيجابية / السلبية

يتمثل قطب الإيجابية فى الاستقلال والاستغناء عن مساعدات الآخرين، والقدرة على التصدى للأمور ومراجعة المواقف دون انتظار لمبادرات خارجية أو انسياق وراء حلول مستمدة من الغير، كما أنه يتضمن أيضًا القدرة على اتخاذ القرارات بأسلوب إرادى فعال يتسم بالفاعلية والحسم.

فى حين يتمثل قطب السلبية فى صورة من يحتاج دائمًا إلى سند وعون من خارج الذات وليس من داخلها، وفيمن يتوقع أن تأتى المبادرات من خارجه وينصاع إلى الحلول التى تصدر عن الآخرين نظرًا لضعف القدرة على اتخاذ القرارات أو التفكير السليم فى الأمور، كما يتمثل أيضًا فى الضعف وعدم القدرة على مواجهة المشكلات الصعبة أو غير المتوقعة، والفشل فى التكيف السليم معها.

وبتحليل مضمون مادة المسلسل محل الدراسة استنادًا إلى بُعد السلبية/ الإيجابية، نلاحظ الفروق الواضحة فى الأنماط السلوكية المقبولة لكل من الجنسين التى يمكن إرجاعها إلى الاختلاف فى نوعى الجنس بصفة أساسية. فلقد بدا سلوك الشخصيات الذكرية سلوكًا يتسم بالإيجابية فى الكثير من

المواقف، وعلى العكس من ذلك بدا النمط السلوكى للشخصيات النسائية يتسم بالسلبية فى أغلب المواقف.

ولعل استعراضًا سريعًا لأحداث المسلسل توضح أمامنا هذا الأمر بجلاء، فإذا قمنا بمقارنة - على سبيل المثال - بين سلوك الأب وسلوك الأم من سياق الأحداث؛ لهالنا الفرق بين الشخصيتين، فلقد صُوِّرَ الأب فى صورة من يحمل مسئولية أسرته دائمًا، كما كان الشخص الفاعل والعنصر الحاكم فى الموقف، فهو الذى يفاتح ابنته فى أمر من يتقدمون لخطبتها (حلقة ١)، وهو الذى يقابل هؤلاء الخاطبين (حلقة ١ ، ٦) ويناقشهم ويأخذ القرار، ويوضح الصواب والخطأ لابنته، وهو الذى يوجهها ويساعدها فى اتخاذ قراراتها، بل ويحدد لها أيضًا خطوات سيرها فى العمل (الحلقة ٦). كما أنه هو الذى يقف إلى جوارها فى محنتها (حلقة ١٠)، ويتولى شئونها وشئون ابنتها بعد أن يسجن الزوج ليصبح هو العائل لكليهما. ولا يقتصر الأمر على هذا، بل تمتد إيجابيته لتشمل رعاية شئون ابنته المتزوجة ومحاولة رفع شأن زوجها بإتاحة فرص عمل تفتح أمامه أبواب الرزق.

كما نجده يقف مساندًا مكاتفًا لابنه المتزوج فى المحنة التى تعرضت لها زوجته، فيقف إلى جوارها ويساعدها ويساندها أثناء الوضع، على الرغم من أن ذلك الموقف كان يحتاج إلى سيدة تتفهم وضع زوجة الابن التى كانت فى موقف تحتاج فيه إلى امرأة أكثر مما تحتاج فيه إلى رجل قد لا يملك الخبرة فى تلك الأمور.

وعلى النقيض من ذلك، نجد سلوك الأم الذى اتسم بالسلبية على مدار حلقات المسلسل على الرغم من وجود العديد من المواقف السلوكية التى كان من الممكن أن تظهر من خلالها إيجابيتها، فقد كانت ترى ابنتها تعانى من صدمتها العاطفية فى الحلقة الأولى من المسلسل بدون أن تتدخل أو تعى أسباب اضطراب ابنتها. كما وجدناها تقف موقف المتفرج أمام حيرة ابنتها وعدم قدرتها

على اتخاذ قرار فيما يتعلق بقبول أو رفض من تقدم للزواج منها (الحلقة ١) وعندما وافقت الابنة على العريس المتقدم لها ووجدت نفسها لا تستطيع التجاوب معه، لم تعاونها الأم على حسم الموقف، كذلك لم توضح أمامها قضية زواجها من شخص لا يكافئها فى المستوى الاجتماعى الاقتصادى. كما لم نجد لها أثرًا حينما تعرضت ابنتها لأزمة دخول زوجها إلى السجن أو طلاقها منه، على عكس المتوقع من أى أم تتعرض ابنتها لمثل تلك الظروف القاسية.

كذلك لم نجد لها إلا وجودًا هامشيًّا فى المواقف السلوكية التى تقتضى وجود الأم بالذات، مثل موقف إنجاب الابنة، أو تعرض زوجة الابن لمشكلات صحية تتعلق أيضًا بأمور الإنجاب، بل على النقيض وجدنا الأب موجودًا دائمًا، وكان فى وجوده إيجابيًّا يملك القدرة على التصرف حتى فى تلك المواقف التى تحتاج إلى وجود الأم جوار ابنتها أو زوجة ابنها.

وإذا انتقلنا من الأم إلى الابنة لكى نتناول بالتحليل أبعاد شخصيتها، لوجدناها قد بدت أيضًا سلبية فى أغلب المواقف التى تعرضت لها، فقد وقفت موقفًا سلبيًّا حينما تركها من تحب وسافر لكى يبنى مستقبله فى الخارج، كما وقفت موقف المتفرج أمام اتخاذ أبيها لقرار قبول الخطيب الذى تقدم لها على الرغم من معاناتها العاطفية التى لم تتخلص منها بعد. كما نجدها أيضًا تقف موقفًا سلبيًّا عندما يحاول الزوج «مدبولى» أن يجهضها لأنه لا يريد أبناءً، فتوافقه على ذلك حتى لا تغضبه على الرغم من معرفتها التامة بأن ذلك سيعرض حياتها للخطر.

كما نجدها «تواجه» محنة سجن زوجها وطلاقها منه بالبكاء المتواصل وبلجوئها إلى والدها لكى يتولى عنها كافة المسئوليات.

وتلخص «نجوى» الموقف برمته محددةً مدى سلبيتها فى عبارة واحدة تذكرها عن نفسها فى الحلقة السادسة، تقدم بها مبررات رفضها لخطبة المهندس «نادر» جارهم القديم قائلة: «الراجل اللى أنا عايزاه، عايزة هو اللى يفرض شخصيته عَلَىَّ مش أنا اللى أفرض شخصيتى عليه!».

وعلى النقيض من ذلك؛ نجد الشخصيات الذكرية المتفاعلة معها فى تلك المواقف تتصرف بشكل إيجابى ينم عن القدرة على اتخاذ القرارات وتحديد المصير، سواء كان ذلك فيما يتعلق بالحبيب الذى اتخذ قراره وسافر ليبنى مستقبله، أم بالنسبة لأستاذ الجامعة الذى كان إيجابيًّا فى اتخاذه لقراراته، سواء بالتقدم إليها أو بقبول قرار تركها، أم بالنسبة لـ «شريف» الذى استطاع أن يخطط ويرسم سياسة للوصول إلى قلبها، أم بالنسبة لـ «مدبولى» الذى قرر أن يتزوجها منذ أن رآها، واستطاع بإيجابية أن يقنعها بالزواج منه على الرغم من الفارق بينهما.

وعلى صعيد آخر، فإذا ما قارنا بين سلبية «نجوى» - فيما يتعلق بالمواقف التى تعرضت لها إبان اتخاذ قراراتها المتعلقة بحياتها المستقبلية - ومدى التخبط الذى واجهته، والخبرات الفاشلة التى واجهتها، بأخيها «نصر» الذى كان إيجابيًّا فى اتخاذ القرارات بشأن الفتاة التى أراد الارتباط بها، وأسلوبه المباشر فى اختياره لها، وتوجهه مباشرة إلى أسرتها لخطبتها حتى قبل أن يخبر أسرته، ثم نجاحه وتوفيقه فى ذلك الاختيار وفى القدرة على بداية حياة سوية خالية من المشكلات ومن تكرار خبرات الفشل.. إذا قمنا بهذه المقارنة لوجدنا أن البون كان شاسعًا بين إيجابية «نصر» واتخاذه لقراراته، وسلبية «نجوى» ووقوفها كمتفرجة حتى فى أخص شئون حياتها.

أما الشخصية النسائية الإيجابية الوحيدة فى هذا المسلسل والتى صورت فى قدرتها على تسيير الأمور واتخاذ القرارات، فقد بدت شخصية مسيطرة تبعد كثيرًا عن السواء، وقد جاءت تلك الإيجابية مقترنة بالتسلطية البالغة.. ظهر ذلك من خلال شخصية الأم التى سيطرت سيطرة كاملة على ابنها إلى الحد الذى ربته ضعيف الشخصية، خاضعًا لها خضوعًا تامًّا، بما أدى إلى عدم قدرته على بناء حياة زوجية سوية مع من أحبها لفترة طويلة ،وتقدم للزواج منها (الحلقة السادسة).

ومن خلال أسلوب الخطاب المتداول نستطيع أن نستشف ذلك صراحة، فنجد الأم فى معرض تقديمها ابنها لأسرة العروس تذكر: «أنا قعدت بابنى من غير جواز وفردت جناحاتى وضللت عليه، ووقفت عمرى عشانه!»، وكأن ما فعلته ميزة وليس عيبًا، وكأنها ليست واعية على الإطلاق بأن ذلك يمثل هدمًا لشخصيته.

كما نجد الأم تذكر عبارة أخرى للعروس تنم عن ذات التسلطية التى تتصف بها الأم، وهى: «نادر ماطلعش من تحت جناحى وما يقدرش» (الحلقة الخامسة).

ونستطيع أن نقول فيما يتعلق ببعد السلبية / الإيجابية؛ إن جميع الشخصيات النسائية كان يغلب عليها النمط السلبى فى أغلب المواقف، فى حين بدت الإيجابية متمثلة فى الشخصيات الذكرية.

• ثانيًا: بعد الانفعالية / العقلانية:

وهو أيضًا بعد ثنائى الأقطاب، يمتد على متصل يبدأ من الانفعالية المتطرفة وينتهى بالعقلانية التامة. ويقصد بقطب الانفعالية، الإشارة إلى السلوك المبنى على المشاعر الوجدانية تجاه الآخرين فى المواقف المختلفة، والإغراق فى هذه المشاعر، والسلوك وفقًا لها، مع إغفال العوامل الموضوعية، أو عدم القدرة على تخطى الموقف الانفعالى، أو التمييز بين الاعتبارات الواقعية.

وعلى النقيض من ذلك يأتى قطب العقلانية، ونعنى به القدرة على التعامل أو السلوك فى ضوء العوامل الموضوعية والمنطق، مع النظر إلى الذات باعتبارها عنصرًا أو متغيرًا ينظر له من الخارج، مع محاولة استبعاد وتخطى الحالة الوجدانية الخاصة.

ومن خلال فحص المادة موضع التحليل، لوحظ أن المواقف السلوكية المتعلقة بقطب الانفعالية قد انحصرت فى مواقف بعينها، مثل الانفعالية فى اتخاذ القرار أو فى النظر إلى الأمور، أو التناقض الوجدانى الشديد، أو فى الارتباط المبالغ فيه بالأفراد المحيطين. كذلك فقد ظهرت تلك

المـــواقف السلوكية وكأنها مواقف مضادة للمواقف السلوكية المتعلقة بقطب العقلانية.

وقد أظهر التحليل أن النمط المقبول لسلوك الرجل هو النمط العقلانى بوجه عام، أما النمط المقبول لسلوك المرأة فهو النمط العاطفى فى أغلب المواقف.

فإذا قمنا بمقارنة دور الأم (صفية) بدور الأب (إسماعيل) فى المسلسل، لوجدنا تناقضًا كبيرًا بين الشخصيتين على بعد العاطفية / العقلانية، فقد صورت الأم فى صورة الملهوفة دائمًا على أبنائها إلى درجة تفقدها القدرة على الحكم الصائب على الأمور، فنجدها تتصرف بطريقة ساذجة تخلو من تقدير مصالحهم، إذ تعمل على إبقاء ابنها معها على الرغم من ارتباطاته بعمله، كما تبدو ملهوفة على ابنتها التى تلد بعيدًا عنها، بما يعجزها تمامًا ويفقدها القدرة على التفكير الصائب (الحلقة الأولى)، فى حين نجد الأب وقد صور بأسلوب شديد العقلانية، فهو الذى يوجه زوجته ويعمل على التقليل من عاطفيتها المفرطة، وهو الذى يخطط ويدبر بأسلوب يتسم بالحكمة والقدرة على الفهم الواعى للأمور.

وعلى الرغم من العاطفية الشديدة التى صورت بها الأم، إلا أن تلك العاطفية قد بدت فى جانبها السلبى، أى العاطفية التى تخلو تمامًا من حساسية الحكم على المشاعر التى يتميز بها النمط العاطفى من الأفراد، فقد بدت الأم فى الحلقة الأولى والثانية والسادسة سعيدة بخطبة ابنتها، غير مقدرة لحالة الاكتئاب التى تنتابها، وكأنها لا تستطيع تقدير مشاعرها الحقيقية أو معرفة الأسباب التى دعت إلى هذا الاكتئاب، كما لم تكن - حتى كأى أم عادية - قريبة من ابنتها مقدرة لمشاعرها، وبدت سعيدة بالخطبة وكأن غاية أمنياتها هو زواج ابنتها، بصرف النظر عن مشاعرها الحقيقية أو قبولها لتلك الخطبة.

وكما كان سلوك الأم مغرقًا فى العاطفية، بدا كذلك أيضًا سلوك ابنتها «نجوى»، الشخصية المحورية فى المسلسل. ونستطيع أن ندرك أيضًا تلك

العاطفية إذا قورنت بشخصية «صفوان» الذى تحبه، فبينما «نجوى» تستثيرها عواطفها المتأججة نحو من تحب، يبدو هو واثقًا من نفسه، مقدرًا لظروفه، يرسم طريق مستقبله بوضوح منذ تخرجه، حيث يستعد للسفر إلى الخارج لأنه يعتقد أن سفره إلى الخارج يمثل بداية الكفاح من أجل مستقبل أفضل، ويحزم أمره ويسافر بالفعل بدون أن يعدها بشىء، حيث يطلب منها عدم تعجل الأمور حتى يقف على أرض صلبة. وعلى الرغم من وضوح «صفوان» وعقلانيته، نجد أن «نجوى» تظل مرتبطة به، تسترجع ذكرياتها معه، على الرغم من إدراكها بأنه تركها إلى غير رجعة، مما أفسد عليها حياتها واختيارها لطريقها فيما بعد.

ثم نجدها تتخبط فى اختيارها للزواج فيما بعد، حيث تقبل فى غمرة إحساسها بالإحباط العاطفى خطبة الدكتور «سعيد» أستاذها فى الجامعة الذى لا تحمل له أى مشاعر عاطفية.

وعلى الرغم من قبولها لتلك الخطبة دون تفكير أو تَرَوٍّ، تؤكد أحداث المسلسل أن الدكتور «سعيد» قد سأل عنها وعن أسرتها وتصرفاتها داخل الجامعة وخارجها، وعرف ظروفها جيدًا بأسلوب عقلانى مدروس قبل أن يتقدم لخطبتها (الحلقة الثانية والثالثة). ولم يكن غريبًا أن تنتهى تلك الخطبة بالفشل!

وتقع «نجوى» مرة أخرى فى الخطإ نتيجة لعاطفيتها وعدم تدبرها للأمور، ويبدو ذلك حينما يتقرب إليها «شريف» المعيد بالكلية التى تدرس بها، حيث تجذبها إليه عباراته المعسولة، فتتأثر به عاطفيًّا ولا تدرك مدى ما ارتكبته من خطإٍ إلا بعد دخولها معه فى تجربة فاشلة تنتهى بفصم العلاقة بينهما.

وعلى الرغم من تلك العاطفية الساذجة التى تصور بها «نجوى»، نجد على الطرف الآخر «شريف» الذى - على الرغم من محاولاته المغرضة - تظهر

منطقيته المتناهية وعقلانيته، التى تتضح من خلال رسمه لسياسة محكمة يهدف من ورائها إلى الإيقاع بـ «نجوى»، مستخدمًا فى ذلك ذكاءه الشرير وقدرته التأثيرية الكبيرة (الحلقة الخامسة).

وتخرج «نجوى» من علاقة فاشلة إلى أخرى أكثر فشلاً، حيث تنجذب إلى «مدبولى» الذى يرسم لنفسه صورة تخالف حقيقته ليحظى باهتمامها وحبها، وبالفعل تنجذب «نجوى» إليه وتقرر الزواج منه على الرغم من الفارق الثقافى بينهما، ولا تعرف حقيقته وأسلوبه المخادع فى التحايل على القانون إلا بعد أن تتزوجه وتنجب منه.

وهنا تبدو المقارنة واضحة، فـ «مدبولى» يبدو عقلانيًا مخططًا، على الرغم من أنه لا يحمل شهادات تعليمية، «ونجوى» تبدو عاطفية مندفعة لا تقدر الأمور حق قدرها، وهى الفتاة الجامعية التى تتمتع بذكاء لا بأس به (الحلقات ٨، ٩، ١٠).

وعلى محور آخر يمكن عقد مقارنة أخرى بين «نجوى»، و«منير» شقيقها الأصغر الذى تلجأ إليه دائمًا فى حل مشكلاتها طالبة النصح والمشورة التى يقدمها لها بأسلوب عقلانى متزن وكأنه العالم ببواطن الأمور والمدرك لكل شىء، هذا على الرغم من أنه الأخ الأصغر لـ «نجوى» الذى حصل على الثانوية العامة بعد خبرات فشل تكررت خمس مرات متوالية، وهى الأخت الكبرى التى اجتازت سنوات الجامعة بلا أدنى مشكلات. كما نراها ـ حتى بعد أن التحقت بعمل ثم تزوجت وأنجبت ـ لا تتوانى عن طلب النصح والمشورة من ذلك الأخ الذى يتسم برجاحة العقل، والذى يقوم دائمًا بتصويب الأخطاء التى توقع نفسها فيها.

وإذا أمعنا النظر؛ نجد أن «نجوى» لم تلجأ فى حل مشكلاتها لغير أبيها أو أخيها، فى حين لم نجدها مرة واحدة تلجأ لأمها طالبةً معاونتها فى حل مشكلاتها الكثيرة التى ما فتئت تقع فيها دائمًا.

وعلى صعيد آخر؛ يقدم لنا المسلسل نموذجًا آخر للعاطفية، يختلف جملةً

وتفصيلاً عن النماذج السابقة، ويتمثل فى نموذج العاطفية المسيطرة الذى تصوره الجارة القديمة للأسرة، والتى تريد أن تخطب «نجوى» لابنها «نادر» الذى قامت بتربيته بعد وفاة أبيه وهو ما يزال رضيعًا. فنجدها سيدة شديدة التسلط، تحكم سيطرتها على ابنها بدافع الحب والخوف والرعاية والعاطفية المفرطة، فتخلق منه شخصية ضعيفة سلبية خاضعة لا تستطيع تحمل المسئولية، فينشأ لا يملك التصرف بعيدًا عن والدته، بما يدفعه إلى ترك البيت والتمرد على الأم بعد أن فتحت أمامه تجربته مع «نجوى» عالمًا جديدًا بعيدًا عن قهر والدته ذات الشخصية العاطفية المتسلطة (الحلقة السادسة).

٥- تحليل العلاقات الدينامية داخل الأسرة.

وعلى محور العلاقات الدينامية داخل الأسرة، أسفر تحليل المضمون عن تواتر مسئوليتين كبيرتين ظهرتا من خلال التحليل، أولاهما: مسئولية اتخاذ القرار، وثانيتهما : مسئولية رعاية شئون البيت.

أولاً : مسئولية اتخاذ القرار

يتجه هذا المسلسل اتجاهًا خاصًّا يظهر أن السلطة الأبوية هى الأصل والأساس، وأن القرارات الهامة إنما هى أمر من اختصاص الأب أو رب البيت الذى يأخذ القرار نيابة عن الأسرة، فى حين تقوم الأم فى هذا الصدد بدور هامشى، حيث تخضع لزوجها خضوعًا تامًّا.

ومن المواقف التى يتضح من خلالها ذلك الأمر؛ موقف زواج الابنة «نجوى»، التى يتقدم أستاذها فى الجامعة إلى أبيها طالبًا يدها، غير عابئ برأيها، ودون أن يفكر فى مفاتحتها أولاً.

ويلجأ الأب بدوره إلى الأم لكى تمهد له الطريق مع ابنته، وكأن هناك حاجزًا كبيرًا بين الأب وابنته، فتفاتحها الأم فى الأمر، وتخبرها أن والدها يريد الحديث معها فى أمر مهم دون أن تفاتحها هى شخصيًّا فى ذلك الأمر، وكأن الأمور المهمة من اختصاص الأب وحده! ويفاتحها الأب بالفعل بعد أن يوجه أمرًا

لزوجته بأن تتركهما معًا قائلاً: «روحى خلينى أكلم البنت فى الموضوع المهم»، وعندما تهم الأم بالتدخل؛ يسكتها الأب بعبارة قاسية: «هش ولا كلمة» (الحلقة الأولى).

ويتأكد ذلك الموقف ويصبح أكثر قسوة حينما يحضر الخطيب لزيارة الأسرة، وحينما تهم الأم بالجلوس معها يطلب منها الأب مغادرة المكان قائلاً: «ما تروحى تقعدى بره معاهم» (الحلقة الثانية).

ويتكرر الموقف مرة أخرى فى الحلقة الثانية عندما يطلب العريس رأى والدة «نجوى» فى أمرٍ ما، فيبادره الأب قائلاً: «ماتاخدش بالك خليك معايا أنا». وتبلغ الأمور أقصى مدى لها فى ذات الحلقة عندما يكتشف الأب أن ابنته قطعت علاقتها بالخطيب الذى اختاره لها، وأنها اتخذت ذلك القرار منفردة دون الرجوع إليه، فيثور ثورة عارمة ويهم بلطمها على وجهها، لولا تدخل الأم قائلة: «إوعى تمد إيدك على البنت لأنها خلاص كبرت»! ويؤكد ذلك الموقف أن القرار هو قرار ذَكَرِى، وأن السلطة الأبوية هى الأصل والأساس.

وتتأكد السلطة الأبوية مرة أخرى فى الحلقة السادسة؛ عندما تتقدم والدة «نادر» ـ الجارة القديمة التى توفى عنها زوجها منذ فترة طويلة ـ إلى والدة «نجوى» طالبة إياها للزواج من ابنها، ولكن الأم ـ التى لا تملك سلطة اتخاذ القرار ـ تحيل الأمر برمته إلى الأب قائلة لها: «موضوع الجواز ده يبقى مع راجل البيت أحسن»! ويتدخل الأب بدوره لدفع الابنة المترددة إلى إعلان رأيها، ويهددها فى ذات الحلقة بأنه سيتخذ القرار منفردًا دون الحاجة إلى رأيها قائلاً «أنا لما حيأس حقرر أنا».

ولا تتأكد السلطة الأبوية من خلال الأم فقط، ولكن من خلال الابنة أيضًا، التى على الرغم من احتجاجها السابق على انفراد أبيها باتخاذ القرار فى شأن الخطيب السابق، والذى انتهت علاقتها به بالفشل، فإنها تلقى مسئولية اتخاذ القرار مرة أخرى على أبيها، فحينما تطلب منها والدة «نادر» - الخطيب الجديد

- فى الحلقة السابعة إبداء رأيها وحسم الأمور، تقول «نجوى»: «المحامى بتاعى هو والدى، ولما ييجى بابا اتفقى معاه».

ويتكرر الموقف مرة أخرى فى الحلقة الثامنة، وتتأكد السلطة الأبوية فى اتخاذ القرار من خلال إقرار المحيطين بتلك السلطة، فحينما يتقدم «مدبولى» لخطبة «نجوى»؛ يتقدم إلى الأب ولا يتقدم إلى «نجوى» نفسها، وحينما يسأله الأب عما إذا كان قد تحدث معها فى شأن زواجهما يقول «مدبولى»: «أنا ما أحبش أكلم الفرع وأسيب الأصل»، وكأن الأصل فى زواج الابنة هو الأب وليس صاحبة الشأن والمصير.

ونلاحظ كذلك مدى الحدة التى عامل بها الأب ابنته فى ذات الحلقة حينما أخذت قرارًا بقبول «مدبولى» زوجًا لها، على الرغم من معارضة الأب الذى احتج على هذا التصرف وأسكتها من فوره قائلاً: «اخرسى خالص بَوّ لما يخرسك».

وتمتد سلطة الأب إلى مجالات أخرى خارجة عن حدود اتخاذ القرار، بدءًا من زواج الأبناء إلى متابعة حياتهم فيما بعد. فحينما احتاجت «نجوى» فى ظل غياب زوجها إلى إجراء عملية قيصرية نظرًا لتعثر ولادتها، بحث الطبيب عن الأب لأخذ موافقته على إجراء عملية ابنته قائلاً: «فين الأب علشان يوقع على تصريح إجراء عملية قيصرية لابنته».

ولم تقتصر السلطة الأبوية فى اتخاذ القرار على شئون زواج الأبناء أو إنجابهم، ولكنه تعدى ذلك إلى مجال عملهم أيضًا، فحينما عملت الابنة فى الشركة التى يعمل بها والدها ونشأت لديها الرغبة فى الاستقلال - كما لاحظنا فى الحلقة السابعة - لم يتوان الأب عن التدخل فى تحديد مسار خطواتها فى عملها.. و على الرغم من محاولتها إفهامه بأنها أقدر على فهم عملها، لكنه أصر على التدخل مستخدمًا عبارة تنم عن ذلك قائلاً: «أنا المفروض أحدد لك خطواتك جوه العمل».

وهكذا يملك الأب سلطة اتخاذ القرار الذى لا تملكه الأم. وعلى الرغم من

سلطة الأب وحقه فى اتخاذ القرار الذى قد بدا فيما يقرب من ثمانى حلقات من الاثنتى عشرة حلقة، فإننا لاحظنا أن الأم وقد بدت فى جميع الحلقات فى موقف المتفرج الذى لا يملك سلطة اتخاذ القرار، تبدو دائمًا فى انتظار من يتولى عنها اتخاذ القرار بشأن حياتها وحياة أبنائها، وكذلك كانت الابنة التى بدت أيضًا فى موضع من ينتظر أن يُتخذ قرار بشأنه إلا فى قرارين فقط من قرارات حياتها، أحدهما يمثل فصم العلاقة بينها وبين خطيبها الأول الذى تم تأنيبها عليه تأنيبًا وصل إلى حد الضرب من قبل الأب، والقرار الثانى هو زواجها من «مدبولى» الذى يدنوها علمًا وثقافة، وجاء قرارها مفتقدًا لعنصر التكافؤ الذى يعد عنصرًا أساسيًّا فى الزواج.

وهكذا يبدو القرار وكأنما هو قرار ذكرى، وإذا ما اتخذته المرأة فلا شك أنه قرار يفتقر إلى الحكمة والكفاءة.

ثانيًا: مسئولية رعاية شئون البيت

لم يجد المحللون عناءً فى التوصل إلى أن مسئولية رعاية الأسرة والقيام بأعباء خدمة المنزل إنما هى مسئولية المرأة دون الرجل، خاصة المرأة فى موقع الأم، فقد بدا ذاك واضحًا فى العديد من حلقات المسلسل، بالإضافة إلى السياق العام الذى تسير فيه الأحداث.

ولعل ذلك أعطى الحق لشخصيات المسلسل أن يطلبوا من الأم بلا غضاضة القيام بأعباء يستطيعون هم القيام بها، بل عليهم القيام بها، وعلى رأس تلك الشخصيات شخصية الأب الذى ما فتئ يكلفها بأعمال لا تنتهى. كما يلاحظ أن أسلوب الخطاب المستخدم إنما يحمل لهجة آمرة مثل : «هاتى النظارة» (الحلقة ١)، أو «هاتى الجرنان» (حلقة ١)، أو «قومى اعملى قهوة» (حلقة ١, ٢, ٣)، أو «قومى افتحى الباب» (الحلقة ٢١).

ولم يكن من الغريب أن نرى الأم فى أغلب حلقات المسلسل وهى تحمل الصينية؛ إما لتقديمها للزوج أو للأبناء أو للضيوف. وهى تقوم بذلك العمل إما

متطوعة من جانبها أو بتكليف من الآخرين، كما وجدنا فى الحلقة الثالثة أن زوجها قد خصها بطلب خاص من أجل خدمة الضيوف: «قومى اعملى شاى لجوز بنتك» (الحلقة ٣).

ويبدو أن تلك المهمة تظل لصيقة بالمرأة فى موقع الأم حتى بعد أن يتزوج أبناؤها أو ينجبون، فتتحول من قائمة على مسئولية خدمة زوجها وأبنائها، إلى قائمة على مسئولية خدمة أزواج وزوجات أبنائها، وأيضًا أحفادها.. فنجد فى الحلقة الحادية عشرة «نجوى» وهى تطلب من أمها إعداد مشروب ساخن لرضيعتها، أو إعداد الطعام لها، أو تولى مسئولياتها ريثما تعود.. إلخ.

وتظهر الأم فى هذا المسلسل وهى مكبلة بأعباء خدمة الأسرة التى تتزايد وتتسع يومًا بعد يوم بلا مساعد أو معين، إلى الحد الذى نجدها معه تشكو مر الشكوى من كثرة أعبائها وتعددها قائلة : «أنا طول النهار عاملة زى بندول الساعة لا راحة ولا استراحة».

ولعل ذلك يدعم اتجاهًا عامًّا فى هذا المسلسل ويؤكد قضية مؤداها أن مهمة خدمة البيت والقيام على شئون أفراده إنما هو أمر من اختصاص المرأة، وخاصةً المرأة فى موقع الأمومة، لذا فليس هناك من غضاضة فى أن يتوقع منها الجميع خدمتهم بدون تقديم أى مساعدة منهم، مهما كان حجم تلك المساعدة.

٦- القيم السائدة فى أحداث المسلسل

وبإجراء تحليل المضمون اعتمادًا على محور القيم السائدة داخل أحداث المسلسل، تم استخلاص ثلاث قيم أساسية أمكن رصدها من خلال سلوك شخصيات المسلسل وآرائهم واتجاهاتهم وأفكارهم التى وردت من خلال الأحداث الجارية. وتلخصت تلك القيم فى :

أولاً : قيمة تكريس الحياة التقليدية.

ثانيًا : قيمة العمل.

ثالثًا : قيمة الزواج.

أولاً : قيمة تكريس الحياة التقليدية

سيطر على الجو العام لهذا المسلسل الاتجاه التقليدى فى تناول الأمور، وحفلت أحداثه بالاستعانة بالأمثال الشعبية وكأنها أحكام قيمية يجب الالتزام بها، تعمل فى أغلبها على حصر المرأة فى أدوار معينة دون غيرها، مثل «الجاهز أحسن، واللى ما معهوش ما يلزموش» أو «أقرصك فِى ركبتك علشان أحصلك فى جمعتك» (الحلقة الثانية). أو «اكفى القدرة على فمها تطلع البنت لأمها» (الحلقة الأولى)، أو «ادخلى برجلك اليمين علشان خير» (ذات الحلقة)، أو «قعاد الخزانة ولا الجوازة الندامة» (الحلقة التاسعة).. إلخ. ونكاد لا نجد حلقة واحدة من الحلقات الاثنى عشر قد خلت من هذه الأمثال التى تكرس أفكارًا بعينها، أو تحصر المرأة فى أدوار تقليدية أو أنماط لا تخرج عنها.

وكذلك تكاد لا تخلو حلقة واحدة من وجود شخصية نسائية تحمل صاحبتها الصينية إلى الضيوف، أو تقف فى المطبخ، أو تحضر المائدة، أو تعد طعام الأسرة.. كما نجدها فى أغلب الأحوال تتلقى الأوامر لكى تقوم بهذه المهمة، فالأب «إسماعيل» رب الأسرة لم يتوان فى أغلب الحلقات عن تكليف زوجته بالقيام بمهام يستطيع أن يقوم هو بها بلا أدنى مشقة.

وما يفعله الأب يفعله زوج الابنة أيضًا، فنجده ينهر زوجته قائلاً لها: «قومى شوفى لنا حاجة ناكلها».

ومن اللافت للنظر أن مفهوم حماية الرجل للمرأة كان هو الأسلوب الغالب فى حلقات المسلسل، ليس حماية الأب لأبنائه أو حماية الأكبر للأصغر، ولكن من الممكن أن يكون حماية الأصغر للأكبر ما دام ذلك الأصغر رجلاً. ومن الغريب أننا نجد أحيانًا أن من يطلب الحماية هى المرأة، ويبدو ذلك واضحًا فى الحلقة السابعة حينما تخاطب الأخت الكبرى أصغر أشقائها قائلة له: «يا منير

خللى بالك من الحريم» (الحلقة الثامنة)، ويكفى أن نلاحظ كلمة الحريم - والتى تكررت كثيرًا فى ثنايا حلقات المسلسل - لنعرف أسلوب الخطاب المستخدم.

وتتأكد قيمة الذكر على مدار حلقات المسلسل، فإنجاب الذكور من الأمور التى تسعد الأسرة، والمتتبع للحوار الدائر فى الحلقة التاسعة يدرك ذلك، فحينما يجىء موعد ولادة زوجة الابن يقول الطبيب: «ألف مبروك»، فيقول الأب: «ليه ولد؟»، فيجيب الطبيب: «لا، ولدين»، أى أن السعادة مزدوجة، فالمولود ليس ذكرًا واحدًا، بل ذكرين.

وتبرز أمامنا فى الحلقة الخامسة من المسلسل تلك الصورة التى يحب الرجل أن تكون عليها زوجته، حيث يقول أحد شخصيات المسلسل - وهو طالب فى الجامعة - لزميلته الطالبة الجامعية التى يحبها ويأمل فى أن يتزوجها: «أنا بأحلم ببيت أدق على بابه ألاقيكى بتفتحى الباب وبتمدى لى إيديكى المتلغمطة بالصابون، وهدومك اللى ريحتها طبيخ، وشايلة عيل على كتفك والتانى جرك من هدومك... إلخ». ومن الغريب أن تكون تلك الصورة هى ما يحلم به طالب الجامعة المتعلم فى زوجة المستقبل وشريكة الحياة خريجة الجامعة.

بل نجد أيضًا تكريسًا لتبعية المرأة للرجل فى الحوار الدائر بين «نجوى» وبين «نبيلة» التى يحبها «منير» شقيق «نجوى»، حيث تقول ناصحة «نجوى» : «المهم تشوفى زوجك بيحب إيه وتعمليه» (الحلقة ١٢).

وهكذا تسير أحداث المسلسل مؤكدةً الاتجاه التقليدى الرجعى لدور المرأة، ومدعمةً الأدوار المحددة لكلا الجنسين، وتبعية المرأة للرجل، وقيمة إنجاب الذكر.

ثانيًا : قيمة العمل

لم يكن غريبًا فى ذلك المسلسل أن تبدو قيمة العمل قيمة يمتثل بها الرجال دون النساء، فقد صورت الشخصيات الذكرية فى ذلك المسلسل على أنهم

القائمون على إعالة أسرهم، فإسماعيل رب الأسرة يبحث جاهدًا عن عمل إضافى بعد أن أحيل إلى المعاش، لأنه من جهة يحتاج إلى تغطية نفقات أسرته التى تتزايد يومًا بعد يوم - خاصةً أن لديه أبناء فى المرحلة الجامعية وفى سن الزواج - ومن جهة أخرى لأنه لا يتحمل حياة الفراغ.

وإذا تتبعنا الشخصيات النسائية الأساسية فى المسلسل لوجدنا أنها تنقسم إلى مجموعتين: مجموعة منهما لم تعمل على الإطلاق، كـ «صفية» الأم، وهى ربة الأسرة التى تعتمد فى تدبير أمورها على زوجها «إسماعيل».. وكذلك «سميحة»، الابنة الكبرى التى لا تعمل هى الأخرى على الرغم من دخل زوجها القليل الذى يدفع الأب «إسماعيل» إلى مساعدته بمحاولة فتح أبواب جديدة للعمل تؤدى إلى حياة أفضل.. وهناك أيضًا والدة «نادر»، التى على الرغم من وفاة زوجها منذ بداية حياتها الزوجية تاركًا لها ابنًا فى رعايتها، إلا أنها لم تفكر فى العمل معتمدةً فى تربيته على معاش والده.

أما المجموعة الثانية فقد عملت لفترة محدودة، ولكنها تركت العمل بمجرد الزواج.. فـ «نجوى» قد عملت بعض الوقت، ولكنها تركت العمل بمجرد زواجها من «مدبولى»، ثم رأيناها تبحث عن عمل مرة أخرى بعد أن طلقت منه.. وكذلك زوجة الأخ «نصر»، رأيناها تعمل فى بداية معرفتها به، ولكنها تركت العمل بعد زواجها منه. وهكذا، كأن العمل قيمة ليست أساسية تشغل بال المرأة، فهى لا تبحث عنه إذا كان هناك من يتحمل عنها عبئها الاقتصادى، كما يمكن التضحية به إذا لاحت فرصة للزواج، وكأن العمل أمر مرهون إما بالعوز الاقتصادى والحاجة إلى المال، أو بتوفير وقت فراغ لا تستطيع المرأة أن تشغله.

أما الشخصيات الضئيلة جداً التى رأيناها تعمل فى ذلك المسلسل؛ فقد كانت لصديقات «نجوى» اللاتى عمل بعضهن بعد التخرج من الجامعة، وكن من الشخصيات المساندة ذوات الأدوار الثانوية. وعلى أى الأحوال؛ فمن خلال الاتجاه العام لسير الأحداث، يمكن الجزم بأن عملهن راجع بلا شك إلى عدم

ارتباطهن بالـزواج، ووجود وقت فراغ يشغلنه بالعمل حتى يحين وقت زواجهن.

ثالثًا : قيمة الزواج

تبدو قيمة الزواج فى هذا المسلسل قيمة لا تدانيها قيمة أخرى، ويتأكد ذلك الأمر لدى كافة شخصيات المسلسل على اختلاف أدوارهم وشرائحهم العمرية والاجتماعية، وتعلو قيمته لدى النساء دون الرجال، فالزواج - كما يبدو من خلال أحداث المسلسل - حدث كبير تفوق قيمته أى قيمة أخرى. فـ «نجوى» تصدم فيمن أحبت لأنه تركها بدون وعد بالزواج وسافر ليبدأ مسيرة مستقبله، ونجدها لا تنتظر حتى تتمالك نفسها بعد صدمتها فيمن أحبت، فتقبل أول من تقدم للزواج منها على الرغم من كونه شخصًا غير مقبول لديها، وتبنى مبررات قبولها على كونه شخصًا جاهزًا ومستعدًا، ونجدها تعبر عن ذلك تعبيرًا يلخص الموقف فتعلق على ذلك فى الحلقة الثانية قائلة : «البنت فى سوق الجوار اللى معاه يشيل»، كما نجد إحدى صديقاتها تشجعها على قبول من تقدم لها قائلة: «العريس الجاهز أحسن، واللى معاهوش ما يلزموش»!.. وكأن الزواج قيمة فى حد ذاته. والقيمة هنا مادية، أى لمن يملك أكثر.. والملكية هنا هى ملكية المال الذى يساعد على الزواج، وكأن الشخص يُقَيَّمُ بما يملك من إمكانيات أونفوذ أو مكانة اجتماعية.

فعلى الرغم من اكتشاف الأسرة لسيئات أستاذ الجامعة وهو الخطيب المتقدم لـ «نجوى» (الحلقة الثالثة) إلا أنها تتردد فى قطع علاقتها به وإنهاء مشكلة الابنة التى بدأت تعانى بحدة من خوفها من الارتباط بمن خُطبت إليه، معبرةً عن رغبتها الملحة فى تركه. ولعل ذلك يرجع بلا شك إلى ما يتمتع به هذا الشخص من مكانة باعتباره أستاذًا فى الجامعة.

ونجد ذلك الموقف يتكرر مرة أخرى مع «نجوى»، وكأنه لم يكفها تجربة فشل واحدة، فنراها تقبل فى الحلقة الثامنة شخصًا يدنوها فى المستوى الثقافى

والتعليمى، ويرجع قبولها له إلى الثروة التى يملكها والإمكانيات المادية التى يغريها بها. ونجدها تعبر عن مبررات قبولها هذا فى الحلقة الثامنة قائلة: «أنا زى أى بنت. . عايزة الستر».

يقدم لنا ذلك فى المسلسل موقفًا صارخًا لقيمة الزواج والتضحية من أجله بأى قيمة أخرى، حتى إذا كانت تلك القيمة هى الحياة ذاتها. . ويظهر ذلك فى الحلقة التاسعة من خلال محاولة «مدبولى» إجهاض «نجوى» لكونها تحمل جنينًا لا يرغب فيه، ويصل به الأمر إلى محاولة إقناعها عنوة، ويتطور الموقف إلى إلقائها من فوق السلم لكى تفقد جنينها.

وعلى الرغم من رغبتها القوية فى الاحتفاظ بالجنين، وعلى الرغم من تحذير الطبيب، إلا أنها ترضخ لمحاولات زوجها وتحاول أن تتخلص بالفعل من الجنين، كل ذلك حفاظًا على حياتها الزوجية التى تنم عن تكريس لقيمة الزواج والحياة الأسرية.

كما نجد موقفًا آخر يعبر عن قيمة الزواج يحدث مع «عزة»، صديقة «نجوى» وزميلتها فى الجامعة. . فعلى الرغم من حبها لـ «منير» شقيق «نجوى» وارتباطها به بعلاقة عاطفية نلاحظها منذ بداية المسلسل، إلا أننا نجدها تتغير مرة واحدة عندما تقابل فى الحلقة السابعة «محسن» الثرى الذى يعيش بالخارج، والذى استطاع عن طريق عمله هناك أن ينجح وأن يشق طريقه ويكوّن ثروة لا بأس بها، فنجدها تقطع علاقتها بـ «منير» وتنساق مع «محسن» فى علاقة عاطفية تهدف من ورائها إلى الزواج منه، وتبدو «عزة» فى تلك الحلقة وهى سعيدة متباهية بخاتم الزواج غالى الثمن الذى أهداه إليها «محسن»، والذى أنساها مشاعرها السابقة وارتباطها بـ «منير»، كما تفاتح «منير» فى ذلك غير عابئة بمشاعره، متمنية له ببساطة أن يجد من يتوافق معها.

وعندما تلوم «نجوى» صديقتها «عزة» فى الحلقة الحادية عشر لأنها قبلت العريس الجاهز والمستعد ماديًّا للزواج، تجيب «عزة» بتعبير صارخ عن أن

الزواج صفقة قد يقدر لها النجاح أو الفشل قائلة: «أهى جوازه يا تطلع حمرا يا قرعا»، وتنهى «نجوى» الموقف برمته متسائلة: «هو جواز وبس»؟

ولا يصور المسلسل الشخصيات النسائية فقط فى المسلسل فى تفضيلها للمَحَكّ المادى كعنصر حاكم فى الأمر، بل نجد موقفًا مماثلاً يتبناه أحد الشخصيات الذكرية فى المسلسل من خلال الموقف الذى تتعرض له*«وفاء» صديقة «نجوى» فى الحلقة الحادية عشر عندما يتركها خطيبها الصعيدى، الذى يُصور منذ بداية المسلسل على أنه الشخص ذو القيم الأصيلة الذى يحب زميلته حبًّا جمًّا ولكنه يتركها لكى يرتبط بامرأة ثرية تكبره عمرًا، لأنه لا يملك الإمكانيات المادية التى تساعده على الزواج، وتعبر «وفاء» عن ذلك مستنكرة: «علشان ما يلوموش الواحدة اللى تدور على العريس الجاهز».

وهكذا تسير أحداث المسلسل متبنيةً فكرة سائدة تذهب إلى أن الزواج قيمة فى حد ذاته، وأن تلك القيمة تتحدد من خلال أبعادها المادية، حيث يكون الاختيارَ فى الزواج للشخص المتيسر ماديًّا، صاحب المال والجاه والإمكانيات المادية التى تسمح له ببناء بيت وحياة مستريحة، وكأن عناصر الموقف الأخرى - كالتكافؤ أو التوافق أو المشاعر العاطفية - أمورٌ ثانوية يمكن التضحية بها أمام عنصر المادة، مما يمثل تغيرًا واضحًا فى الهرم القيمى للأفراد.

* * *

ثانياً: العمل الدرامى الثانى

يمثل العمل الدرامى الثانى فيلمًا من إنتاج التلفزيون، أذيع يوم الأحد الموافق ١٥ من يناير ١٩٩٥ بعنوان «إلا ابنتى». استغرق هذا العمل ساعتين زمنيتين، وتم استخدام نفس المنهج فى تحليل المضمون، بالإضافة إلى الاعتماد على نفس عناصر التحليل.

* انظر تمثيلية إلا ابنتى.

١- شخصيات المسلسل

● ممدوح رجب

وهو أحد الشخصيات المحورية، يعمل فى إدارة أحد المعارض الفنية الذى يحصل على مقتنياته من المزادات الكبرى. وعلى الرغم من خبرته الطويلة فى هذا العمل، إلا أنه لا يملك الكلمة الأخيرة فى تجارته نظرًا لضعف شخصيته وسيطرة زوجته عليه.

● أمينة

زوجة «ممدوح رجب»، وهى شخصية متسلطة حادة الطباع، تعتمد فى إخضاع من حولها على قدرتها المادية وخبرتها الطويلة فى مجال عملها. لعبت دورًا مهمًّا فى حياة زوجها عن طريق مساعدته على تغيير نوعية حياته وانتقاله من الفقر إلى الثراء. وعلى الرغم من أنها وافقت على الزواج منه برغم فقره، إلا أنها ما فتئت تعايره بحياته السابقة.

● كريمة

الابنة الوحيدة لـ «ممدوح رجب» و «أمينة»، وهى طالبة جامعية متفوقة فى دراستها، وتحب «رءوف» ابن «مصطفى» صديق والدها. . يؤرق حياتها الخلاف المستمر بين والديها، وتحاول جاهدة أن تصلح بينهما بأسلوب ينم عن شخصية إيجابية مستقلة.

● شهيرة

امرأة مطلقة، سبق لها الزواج من أستاذ جامعى فشلت فى الاستمرار معه، فتركته على الرغم من أنها لم تتجاوز الثلاثين من عمرها. وعلى الرغم من خبرة الفشل التى مرت بها، إلا أنها متفتحة للحياة، متفائلة، تسعى إلى أن تبدأ حياتها من جديد.

● **مصطفى**

صديق «ممدوح رجب» المخلص، لم يتوان عن مساعدة صديقه على تخطى أزماته المالية ومشكلاته الحادة مع زوجته.

● **عونى**

يعمل فى المعرض الذى تمتلكه «أمينة»، ويتمتع بشخصية وصولية منافقة.. يتقرب إلى «أمينة» عن طريق التجسس على زوجها ومحاولة ترصد أخباره وتتبع خطواته عن كثب نظير مكافآت مالية يحصل عليها ليؤدى هذا العمل.

● **رءوف**

ابن «مصطفى» صديق الأسرة، وخطيب «كريمة» التى يحبها حبًّا جمًّا.. يحاول من جانبه أن يساعدها فى حل مشكلات والديها والخروج بها من الأزمة التى تسببها لها علاقة والديها المتردية.

٢- الأحداث الأساسية

تصور هذه التمثيلية الفيلمية أسرة «ممدوح رجب» المتزوج من «أمينة»، والتى أنجب منها ابنة واحدة هى «كريمة». والأسرة تحيا فى مستوى اقتصادى مرتفع نتيجة لتجارة الزوجين الرابحة فى المقتنيات الفنية النادرة، وملكية الزوجة لمعرض الفنون الذى يديره زوجها.

وعلى الرغم من إدارة الزوج الناجحة لهذا المعرض، إلا أنه لا يملك القرار الأخير فى إدارته ، فكلمة الزوجة هى النافذة داخل البيت وخارجه، فهى لا تستطيع أن تنسى التفاوت الكبير بين مستواها الاقتصادى والاجتماعى ومستوى زوجها، لذا فهى كثيرة المعايرة له لكونها استطاعت أن تنتشله من حالة الفقر الشديد التى كان يعيش فيها.

ويعيش الزوجان حالة من الصراع الدائم الناشئ عن ضعف شخصية الزوج وتسلط الزوجة وسوء معاملتها له، وإشعاره بضآلة شأنه.

وتنعكس حالة التوتر الدائم بين الوالدين على الابنة «كريمة»، التى تحاول جاهدةً إصلاح ذات البين بين والديها بلا عائد يذكر لتلك المحاولات.

ويتعرف «ممدوح» على «شهيرة» المرشدة السياحية فى أحد المزادات الفنية التى تهوى مقتنياتها، وتتوطد علاقتهما عقب فشل حياتها الزوجية التى انتهت بالطلاق من زوجها أستاذ الجامعة الذى كانت تشعر بالتفاوت الثقافى الكبير بينهما. وينجذب «ممدوح» إليها لشبابها ومرحها وتفتحها الدائم للحياة، فيقع فى حبائلها ويقابلها سراً، ويشعر معها بسعادة جارفة، ويقرر فى النهاية أن يتزوجها بعد أن أحس كل منهما بحاجته إلى الآخر عقب فشل حياة كل منهما الزوجية.

ويترك «ممدوح» زوجته الأولى ويتزوج «شهيرة»، ويؤسس لها بيتًا آخر، ويقرر أن يبدأ حياة جديدة فى بيته وفى عمله، حيث يترك معرض الفن الذى تملكه زوجته ويبدأ بإمكانيات متواضعة.. يساعده فى ذلك صديقه المخلص «مصطفى» الذى يقف إلى جواره فى جميع أزمات حياته، ويقرضه مبلغًا من المال يعينه على أن يبدأ حياته العملية من جديد بفتح معرض يديره بعيدًا عن زوجته.

وتعلم «أمينة» بزواج «ممدوح» من امرأة أخرى، حيث تصلها أخباره عن طريق «عونى» الذى يعمل لديها فى المعرض، ويعتبر أن أحد مهامه الرئيسة هو التجسس على زوج «أمينة» وإعلامها بجميع أسراره داخل العمل وخارجه فى نفس الوقت.

وتضطرب حياة «كريمة» الابنة، وهى الفتاة المثالية فى كليتها، وينشغل بالها بمحاولة إصلاح الأمور بين والديها الذين تحبهما على قدم المساواة. وفى غمرة حالتها النفسية السيئة؛ تنساق «كريمة» وراء بعض أصدقائها الذين يقيمون حفلات خاصة يمارسون فيها كل ما هو غير مشروع بدعوى شغل وقت الفراغ وإمتاع الذات. وينضم «رءوف» خطيب «كريمة» - والذى يحبها حبًّا جمًّا - إلى «كريمة» فى لهوها، ليس بهدف المتعة، ولكن بغرض حمايتها ومحاولة مساعدتها على الخروج من أزمتها.

وتضطرب حياة الأم أيضًا وتشعر بالوحدة بعد زواج زوجها، وتعانى من الخلل الذى شاب حياتها داخل البيت من خلال ابنتها التى أصبحت لا تستطيع السيطرة عليها، وفى العمل الذى تأثرت حركة البيع به نتيجة لغياب إدارة زوجها الجيدة له.

وتلجأ الأم مضطرةً إلى زوجها لكى ينقذ حياة ابنتهما التى تتعرض تدريجيًّا للانحراف، ويصادف الأب ابنته فى إحدى السهرات التنكرية أثناء تعرض أحد الأشخاص لها، فتنتهز الابنة هذه الفرصة لكى تعاتب والدها على تركه لها ولوالدتها.

ويعود الأب إلى بيته حمايةً لابنته، وبعد أن تخفت نزوة الحب التى شعر بها تجاه الزوجة الثانية ، وبعد أن تتخلى زوجته الأولى عن تسلطها وتقرر التنازل عن كل شيء والتفرغ لدورها كزوجة وكأم.

٣- العناصر الأساسية في العمل الدرامي

أسفر التحليل الذى قام به المحللون عن التوصل إلى ٢٤ عنصرًا أساسيًّا فى العمل الدرامى الحالى. ثم قام المحكمون باختيار العناصر التى اتفق المحللون على التوصل إليها، حيث بقى ١٩ عنصرًا أساسيًّا بعد استبعاد خمسة عناصر لم يتم الاتفاق عليها بين المحللين. ووفقًا لخطة العمل المتفق عليها فى التحليل، فقد تم التعامل مع الجوانب المشتركة فى العناصر التى تم الاتفاق عليها.. ثم قام المحكمون بتقدير درجة الاتفاق فى استخلاص تلك العناصر وفقًا لمقياس الرتب الذى تم استخدامه فى العمل الأول للتوصيل إلى قيمة رقمية لدرجة الاتساق بين المحللين. ويوضح جدول رقم (٣) درجات الاتفاق بين المحللين فى استخلاص العناصر الأساسية.

٤- الأنماط السلوكية المقبولة

وفقًا للأسلوب المستخدم من قبل فى التوصل إلى الأنماط السلوكية المقبولة اعتمادًا على فكرة الأبعاد الأساسية التى تمت من قطب إلى قطب آخر يمثل نقيضه، تم تحليل مضمون هذا العمل الدرامى وفقًا لبعدين أساسيين هما:

جدول رقم (٣)

درجات الاتفاق بين المحللين فى استخلاص العناصر الأساسية

العناصر الأساسية	درجة الاتفاق	العناصر الأساسية	درجة الاتفاق
١- تتسلط الزوجة على زوجها إذا كان أدنى منها فى المستوى الاجتماعى والاقتصادى.	٤ر٥	١١- يكره الرجل الإحساس بأنه أقل من زوجته ماديًا	٢ر٥
٢- تتدخل الزوجة المتسلطة فى أدق تفاصيل حياة زوجها وأبنائها.	٣ر٥	١٢- تتلقى الزوجة المتسلطة صفعة قوية إذا تزوج زوجها بامرأة أكثر منها شبابًا وجمالاً.	٤
٣- تعاير الزوجة الثرية زوجها بماضيه إذا كان فقيرًا.	٣	١٣- تتعرض الفتاة الشابة للانحراف إذا اصطدمت بحياة والديها المتوترة.	٣ر٥
٤- يفقد الرجل مكانته فى عمله إذا كانت زوجته هى صاحبة العمل.	٤	١٤- ترك الأب لمنزله يحدث خللاً كبيرًا للأسرة.	٣ر٥
٥- تتدخل الابنة ذات الشخصية الإيجابية لإصلاح العلاقات المتوترة بين والديها.	٤ر٥	١٥- لا تستطيع الأم بمفردها أن ترجع ابنتها إلى طريق الصواب.	٣, ٥
٦- يتمرد الزوج على حياته المتوترة مع زوجته إذا أحب امرأة أخرى وبادلته الحب.	٣ر٥	١٦- يضحى الرجل بحياته الزوجية الجديدة إذا وجد أن ابنته من زوجته الأولى توشك على الانحراف.	٢ر٥
٧- يشعر الرجل المتزوج من امرأة متسلطة أن البيت بمثابة السجن، وأن زوجته بمثابة السجان.	٢ر٥	١٧- تتأثر الحياة العملية المشتركة بين الزوجين إذا تخلى الزوج عن مسئولياته تاركًا إياها لزوجته.	٣
٨- تعتقد الزوجة الغنية أن فضلها على زوجها سيجعله خاضعًا لها مهما تمادت فى معاملتها السيئة له.	٣	١٨- تتخلى المرأة ذات السلطة والثراء عن كل ما تملك لإنقاذ حياتها الزوجية التى انهارت.	٤ر٥
٩- تتصور الزوجة الثرية أن زوجها سيعود إليها نادمًا بعد زوال نزوته العاطفية.	٣ر٥	١٩- يعود الرجل إلى زوجته إذا وعدت بالتخلى عن معاملتها السيئة له.	٤ر٥
١٠- تفشل الحياة بين الزوجين إذا انعدم بينهما التكافؤ الاجتماعى أو الاقتصادى أو الثقافى أو التعليمى.	٣		

- البعد الذى يمتد من الإيجابية وينتهى بالسلبية.
- البعد الذى يمتد من الانفعالية وينتهى بالعقلانية.

• أولاً: بعد الإيجابية/السلبية

أسفر تحليل العمل الدرامى السابق من خلال هذا البعد؛ عن أن هناك فروقًا واضحة بين السلوك المقبول للرجل والسلوك المقبول للمرأة، كما أسفر أيضًا عن أن النمط المقبول لسلوك الرجل إنما هو أقرب ميلاً إلى قطب الإيجابية، فى حين يبدو النمط السلوكى المقبول للمرأة أكثر قربًا من قطب السلبية، كما يبدو من خلال الاعتمادية، والاتكالية، وانتظار المبادرات التى تأتى من الخارج، وافتقاد القدرة على الاستقلال الشخصى، والاعتماد على الذات.

ويقدم العمل الدرامى الحالى منحًى جديدًا يختلف فيه عن العمل الدرامى السابق، كما يختلف أيضًا عن الكثير من الأعمال العلمية التى تم تحليل مضمونها وفقًا لفكرة الأبعاد السلوكية، فقد اتسم سلوك الرجل ممثلاً فى الزوج ورب الأسرة فى العمل الدرامى الحالى بالسلبية المفرطة والخنوع الزائد عن الحد، كما بدا سلوك المرأة ممثلاً فى الزوجة أقرب ميلاً إلى الإيجابية. كما وجدنا نماذج نسائية إضافية قدمها ذات العمل تعبر عن سلوك يتسم بالإيجابية، لعل منها سلوك الابنة «كريمة» التى لم تقف مكتوفة اليدين وهى تشاهد علاقة والديها تسير من سيئ إلى أسوأ، بل حاولت بقدر طاقتها البحث عن حلول من أجل إعادة المياه إلى مجاريها بين أبويها، وانتهت محاولاتها بالنجاح بعد أن استماتت فى حل مشكلاتهما.

كذلك كان هناك نموذج آخر يعبر عن الإيجابية، وهو سلوك «شهيرة» الزوجة الثانية التى اقترن بها «ممدوح» بعد سلسلة معاناة مع زوجته الأولى، فقد أوضحت أحداث الفيلم أنها قامت بدور فعال لاجتذاب «ممدوح» إليها ولفت نظره إلى شخصيتها، بل يمكن أن نقول إنها كانت وراء دفعه إلى الزواج منها، وكانت وراء تحريضه على الابتعاد عن زوجته، فانساق إليها تاركًا بيته وزوجته وابنته التى يحبها كثيرًا.

وظل «ممدوح» على سلبيته تلك فى معظم المشاهد وحتى ما قبل نهاية الفيلم، وعَمَّقَ أسلوب الخطاب المستخدم بين الزوجين مدى سلبية الزوج، والتى عبر عنها «ممدوح» فى أسلوب صريح مخاطبًا زوجته: «حتى واجباتى كأب كانت من اختصاصك أنت».

ثم نجده يوجه لها سؤالاً صريحًا : «يا ترى حياتى عندك لها قيمة؟»، فتجيبه زوجته بتسلط: «حياتك أنا اللى عملتها».

وحينما يقرر «ممدوح» أن يأخذ قرارًا منفردًا بالزواج من «شهيرة»، لا تصدق زوجته أنه يستطيع بمفرده أن يتخذ قرارًا بالزواج من «شهيرة» أو أنه شخص له قيمة، فتبادره قائلة: «هى اشترتك بكام يا ممدوح؟»، وكأنه سلعة تشترى، أو كأنه ناقص الأهلية ولايملك اتخاذ القرار.

ومما يجدر وضعه فى الاعتبار أنه على الرغم من الصورة السلبية التى صُوِّرَ بها الزوج والصورة الإيجابية التى صورت بها زوجته، وما أسفر عنه سلوك كل منهما، وما أكده أسلوب الخطاب المستخدم، فإننا نلاحظ أن التصوير الدرامى لشخصية كل منهما قد بدت مستهجنة، كما تم إدخال نوع من المبالغة على شخصية كل منهما لكى تبدو صورة غير مقبولة، فالزوجة صورت على أنها شخصية مسيطرة متسلطة تلجأ إلى أساليب غير مشروعة لتحقيق مآربها، ويصل بها الأمر إلى حد تكليف أحد الأشخاص ليقوم لصالحها بالتجسس على الزوج وتتبع خطواته، حتى انتهى الأمر إلى فقدان زوجها الذى اقترن بامرأة أخرى. ولا يرجع ذلك فى حقيقة الأمر إلى حبه لزوجته الجديدة بقدر ما هو قرار بإعلان العصيان على حياته السابقة، وعلى سلوك زوجته المستهجن المسيطر، وعلى سلبيته غير المقبولة.. وبالتالى فقد جاءت جميع أحداث الفيلم لكى تؤكد خطأ سلوك الزوج السلبى، والتأكيد على أن ذلك السلوك إنما يؤدى إلى تسلط الزوجة وإحساسها بقوتها، كما استنكرت الأحداث أيضًا زواج الرجل الفقير من امرأة غنية تملك كل شىء، حيث يؤدى ذلك إلى تعميق إحساس الرجل بضعفه أمام زوجته.

ولعل النهاية التى انتهى بها هذا الفيلم تقدم لنا السلوك المقبول والنمط الذى يجب أن يحتذى للرجل، وهو ـ باختصار ـ النمط الذى يملك فيه الرجل زمام الأمور ويصبح صاحب الحق فى تصريف شئون عمله؛ حتى إذا كان هذا العمل مِلكًا لزوجته وبأموالها. فى حين أن الصورة المقبولة للمرأة هى الصورة التى تتفرغ فيها المرأة لدورها كزوجة وكأم. وبهذا تؤكد الفروق بين النوعين مرة أخرى أن الرجل للعمل والمرأة للبيت، وما الشخصيات النسائية التى بدت إيجابية فى بداية العمل الدرامى سوى محطات يجب أن تنتهى بأن السلوك الإيجابى إنما هو حق من حقوق الرجل.

• ثانيًا : بعد الانفعالية / العقلانية

وبتحليل الأحداث اعتمادًا على بعد الانفعالية / العقلانية بهدف التعرف على النمط السلوكى المقبول لشخصيات هذا العمل فى محاولة لإجراء مقارنة بين نوعى الجنس، لوحظ أن تلك الشخصيات كانت أقرب إلى قطب العاطفية منها إلى قطب العقلانية، وإن بدا العكس فى بعض المواقف، أى تغلب السلوك العقلانى على السلوك الانفعالى. . ولكن بتحليل المواقف يظهر أن العقلانية كانت غلافًا شكليًّـا لسلوكٍ انفعالى محض.

فشخصية «أمينة» يبدو من خلال سلوكها أنها شخصية عقلانية إلى أبعد الحدود، إذ تدير مملكتها الخاصة داخل البيت وداخل العمل غاية فى الدقة والصرامة، ويقدم لها جميع من يعملون معها الاحترام الكافى والطاعة الواجبة. . ولا تمثل المشاعر العاطفية من حياتها ركنًا ذا بال، ومن هنا يبدو سلوكها على السطح وكأنها امرأة عقلانية، ولكن الأمر فى حقيقته على عكس ذلك، فقد أظهرت بعض المواقف من خلال هذا العمل الدرامى أنها شخصية تتحكم فيها انفعالاتها إلى حد بعيد، إذ لم تتمكن - على سبيل المثال - من وضع الاعتبارات الواقعية فى محلها الواجب، كما أنها لم تسلك وفقًا للعوامل الموضوعية. . فعلى الرغم من أن زواجها من «ممدوح» كان بمحض اختيارها،

وعلى الرغم من أن ذلك الزواج قد مضى عليه أكثر من عشرين عامًا، وعلى الرغم من إظهار زوجها كفاءة متناهية فى إدارة عمله أهلته للنجاح ولتبوؤ منزلة مرتفعة، فإنها لم تتمكن من التخلص من إحساسها بالدونية تجاهه، والنظر إليه على أنه أقل منها ثروة وشأنًا. كما سيطرت عليها تلك المشاعر إلى الحد الذى أفسد عليها حياتها الزوجية، وحتى عندما تلفت ابنتها نظرها إلى مدى إغفالها لحقوق والدها قائلة: «بابا كبر يا ماما»، تجيبها: «أنا اللى كبرته، وإذا قدر يكبر على الناس كلها مش حيقدر يكبر علىّ». . ناسيةً - أو متناسية - العوامل الموضوعية الخاصة بهذا الموقف، إذ ليس من المستطاع أن ينجح أحد الأشخاص ذلك النجاح الذى حققه زوجها فى حالة افتقاده للقدرة والإمكانية التى بمقتضاها يستطيع أن يحقق نجاحًا.

كذلك؛ فلم تراجع الزوجة موقفها حينما تركها الزوج إلى امرأة أخرى، وبدت متجاهلة العقل والمنطق حتى قالت فى أحد المواقف: «أنا اللى حاقدر أرجعه راكع وندمان»، هذا على الرغم من أن هذا الزوج كان قد كبر بالفعل وأصبح بمقدوره أن يستقل بحياته وبعمله، وهذا ما قام به بالفعل حينما قرر الاستقلال عنها. وعلى الرغم من الاختلاف الواضح بين شخصية «أمينة» وشخصية زوجها «ممدوح» من حيث السمات الشخصية الخاصة بكل منهما، فهى من ناحية امرأة شديدة التسلط، وهو من ناحية أخرى رجل شديد الخضوع، إلا أنه لم يكن هو الآخر عقلانيًّا فى تصرفاته بوجه عام، فعندما ساءت الأمور بينه وبين زوجته لم يتمكن من تخطى الحالة الوجدانية الخاصة، فانصرف عن زوجته إلى امرأة أخرى مناقضة لها تمامًا، حيث كانت فتاة تصغره عمرًا وتقل عنه خبرة، ولا تملك ثروة كالتى تملكها زوجته، فانساق وراءها لمجرد أنها تمثل نقيض زوجته، على افتراض أن اختياره لامرأة تمثل نقيض زوجته سيؤدى إلى حياة زوجية سعيدة، ولكن حدث العكس، وانتهى الأمر بفشل الحياة مرة أخرى مع الزوجة الجديدة التى اختارها عن حب، حيث صورت له حالته الوجدانية آنذاك - وفى إطار خلافه مع زوجته الأولى - أنه سيجد نفسه، وسيعوض فشل زواجه السابق مع هذه الزوجة الجديدة، ولكن

اختياره لها كان يحمل فى طياته عوامل الفشل، إذ تركها بمجرد أن لاح له فى الأفق أمل العودة إلى زوجته الأولى، فانصرف عن الزوجة الثانية وكأنه ألغى وجودها. وعلقت هى على ذلك قائلة: «هى حصلت يا ممدوح تلغى وجودى!»، فأجابها: «وجودك كلفنى كتير يا شهيرة». ووقعت «شهيرة» الزوجة الثانية فى نفس الخطأ الذى وقع فيه «ممدوح»، إذ سيطر عليها هى الأخرى سلوكها الانفعالى غير العقلانى، حيث أثر عليها فشلها فى زواجها السابق من أستاذ الجامعة الذى كان بالنسبة لها على حد تعبيرها «صورة من غير روح، حاصرنى وخنق جوايا الحياة»، فتصورت من جانبها أن الحب هو كل شىء، ومن هنا أعادت الخطأ مرة أخرى وتزوجت من شخص يكبرها كثيرًا، علاوة على كونه قد سبق له الزواج وأنجب فتاة لا تصغرها إلا قليلاً، ونسيت جميع اعتبارات التكافؤ التى تساعد على نجاح الزواج، وتصورت أن حبه لها سيغنيها عن كل شىء، ولم تدرك خطأها إلا بعد أن تركها وعاد مرة أخرى إلى زوجته وابنته التى تستعد للزواج.

وعلى الرغم من إيجابية الابنة «كريمة» التى حاولت بكل ما أوتيت من قوة أن تلعب دورًا لإعادة المياه إلى مجاريها بين والديها، إلا أنها قد سيطرت عليها مشاعر الحب العنيفة نحو والديها، وأوشكت على الانحراف فى محاولتها تتبع خطوات والدها وإنقاذه من الحياة التى كان يعيشها مع زوجته الجديدة.

وهنا نلاحظ أن جميع الشخصيات النسائية فى هذا العمل الدرامى قد غلب عليها السلوك الانفعالى الذى يخلو من الموضوعية والتعقل وإقحام الذات فى الموضوع، مما أدى إلى فشل الكثير من الأمور.

كذلك لم يكن سلوك الزوج سوى رد فعل لسلوك الشخصيات الأخرى من حوله، ولعل ذلك يرجع إلى سلوكه السلبى، ويفسر خلوه من العقلانية التى تصور بها شخصيات الرجال فى معظم الأعمال التى تم تحليل مضمونها فى وسائل الاتصال المختلفة.

٥- تحليل العلاقات الدينامية داخل الأسرة

كنا قد تعرضنا فى تحليلنا للعمل الدرامى السابق إلى تحليل العلاقات الدينامية داخل الأسرة من خلال مسئوليتى اتخاذ القرار، ورعاية شئون الأسرة. ولإمكانية عقد المقارنة بين العملين؛ يجدر استخدام ذات الأسلوب السابق فى التحليل.

أولاً: مسئولية اتخاذ القرار

نلاحظ من خلال المقارنة بين العملين الدراميين الذين تناولناهما بالتحليل، أن العامل الاقتصادى يلعب الدور الحاكم فى العلاقات الأسرية وفى سلطة اتخاذ القرار؛ بما يعنى أن صاحب القدرة الاقتصادية الأعلى ـ أو بمعنى أصح: المسئول اقتصاديًا عن الأسرة ـ هو الذى يتولى سلطة اتخاذ القرار، سواء كان صاحب تلك القدرة الاقتصادية هو الرجل أو المرأة. ففى المسلسل «وجوه للحب» كان الأب «إسماعيل» هو العائل الاقتصادى للأسرة، ومن هنا كان يملك سلطة اتخاذ القرار داخل أسرته على جميع أفرادها، بدءًا من الزوجة وحتى أصغر أبنائه. فى حين يختلف الأمر فى الفيلم التلفزيونى «إلا ابنتى»، فقد بدت الزوجة «أمينة» ـ صاحبة المال الوفير ومالكة معرض الفنون الذى يديره زوجها ـ صاحبة سلطة اتخاذ القرار النهائى داخل البيت وخارجه، ولعل لغة الحوار المستخدم بين أطراف العلاقة العائلية دليل قاطع على ذلك، فـ «ممدوح» الزوج يشكو مر الشكوى من الأسلوب الضاغط الذى تستخدمه معه زوجته ويقول مخاطبًا إياها: «عشرين سنة وانا عايش فى تابوت، لكن خلاص التابوت انفتح ومش هارجع له تانى»، ويقول فى معرض حديث آخر: «عشرين سنة وانتِ سجنى وسجانى، عشرين سنة وانتِ خانقانى».

وترد هى بتسلط من يملك فى يده مقاليد الأمور: «السجن ده أقدر أطردك منه»، بما يفيد أنها تملك البيت ومن فيه، بل تملك سلطة طرده من البيت.

ثم نجدها تعايره بفقره وحياته السابقة التى كان لا يملك من خلالها شيئًا: «أنا

اتجوزتك وانت بتلف فى المزادات وجزمتك مخرومة»، وكأن قرار الزواج كان قرارها الشخصى ولم يكن له فى ذلك القرار أى دور.

بل نجدها لا تتورع عن التقليل من شأنه أمام ابنتهما الوحيدة التى حاولت إصلاح ذات البين بينهما، فابتدرتها الأم قائلة: «أبوك أنا اللى كبرته، وإذا قدر يكبر على الناس كلها مش حيقدر يكبر علىَّ». وهكذا تتوالى المواقف والأحداث والعبارات التى تؤكد بما لا يدع مجالاً للشك أن سلطة اتخاذ القرار لم تكن للأب، وإنما كانت للأم ذات الثراء الواسع والإمكانيات المادية، مما ساعدها على اتخاذ قرار الزواج من شخص فقير تقيم له بيتًا وتنشئ له معرضًا يديره، ولذا أصبحت هى المالكة والمتصرفة فى كل شئون حياته.. من هنا نشأت قوتها وظهرت استكانته.

وما تجب الإشارة إليه أن ملكية المرأة للقرار جاء مستهجنًا، فقد صورت الزوجة التى استخدمت ذلك الأسلوب وكأنها امرأة خارجة عن القواعد والأعراف المعمول بها، بما أدى إلى افتقادها لتعاطف المشاهد، حيث صورت شخصيتها على أنها الشخصية المتسلطة صاحبة النفوذ، التى تسىء التصرف، والتى تظلم زوجها أشد الظلم بما أدى إلى هجره لها والبحث عن أخرى يجد فى الحياة معها تعويضًا عن حياته الزوجية الفاشلة، وهذا ما عبر عنه الزوج حينما قرر الارتباط بسيدة أخرى قائلاً: «أنا ممدوح رجب، قررت أتولد من جديد».

ولم يشأ المؤلف أن يترك الأمر على ما هو عليه، بل أنهى الفيلم بإثبات أن الزوجة كانت مخطئة أشد الخطأ فى انفرادها باتخاذ القرار، وأن ذلك لابد وأن يكون مرتبطًا بشخصية نسائية متسلطة. لذا نجدها تعلن توبتها فى النهاية وتدرك خطأها قائلة لزوجها: «أنا طلبت المحامى النهارده علشان أتنازلك عن كل حاجة، لأنى عايزة أتفرغ لدورى كزوجة وكأم».

وكأن على المرأة أن تختار أحد أمرين: إما أن تكون عاملة، أو زوجة وأم ولا ثالث لهما.

وعلى الرغم من استهجان شخصية الزوجة «أمينة» فى هذا العمل الدرامى، نجد الزوجة «صفية» فى المسلسل السابق «وجوه للحب» ـ على الرغم من سلبيتها الشديدة ـ وقد صورت على أنها امرأة فاضلة تعيش حياتها فى هدوء، وتترك برضاء كامل مسئولية اتخاذ القرار لزوجها «إسماعيل». وعلى الرغم من أن هذا الزوج بدا فى صورة من يملك سلطة اتخاذ القرار داخل أسرته، وكان يقوم بذلك بدرجة عالية من التسلطية فى بعض المواقف، لكن سلوكه لم يؤخذ على أنه سلوك مرفوض أو مستهجن، بل على العكس بدا فى صورة الحامى والراعى والمسئول عن رعاية أسرته والمحافظة عليها.

وهنا تبدو المقارنة واضحة لدى بعض كتاب العمل الدرامى، فالشخصية النسائية المقبولة لديهم هى الخاضعة الخانعة التى لا تتخذ القرار، والذى تتركه طواعية لزوجها. والشخصية الذَّكَرِيَّة المقبولة لديهم هى الشخصية التى تملك اتخاذ القرار. . فسلطة اتخاذ القرار إذا ملكها الرجل اعتبرت حماية ورعاية، وإذا ملكتها المرأة سميت تطاولاً وتسلطًا. . إذا تولى الرجل مقاليد الأمور داخل أسرته استطاع أن يقود سفينة الحياة إلى بر الأمان، وإذا تولت المرأة تلك المقاليد وصلت بها إلى حافة الهاوية!

ثانيًا: مسئولية رعاية شئون البيت

يبدو أن العامل الاقتصادى يعد عنصرًا حاكمًا ليس فقط فى تحديد من يملك سلطة اتخاذ القرار، ولكنه يظهر أيضًا فى تحديد مسئولية رعاية شئون البيت، فأمام القدرة الاقتصادية المرتفعة لأسرة ذلك الفيلم؛ لم تظهر مسئولية رعاية شئون البيت وكأنها مسئولية معوقة أو ضاغطة على المرأة، حيث يقوم عنها بهذه المهمة من تؤجرهم لهذا الأمر، فتلك الأسرة تملك مدبرة للمنزل وشغالة وطباخًا وسائقًا، بما يعنى أن من يعانى مسئولية رعاية شئون الأسرة هن النساء اللائى ينتمين إلى الأسر المتوسطة أو الفقيرة فقط، أما النساء اللاتى ينتمين إلى أسر ذات مستوى اقتصادى مرتفع فلا يمثل ذلك العبء أى ضغط

عليهن، وإذا عقدنا مقارنة بين المسئوليات التى كانت تقوم بها «أمينة» ربة الأسرة فى هذا الفيلم والمسئوليات الضخمة التى كانت تقوم بها «صفية» فى المسلسل السابق التى لم تكن تدعها تهدأ طوال اليوم، لأدركنا أن المستوى الاقتصادى المتباين للأسرتين هو العنصر المؤثر فى الموقف بما لا يدع مجالاً للشك.

٦- القيم السائدة

من خلال القيم السائدة فى العمل الدرامى الحالى «إلا ابنتى»؛ أظهر التحليل قيمتى: العمل، والزواج.. ومن خلال مقارنة هاتين القيمتين لدى الشخصيات النسائية والشخصيات الرجالية التى تلعب الأدوار المحورية؛ استطعنا التوصل إلى بعض الحقائق نجملها فيما يلى:

أولاً: قيمة العمل

على الرغم من أن العمل الدرامى الحالى قد أظهر الشخصيات النسائية المحورية فى صورة السيدات العاملات، إلا أن الناتج العام لم يختلف فى كثير أو قليل عن الشخصيات المحورية التى ظهرت فى المسلسل السابق الذى لعبت فيه الأدوار المحورية ربات بيوت لا يعملن فى الأغلب والأعم.

فـ «أمينة» ـ الزوجة الأولى لـ «ممدوح» فى العمل الدرامى الحالى ـ على الرغم من كونها امرأة عاملة يبدو عليها الاستقلال الكامل واهتمامها بعملها، وعلى الرغم من أنها كانت تملك معرضًا للفنون تعرف جيدًا فنيات العمل داخله، وهو ما أبرزته لنا أحداث الفيلم، فإن أمورها قد تعثرت بعد أن ترك زوجها البيت والعمل وتولت هى إدارته، بل نجد أن العاملين لديهم فى معرض الفنون يخبرونها صراحة أن حركة البيع قد تأثرت بعد أن ترك زوجها الإدارة، مما جعلها تلجأ إلى زوجها لكى يعود مرة أخرى إلى عمله، مع وعد منها بأن تتخلى له عن كل شىء.

كما نجد الشخصية المحورية الأخرى وهى «شهيرة».. فعلى الرغم من المقدمات التى أوضحت لنا أن تلك الشخصية هى شخصية امرأة عاملة يبدو

عليها الاستقلال، فإننا نلاحظ أنها بعد أن تتزوج «ممدوح» لا تمارس أى عمل، بل تجلس فى المنزل فى انتظاره وهى ترفل فى أزيائها المنزلية بكامل زينتها فى انتظار عودة الزوج، وكأنها تلعب دور ربة البيت المتفرغة له. ولا نعلم على وجه اليقين ما إذا كان إبرازها فى تلك الصورة يُقْصَد به التدليل على تركها لعملها والتفرغ لحياتها المنزلية، أم أنه يشير إلى استمرارها فيه مع إعطاء الأهمية الأولى لبيتها ورعاية شئونه والتزين لحين عودة زوجها.

كما نلاحظ أيضًا أنها على الرغم من معرفتها التامة بطبيعة زوجها، فإنها لم تقم بأى دور لمساعدته لكى يبدأ حياته العملية من جديد، كما لم تشترك معه فى أى نشاط يتجه صوب هذا الهدف، مما يوضح أن قيمة العمل لم تكن هى القيمة النهائية التى تسعى إليها المرأة فى هذا الفيلم.

وعلى النقيض من ذلك؛ فقد بدت تلك القيمة قيمةً نهائية لدى «ممدوح» الذى لم يتوانَ لحظة واحدة فى البحث عن عمل جديد وفرصة أخرى يحقق ذاته من خلالها بعد أن ترك زوجته. وعلى الرغم من افتقاره إلى المال، فإن ذلك لم يكن عائقًا أمام تحقيق أهدافه، فنجده وقد اتجه إلى صديقه «مصطفى» لكى يستعير منه مبلغًا من المال يعينه على البدء من جديد، بما يؤكد أن قيمة العمل بالنسبة للرجل إنما هى قيمة هامة ونهائية لا يستطيع أن يستغنى عنها الرجل أو يستبدلها بقيمة أخرى، فى حين يبدو الأمر على النقيض بالنسبة للمرأة التى لا يحتل العمل لديها نفس القيمة الهامة التى يحتلها لدى الرجل.

ثانيًا: قيمة الزواج

وعلى الرغم من أن قيمة العمل لم تكن هى القيمة النهائية بالنسبة للمرأة كما صورت فى هذا العمل الدرامى، فإن قيمة الزواج كانت على العكس من ذلك، إذ احتلت مكانًا متميزًا فى هذا الموضع. واتسقت نتائج تحليل هذا العمل الدرامى مع ما توصلنا إليه من نتائج فى المسلسل السابق. فـ«أمينة» الزوجة التى كانت تتعالى على زوجها وتسىء معاملته؛ أصبحت تسعى إليه جاهدة من أجل

إرجاعه بعد أن تركها إلى أخرى، مما هدد كيانها كزوجة، كما هدد الحياة الأسرية التى كانت تعيشها. وعلى الرغم من أن تلك الحياة العائلية لم تكن حياة هادئة أو مستقرة، كذلك فلم تكن حياة الزوجين معًا حياة سعيدة، بل شابتها الخلافات والصراعات.. لكن «أمينة» عندما شعرت بفقدان حياتها الزوجية سعت إلى إرجاعها واستعادة زوجها مرة أخرى.. زوجها الذى يمثل بالنسبة لها البيت والحياة الزوجية التى لا تستطيع الاستغناء عنهما. ولعل استماتة الابنة «كريمة» فى إعادة المياه إلى مجاريها بين أبويها هو من باب تكريس قيمة الزواج والحياة الأسرية، مما أدى إلى تغيير شخصيتها، وهو ما عبرت عنه الابنة قائلة: «من ساعة ما سبت البيت يا بابا وأنا مش قادرة أشوف الدموع فى عيون ماما».

ومن هنا فقد صُورت الأم ـ على الرغم من عدم معقولية تصرفها ـ فى صورة من تفضل أن يتخلى عن كل ما يملك من أجل الاحتفاظ ببيتها وزوجها الذى كثيراً ما أساءت إليه وعايرته بفقره وضآلة شأنه.

وهكذا تبدو بوضوح قيمة الزواج بالنسبة للمرأة التى تضعف أمامها أى قيم أخرى، وأهمية الاحتفاظ بالبيت وبالزوج الذى جعل «أمينة» بعد تسلطها ترضخ وتتخلى عن كل شيء، بما فى ذلك عملها، وثروتها، وتسلطها.. من أجل الاحتفاظ بالزوج والبيت والأسرة.

الخاتمة والتوصيات

على الرغم من محدودية مادة الدراما التلفزيونية التى تم تحليل مضمونها، فإنها استطاعت أن تقدم لنا مؤشرات هامة تضيف رؤية جديدة إذا قورنت بما تم التوصل إليه من نتائج فى الدراسات السابقة التى اهتمت بتحليل مضمون المادة الاتصالية، على اختلاف كل وسيلة اتصالية والمواد التى تتناولها، والخط العام الذى تتبعه، وأسلوب تناول المادة المقدمة.

ولعل الجديد الذى توصلت إليه هذه الدراسة هو اكتشاف معالم الصورة المرسومة لكل من الرجل والمرأة من خلال العلاقة التفاعلية بينهما، والتى تظهر أنماط السلوك المقبول والأدوار التى يقوم بها كل منهما، والمهام التى يتصدون لها، والقيم التى يعتنقونها.

وعلى محور الأنماط السلوكية المقبولة؛ أسفر تحليل المضمون عن أن هناك محاولة مقصودة أو غير مقصودة لإبراز مدى الاختلاف بين الأنماط السلوكية لكل من الرجل والمرأة، وقد أدى استخدام الأبعاد السلوكية التى سبق توضيحها إلى مزيد من توضيح ذلك الاختلاف وإمكانية المقارنة بين سلوك كل منهما، حيث كان البعد يمثل قطبين متعارضين يحتل كل منهما نهاية متصل واحد، يمكن من خلاله التحرك على مواضع مختلفة على ذات البعد.

وعلى سبيل المثال، ومن خلال بعد السلبية / الإيجابية، ظهر أن السلوك المقبول للمرأة أكثر اقترابًا من قطب السلبية، وابتعادًا عن قطب الإيجابية، حيث صُورت المرأة فى صورة من يحتاج إلى سند وعون، وإلى الحماية والرعاية التى

يوفرها الرجل، الذى صور من خلال المادة الدرامية المحللة على أنه أكثر اقترابًا من قطب الإيجابية وابتعادًا عن قطب السلبية، وعبر سلوكه عن القدرة على التصدى لحل المشكلات ومواجهة المواقف دون انتظار لمبادرات خارجية أو انسياق وراء حلول مستمدة من الغير.

كما ظهر أيضًا البعد الذى يمثل الانفعالية / العقلانية لكى يؤكد التناقض بين السلوك المقبول لكل منهما. . ففى الوقت الذى يبدو فيه سلوك المرأة قريبًا من قطب العاطفية، مبنيًّا على المشاعر الوجدانية، مفتقدًا القدرة على تخطى المواقف الانفعالية أو التمييز بين الاعتبارات الواقعية، يأتى السلوك المقبول للرجل لصيقًا بقطب العقلانية، فتأتى بالتالى قراراته مبنية على المتغيرات الموضوعية، معتمدة على المنطق السليم والقدرة على تخطى الحالة الوجدانية العاطفية التى تتغير وفقًا لتغير الظروف.

أما إذا انتقلنا إلى محور آخر من المحاور التى اعتمد عليها تحليل المضمون، وهو محور النسق القيمى الذى يلتزم به كل من الرجل والمرأة، لوجدنا أن إبراز التناقض قد ظهر مرة أخرى من خلال المادة الدرامية المحللة. . ففى الوقت الذى تحتل فيه قيمة العمل مكانة بارزة فى عالم الرجل، حيث يمثل العمل بالنسبة له محور الحياة، نجد أن قيمة الزواج والحياة العاطفية ورعاية الأبناء هى القيمة النهائية بالنسبة للمرأة التى لا تدانيها أى قيمة أخرى. فى حين يحتل العمل قيمة هامشية بالنسبة لها لا تلجأ إليه إلا إذا كانت فى انتظار الزواج أو إذا اشتدت بها الحاجة الاقتصادية. ولأن العمل لا يمثل من خلال نسق المرأة القيمى سوى اهتمامًا ثانويًّا، لذا فقد صورت المرأة وكأنها على استعداد دائم للتضحية بعملها - إذا كانت تعمل - إذا تعارض ذلك العمل مع حياتها الأسرية، أو إذا هدد علاقتها بزوجها.

وينبثق محور التحليل المتعلق بالمسئوليات التى يتولاها كل من الرجل والمرأة عن نتيجة تؤكد إبراز الفروق بين نوعى الجنس، فالرجل صاحب القرار النهائى

داخل الأسرة، خاصة فيما يتعلق بالأمور الهامة والمصيرية.. ويأتى ذلك انطلاقًا من مسئوليته الكاملة عن رعاية شئون الأسرة واتخاذ القرارات الخاصة بها، فى حين تصور المرأة على أن مسئوليتها إنما تنحصر فى المهام المنزلية ورعاية الأبناء، ولا تصور على أنها متخذة للقرار إلا فى إطار مسئوليات الحياة اليومية العابرة وغير المصيرية.

وقد لوحظ أيضًا أنه عندما صورت المرأة كمتخذة للقرارات الهامة فى حياة أسرتها، انتهى الأمر بها إلى تدمير أسرتها وحياتها الزوجية، وسرعان ما عادت نادمة مستغفرة تعلن توبتها، مع سياق عام يعبر عن استهجان اجتماعى يدعو إلى كراهية نمط المرأة التى تملك اتخاذ القرار.

استطاعت تلك الدراسة أيضًا أن تقدم نماذج متعددة من صور المرأة بما يؤكد أنه عند النظر إلى صورة المرأة يجب الوضع فى الاعتبار أن تلك الصورة لا تمثل نموذجًا واحدًا، وإنما نماذج متعددة. فإلى جانب الصورة التقليدية التى كانت تظهر دائمًا من خلال تحليل مضمون المادة الاتصالية الخاصة بالمرأة على اختلاف نوعياتها، برزت صور جديدة للمرأة أكثر عصرية لم تكن تظهر من قبل فى الدراسات السابقة لتحليل المضمون، ولعل تلك الأنماط الجديدة من صور المرأة قد أوجدتها المتغيرات المستحدثة التى دخلت على المجتمع المصرى فى الفترة الأخيرة، والتى تعبر عن بداية تغير قد حدث فى النظر إلى دور المرأة فى المجتمع، فقد أضافت تلك الدراسة ـ على سبيل المثال ـ صورة جديدة للطالبة الجامعية المتفوقة ذات الشخصية الإيجابية التى تلعب دورًا جيدًا فى إصلاح العلاقات المتوترة بين والديها، والتى تسلك سلوكًا ينم عن الاستقلال الشخصى والوعى العميق بأمور الحياة(*).

كما قدمت تلك الدراسة أيضًا صورة للمرأة المستقلة ماديًّا التى تتصرف باستقلال عن الرجل، والذى أدى استقلالها إلى تمتعها بسلطة اتخاذ القرار

(*) انظر فيلم (إلا ابنتى).

وتسيير الأمور، ولكن من الأمور اللافتة للنظر أن تلك الشخصية قد بدت مستهجنة اجتماعيًّا، كما بدت فى حاجة ماسة إلى وجود الرجل الذى يقوم عنها ببعض الأعمال التى تفشل فى أدائها بمفردها(*).

وعلى الرغم من ظهور تلك الصور التى لم تظهرها التحليلات السابقة للمادة الاتصالية، فإنها ظهرت بكثافة محدودة لا تعبر عن التغير الكبير الذى طرأ على مكانة المرأة ووضعها الاجتماعى.. كذلك فقد شابت تلك الصور بعض السلبيات التى تحتاج إلى التصويب.

كما ظهرت إلى جانب تلك الصور صورٌ أخرى تظهر المرأة فى أقصى تقليديتها، أى المرأة التى لا تنشغل سوى بأعمال البيت ورعاية شئون الزوج والأبناء، والمرأة غير المستقلة اقتصاديًّا التابعة للرجل، والتى تجعلها تبعيتها فى صورة الشخص الذى يفتقد الأمان والسيطرة على المصير، ناهيك عن النظرة السلفية التى تناهض عمل المرأة، وتكرس فكرة البقاء فى البيت إلا فى حالة الاحتياج المادى أو افتقاد العائل الاقتصادى للأسرة(**).

كذلك؛ فقد ظهرت صورة المرأة التى تدافع عن تبعيتها، فتتبنى فكرة استعبادها معتبرة أن الصورة إنما هى جزء لا يتجزأ من طبيعتها الأنثوية، فيؤدى بها ذلك إلى التضحية بنفسها بلا حدود من أجل إسعاد الآخرين الذين لا تتوقع منهم مقابلاً نظير ما تقوم به من تضحيات(***).

أمام هذه الصور التقليدية التى ظهرت بكثافة أعلى، تبدو أهمية البدء فى وضع توجهات إعلامية أو خطة مدروسة تعمل على تغيير صورة المرأة كما تقدم فى الوسائل الاتصالية، تعتمد على رصد التغيرات التى حدثت للمرأة خلال الفترة الأخيرة، سواء فيما يتعلق بوضع المرأة الاجتماعى، أو فى نمط العلاقة

(*) التمثيلية السابقة.

(**) انظر مسلسل (وجوه للحب).

(***) المسلسل السابق.

بين الجنسين، مع العمل على تقليل الفجوة الحادثة بين نوعى الجنس، والعمل على تغيير صورة المرأة بما يتسق مع وضعها الفعلى فى المجتمع، وتدعيم الصور الإيجابية الجديدة التى تظهر من خلال تلك الوسائل الاتصالية التى عبر عن جانب منها تحليل مضمون الدراما التلفزيونية.

وعلى الرغم أيضًا من أن الاتجاه العام يسير نحو محاولة التغلب على الصورة النمطية للمرأة والتقليل من التمييز بين الجنسين، فإن ذلك الاتجاه يسير ببطء شديد، ولعل ذلك لأسباب، من أهمها:

١- أنه على الرغم من وجود أعداد لا بأس بها من النساء فى موقع صناعة القرار الإعلامى - خاصة فى الإعلام المرئى والمسموع - فإن فرصتهن فى التعبير فرصة ضئيلة، حيث تضيع جهودهن وسط بعض المهيمنين على تلك الوسائل من أصحاب الاتجاهات الرجعية، ومن المقاومين لحركة التغيير.

٢- قد يبدو أحيانًا أن تعيين نساء فى مواضع صنع القرار أسهل بكثير من تغيير الصورة النمطية السائدة عن المرأة فى وسائل الإعلام، ولعل ذلك ما يلاحظ من خلال وجود عدد لا بأس به من النساء فى بعض المؤسسات الإعلامية، ومع ذلك فوجودهن غير محسوس به، وإدراجهن لبعض المواد الإعلامية التى تدعم التمييز بين الجنسين أمر وارد.

٣- لا توجد سياسة إعلامية واضحة تدعو إلى تحقيق مساواة كاملة بين الجنسين، ومن الواضح أن الدولة لا تعمل على تأكيد ذلك الاتجاه، كما أنها لا تمارس نفوذًا أو تدعو إلى تنفيذ سياسات تساعد على تحقيق تغير فعلى فى اتجاه المساواة بين الجنسين أو تطبيق مبادئ حقوق الإنسان، وهى أمور يؤدى تطبيقها إلى التغيير الذى يساعد على التطور المجتمعى.

٤- أنه على الرغم من انتظار تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، فإن عدد النساء المستخدمات لها قليل، حيث يمنعهن من ذلك عقبة اللغة، أو غياب البرامج التدريبية التى تمكن من استخدام شبكات الإنترنت، وقد يمنع من

ذلك أيضًا عدم توفر الميزانيات المطلوبة أو الإرادة الكافية. ويعد ذلك مطلبًا أساسيًّا، فالاطلاع على ما يحدث فى العالم يساعد على التطوير فى اتجاه تقديم صورة متوازنة وغير نمطية، وخالية من التفرقة على أساس النوع بين الرجال والنساء.

وفى النهاية؛ فإن وسائل الإعلام تملك الكثير فى إحداث التغير، ولابد من استخدامها بفعالية من قبل المرأة ولصالحها.. من هنا يجب تسخير الثورة الهائلة التى حدثت فى مجالى الاتصالات والتكنولوجيا، ويجب أن يتيسر وصول المرأة إلى مواردها من أجل أن يكون لها تأثير حقيقى فى السياسة العامة وفى المواقف الخاصة.

مراجع الفصل الثالث

أولاً: المراجع العربية

- الأمم المتحدة: تقرير المؤتمر العالمى الرابع المعنى بالمرأة. بكين، ٤: ١٥ من سبتمبر ١٩٩٥، تحت رقم E.96.IV.13.
- الوثائق الرسمية للمجلس الاقتصادى والاجتماعى، تحت رقم E/CN, 6,2000/PC/2.
- الأمم المتحدة: اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربى آسيا ـ فى سلسلة دراسات المرأة العربية فى التنمية، استعراض وتقييم ما تم تنفيذه للنهوض بالمرأة العربية فى ضوء أهداف استراتيجيات نيروبى التطلعية. سلسلة دراسات المرأة العربية فى التنمية، العدد ٢٤، ١٩٩٧.
- عواطف عبد الرحمن: صورة المرأة فى الصحف والمجلات العربية. سلسلة دراسات عن المرأة العربية فى التنمية، اللجنة الاجتماعية والاقتصادية لغربى آسيا، نيويورك، ١٩٩٧.
- ناهد رمزى: سيكولوجية المرأة، قضايا معاصرة. مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٩٩.

ثانياً: المراجع الأجنبية

- Bird, S.E. Gendered Construction of the American Indian in Popular Media. J. of communication. Vol. 49 (3) Sum. 1999, 61-83.
- Cejka, Maryann, Gender stereotypic images of Occupations correspond to the sex segregation of employment. Personality and social Psychol-

ogy Bulletin. Aug. Vol. 25 (8), 1999.

- Crawford, Mary' Chaffin, Roger' Fitton, Lori, Cognition in Social context, J. of Learning and Individual Differences, Vol. 7 (4) 1995, 341-362.

- Henderson - King, E.' Henderson - King, D., Media Effects on women's body esteem. Social and Individual difference factors. J. of Applied Social psychology, vol. 27 (5) 1997, 399-417.

- Gough, Brendan, Men and the discursive reproduction of sexims: Repertories of difference and equality, J. of Feminism and Psychology, Vol. 8 (1) Feb. 1998, 25-9. U.K.

- Ogden, J' Mudnray, K., The effect of the Media on Body Satisfaction: The role of gender and size., European Eating Disorders Review, vol. 4 (3) Sep. 1996, 171-182.

- Kang, Mee - Eun, The portrayal of women Images in magazine advertisements: Goffman's Gender analysis revisited J. Sex Roles, Vol. 37 (11-12) Dec. 1997, 979-996.

- Tran, Thanh V., Ethnicity, gender and soical stress among three groups of elderly hispanics, J. of Cross - Cultural Gerontology, vol. 12 (4) dec. 1997. 341-356.

- United Nations, Socioeconomic Council, The women in 2000, Gender equality, development and peace in 21st Century, Document No E/ Cn.6/2000 PC/2, New York, 2000.

- United Nations, Economic and Social Council, Further actions and initiatives to implement, the Beiging Declaration and platform for action, E/CN,6,2000, New York. 2000.

- Watkins, D.' Akande, A., Cultural dimensions, gender, and the nature of self concept: A fourteen - country study. International Journal of pschology, Vol. 33 (1) 1998, 17-31.

- Winter, Joanne, Gender and the political interview in an Australian Context. J. of Pragmatic, Vol. 20 (2) Aug. 1993, 117-139.

الفصل الرابع

المسئولية الاجتماعية لوسائل الإعلام واستراتيجية تغيير واقع المرأة

لا نستطيع أن ننكر التغير الحادث فى اتجاه إعطاء أهمية خاصة لتغير صورة المرأة فى الوسائل الإعلامية، وأن الجهود المبذولة فى هذا الصدد قد خلقت وعيًا غير مسبوق بقضية المرأة، ليس على المستوى الرسمى فقط، ولكن أيضًا على مستوى الجهود الشعبية ممثلةً فى المنظمات غير الحكومية. وبرغم هذا التقدم المحرَز، إلا أنه ما زالت هناك فجوات قائمة تهدد الجهود المبذولة فى هذا الصدد، وما زال الإعلام يقدم صورة غير متوازنة لا تعكس متغيرات المجتمع المختلفة وتنوع نماذجه، وتقدم فى بعض الأحيان صورًا مهينة عن المرأة، وتعرضها باعتبارها جسدًا خالصًا لا وظيفة له إلا الإثارة، تاركًا القضايا الجوهرية التى تدعو إلى النهوض بالمرأة وتغيير أوضاعها تتساقط - كليًّا أو جزئيًّا - من بؤرة التركيز الإعلامى من منطلق دعاوى رجعية تدعو إلى التقهقر بالمرأة إلى الوراء. ونرى أن وسائل الإعلام تملك إمكانيات هائلة تستطيع من خلالها تغيير أوضاع المرأة إذا أحسن توظيفها التوظيف الأمثل، فالإعلام له دور، كما أن عليه مسئولية لابد من التصدى لها فى إحداث عمليات التحديث والتطوير، فهل يقوم الإعلام بتحقيق دوره فى هذا الصدد؟.. وهل يتصدى لمسئولياته الاجتماعية عن عمليات التغيير من خلال استراتيجية إعلامية واعية تهدف إلى تغيير أوضاع المرأة، أم أن المسافة ما زالت كبيرة بين ما نتطلع إليه وبين الواقع الذى نلمسه؟

فى إطار الاهتمام بقضية «المرأة ووسائل الاتصال»، يشير منهاج عمل بكين إلى أن الإمكانية متوافرة لكى تقدم وسائل الاتصال مساهمة أكثر فاعلية

فى مجال النهوض بالمرأة (الفقرة ٢٣٤). ويعترف منهاج العمل بإمكانيات وسائل الاتصال فى مجال التأثير على السياسة العامة والمواقف والسلوكيات الخاصة، ويدعو إلى التخلص من الصور السلبية والمهينة للمرأة فى وسائل الاتصال من أجل «خلق صورة متوازنة عن تنوع حياة المرأة ومساهماتها فى المجتمع فى عالم متغير» (الفقرة ٢٣٦). كما يشير منهاج العمل أيضًا إلى أن ما تقدمه وسائل الاتصال من أعمال وبرامج تكرس الأدوار التقليدية، تؤثر سلبًا على مشاركة المرأة فى المجتمع.. ويدعو منهاج العمل إلى خلق ظروف مواتية لها من خلال تحسين مهاراتها ومعارفها وفرص وصولها إلى تكنولوجيا المعلومات، من أجل تعزيز قدرتها على مكافحة الصورة السلبية، والقضاء على كافة أشكال التمييز، والتصدى لحالات إساءة استعمال السلطة فى هذه الصناعة التى تتعاظم أهميتها ومسئوليتها الاجتماعية عن تهيئة المناخ المواتى للاعتراف بحقوق المرأة واعتبارها جزءًا أساسيًّا من حقوق الإنسان (United Nations, 2000)

واستنادًا إلى التقدم المحرَز فى هذا الصدد على الصعيد الوطنى والإقليمى والدولى، نوقشت قضية المرأة والإعلام باعتبارها واحدة من القضايا الاثنتى عشرة التى يضمها منهاج العمل خلال الدورة الاستثنائية للجمعية العامة للأمم المتحدة المعنونة «المرأة عام ٢٠٠٠ - المساواة بين الجنسين والتنمية والسلام فى القرن العشرين».. وقد اعتمدت المناقشات على التقارير الوطنية التى وردت إلى الأمم المتحدة عن تنفيذ منهاج عمل بكين الذى تم إقراره عام ١٩٩٥، مع مراعاة الالتزام باستراتيجيات نيروبى التطلعية التى سبق إقرارها عام ١٩٨٥، وأعطى أهمية خاصة للمتغير النوعى Gender بما يكفل مراعاة الجنسين فى جميع السياسات والبرامج.

ومن خلال الاستبيان المرسل من الدول الأعضاء التى استجابت لطلب الأمم المتحدة فى الرد على هذا الاستبيان الذى تناول التقدم الذى أحرزته تلك الدول

فى تطبيق منهاج عمل بكين، تنوعت الردود من حيث طبيعة ومضمون المعلومات المقدمة، فأظهرت الغالبية العظمى منها وجود شكل من أشكال التغير فى الطريقة التى تنظر بها المجتمعات إلى مسألة المساواة بين الجنسين، وذلك بفضل جهود الحكومات والمنظمات غير الحكومية ووسائل الإعلام على مختلف أشكالها.

وعلى الرغم من ذلك التحسن فى فهم المساواة بين الجنسين الذى أشارت إليه بعض الدول، فإن استمرار الأدوار التقليدية والنمطية للجنسين ـ التى كثيراً ما ترسخها البُنَى[1] القانونية والمؤسسية ـ يعوق تمكين المرأة والنهوض بها، وما فتئ النهوض بالمساواة بين الجنسين يتبوأ درجة أدنى ضمن الأولويات الوطنية، مما يوضح أهمية توجيه اهتمام مكثف وموارد مالية أكبر لأنشطة تنفيذ منهاج العمل وتهيئة المناخ المواتى لإحداث التغيير المؤدى إلى إقرار الاعتراف بأن حقوق المرأة إنما هى جزء أساسى من حقوق الإنسان، وهو التزام معلن خلال عقد الأمم المتحدة للمرأة ١٩٧٦-١٩٨٥ ومن بينها الالتزامات المتعهد بها فى مؤتمر نيروبى، وذلك إلى جانب سائر الالتزامات والاتفاقيات المنبثقة عن مجموعة مؤتمرات القمة، والمؤتمرات العالمية التى عقدتها الأمم المتحدة فى السبعينات.

الجهود المبذولة لتحسين صورة المرأة من مؤتمر بكين حتى منتصف العقد

تستطيع الوسائل الاتصالية أن تلعب دوراً جوهريـًـا فى مجال النهوض بالمرأة وتدعيم مفهوم "المساواة بينها وبين الرجل (Ogden, J; Mundray, K., 1996)، ويظهر من الاجتماع التحضيرى للجنة المرأة بالمجلس الاقتصادى والاجتماعى بالأمم المتحدة، والذى عقد فى فبراير / مارس عام ٢٠٠٠، بوادر للتحسن فى اتجاه تحقيق المنظور النوعى، وفى تشجيع السياسة التى ترقى إلى موضوع الاستخدام الأمثل لوسائل الاتصال. ويتضح من الردود التى أرسلتها الدول الأعضاء رداً على الاستبيان الذى أرسلته الأمم المتحدة بخصوص متابعة تنفيذ قرارات مؤتمر بكين، أن ٧٦ دولة من بين ١٨٩ دولة اتخذت إجراءات تنفيذية

فى اتجاه تعزيز دور الوسائط الإعلامية، فعلى سبيل المثال؛ اتجهت سياسات التوظيف بإحدى شركات وسائط الإعلام الكبرى فى المملكة المتحدة إلى زيادة نسبة النساء فى المناصب العليا والمتوسطة، وارتفعت بذلك نسبة النساء فى تلك المناصب من ١٩٪ عام ١٩٥٠ إلى ٢٩٪ عام ١٩٩٨. كما اتجهت الإذاعة البريطانية إلى تحقيق خطة لكى تتقلد النساء نسبة ٣٠٪ من المناصب الإدارية العليا، كذلك تحقيق نسبة ٤٠٪ من الوظائف العليا والمتوسطة بحلول عام ٢٠٠٠ (United Nations, 2000).

كذلك؛ فقد تم إنشاء عدة شبكات نسائية إعلامية على الأصعدة المحلية والوطنية والدولية كوسيلة لنشر المعلومات وتبادل الآراء وتقديم الدعم للمجموعات النسائية العاملة فى وسائط الإعلام. وفى فنلندا تكونت شبكة أطلق عليها شبكة صورة المرأة، وتقوم هذه الشبكة باتباع مواد للتدريب على إعطاء صورة منصفة للمرأة لاستخدامها فى الإنتاج التلفزيونى. كما أنشأت الهند شبكة أطلق عليها Women feature servers لزيادة أعداد النساء العاملات فى مجال شبكات الاتصالات. كما أنشأت كل من ناميبيا وكامبوديا وأوغندا وأنجولا رابطة أطلق عليها رابطة المرأة ووسائل الإعلام، كما نظمت جمهورية الدومينكان برامج تدريبية لتدريب الفتيات على تكنولوجيا المعلومات فى المناطق الفقيرة، وتركز نيجيريا على نجاح المرأة فى العديد من المهن، وبالأخص على المهن التى هيمن عليها الرجال لفترات طويلة، وأعدت الفلبين دليلاً بأسماء خبيرات الإعلام الناشطات فى هذا المجال.

وهذه ليست إلا أمثلة قليلة على المنظمات والشبكات القوية التى نشطت منذ مؤتمر بكين. وبوجه عام، فقد اتجهت غالبية الدول الست وسبعين ـ التى وردت إجاباتها على الاستبيان ـ لبذل جهود لتشجيع تقديم التطوير المتوازن وغير النمطى للمرأة فى وسائط الإعلام من خلال منظمات وبرامج الوسائط النسائية، ولم يقتصر ذلك النشاط على أكثر المنافذ الإعلامية شيوعًا كالإذاعة والتلفزيون

والصحافة اليومية والأسبوعية والمطبوعات فقط، بل تعداها إلى أشكال أخرى مثل معارض المتاحف والأناشيد والوسائط الإلكترونية والفنون الشعبية والأفلام والأغانى وغيرها (ناهد رمزى، ٢٠٠٠).

أما على مستوى تكنولوجيا الاتصال الذى ترتب على تكنولوجيا الحاسب الآلى والإنترنت؛ فقد قدر عام ١٩٩٥ النساء اللاتى لديهن اتصال مباشر بالشبكات الإلكترونية بـ ٨,١ مليون امرأة على الصعيد العالمى، ارتفع ذلك العدد عام ١٩٩٨ لكى يصل إلى ٣٠,١ مليون امرأة، ومن المتوقع أن يرتفع العدد إلى حوالى ٤٣,٣ مليون فى عام ٢٠٠٠. وقد توقع منهاج عمل بكين أن هذه التكنولوجيا ستسهل قيام شبكة عالمية للاتصالات تمكن وسائط الإعلام من الاضطلاع بماهية أكبر فى مجال النهوض بالمرأة. وقد ساعد إنشاء البريد الإلكترونى النسائى على تبادل المعلومات بطريقة أسرع وأقل تكلفة، كما أنه يعزز إقامة الشبكات والتنظيم، وأنشطة التعبئة فى أوساط النساء والمنظمات النسائية ومؤسسات وسائط الإعلام.

وهنا تجدر الإشارة إلى الشبكات الإلكترونية التى أنشأت مواقع خصيصًا للمرأة، من بينها شبكة (AVIVA أفيفا) وهى مجلة على الشبكة الدولية يقوم بإدارتها فريق نسائى دولى يقع مقره فى لندن، ومن بين أعمالها المتعددة تقديم قوائم تمكن النساء من الاتصال بعضهن ببعض، وتتيح شبكة المعلومات المتعلقة بقضايا النوع فى إفريقيا حيزًا للربط الشبكى الإلكترونى لتبادل الأخبار والمعلومات والأنشطة فى جميع أنحاء إفريقيا بشأن المساواة والعدالة بين الجنسين. كما أن هناك شبكة للمعلومات فى آسيا تعمل على تبادل المواد الآسيوية واستحداث التطبيقات ونشر المعلومات من أجل تمكين المرأة والنهوض بها، ومما يشير إلى أهمية شبكات المعلومات التى ظهرت إبان التحضير لمؤتمر بكين عام ١٩٩٥ أن قُدِّمَ ١٥٨٧٢٢ مطلبًا من ٦٨ دولة خلال شهر واحد إلى موقع المؤتمر على الشبكة العالمية لشعبة النهوض بالمرأة بالأمم المتحدة.

وعقب حلقة عمل نظمتها شعبة النهوض بالمرأة بالأمم المتحدة وبعض المنظمات التابعة لها من أجل بث المعلومات العالمية من خلال تكنولوجيا شبكات الحواسب لمتابعة أعمال المؤتمر العالمى للمرأة فى بكين، تم طرح مشروع جديد فى مارس ١٩٩٧ تحت مسمى «مرصد المرأة Woman watch». ويعد هذا المرصد واحدًا من المواقع الإلكترونية العديدة التى أقامتها مؤسسات الأمم المتحدة، فقد تلقى أكبر عدد من عمليات الولوج إلى الموقع، وهو ما يزيد على ١٠,٠٠٠ مرة شهريًا فى المتوسط (United Nations, 2000).

صورة المرأة فى الوسائط الإعلامية العربية

أمام هذه الجهود المبذولة على مستوى المجتمع الدولى من أجل النهوض بالمرأة وتحسين أوضاعها وتمكينها من مقدراتها فى إطار التطور التكنولوجى الهائل فى مجال تكنولوجيا المعلومات والاتصالات (O'connor, E;Friel, s.,1997) (Henderson,K.; King,.O., 1997) قد يتساءل القارئ: وأين العالم العربى من ذلك التقدم المذهل؟ وهل استطاعت الوسائل الاتصالية من خلال مؤسساتها المختلفة إحراز تقدم مماثل؟

لاشك أن هناك تقدمًا لا بأس به قد حدث فى اتجاه إعطاء أهمية لتغيير صورة المرأة فى الوسائط الإعلامية، وأن هناك تدابير تتخذ فى هذا الاتجاه، وأن الجهود المبذولة فى هذا الصدد قد خلقت وعيًا غير مسبوق بقضية المرأة، ليس على المستوى الرسمى فقط، ولكن أيضًا على مستوى الجهود الشعبية ممثلة فى المنظمات غير الحكومية التى نشطت نشاطًا ملحوظًا منذ مؤتمر السكان والتنمية الذى عقد بالقاهرة عام ١٩٩٤ (الأمم المتحدة، مؤتمر السكان والتنمية ١٩٩٤).

وبرغم التقدم المحرَز، فلا تزال هناك فجوات قائمة تهدد الجهود التى تبذل فى هذا الصدد، وتوضح أن الوسائط الاتصالية ما زالت لم تقم بعد بمسئوليتها الاجتماعية تجاه قضايا المرأة، خاصة قضايا المساواة والتنمية على وجه

الخصوص.. ويرجع ذلك إلى عوامل متعددة؛ يمثل التصدى لها ودراستها مطلبًا هامًّا من أجل القيام بمهمتها وتعزيز دورها (Rhode,D., 1995) (Low,.J.; Sherrard, P., 1999).

ومن هنا نطرح سؤالاً مهمًّا مؤداه: هل استطاعت وسائلنا الإعلامية الاستفادة من الثورة الاتصالية الهائلة التى تحدثنا عنها آنفًا؟ وما الذى تقدمه وسائل الاتصال فى مجال تنمية المرأة؛ أى كيف تتصورها فتصورها؟ وهل تتسق المادة المقدَّمة مع مسيرة مفاهيم وعادات جديدة تدفع بالمرأة إلى الأمام؟

من خلال البحوث والدراسات التى أجريت عن صورة المرأة فى وسائل الإعلام؛ نجد أن تلك الوسائل لم تلعب دورًا فعالاً فى حركة تطوير المرأة ودمجها فى المجتمع، كما أن تصوير المرأة بالصورة التى تقدم بها أصبحت لا تتناسب مع ما أحرزته من تقدم، على الأقل بالنسبة لبعض القطاعات النسائية فى المجتمع، فما تقدمه عنها تلك الوسائل يقلل من نشاطها ويعوق مسيرتها.

وتشير الدراسات إلى تركيز وسائل الإعلام العربية على قطاعات محدودة من النساء العربيات، تتمثل فى الشرائح العليا من الطبقة الوسطى من سكان المدن، وتتجاهل فى مقابلها نساء الريف والبوادى والقطاعات النسائية الشعبية من سكان المدن.

وفى الحالات التى عولجت فيها قضايا المرأة الريفية، تم ذلك بصورة بعيدة عن واقعها الحقيقى، وفى إطار الجرائم وأزمة الخادمات، والتغطية السطحية لأنشطة بعض الرموز النسائية غير المؤثرة، كما كان الاهتمام بالمرأة البدوية يكاد أن يكون معدومًا (عواطف عبد الرحمن، ٢٠٠٠).

كما تولى وسائل الإعلام العربية اهتمامًا مبالغًا فيه لبعض المهن النسائية على حساب المهن الأخرى، مثل اهتمامها بالفنانات والرياضيات وسيدات الأعمال، على حساب المعلمات والباحثات والطبيبات والعاملات والفلاحات وغيرهن من

ربات المهن التى لا تعد مِهنًا برّاقة من زاوية نظر وسائل الإعلام! كما تهتم من جانب آخر ببعض الفئات العمرية التى تتراوح ما بين ٢٠-٤٠ عامًا تقريبًا، أى مرحلتى الشباب والنضج، وتهمل فى الأغلب المراحل الأخرى، وعلى الأخص مرحلتى الكهولة والشيخوخة، مما يشير إلى رسوخ الرؤية التقليدية عن المرأة بتركيز الاهتمام عليها فى فترات خصوبتها وإهمالها بعد تجاوز هذه المرحلة، وأيضًا قبلها، فالملاحظ أن الفتيات صغيرات السن لا يشغلن أدنى اهتمام لدى وسائل الإعلام العربية (المرجع السابق).

صورة المرأة كما تقدم فى الدراما التلفزيونية

على الرغم من أن ما يقدم عن المرأة فى الوسائل الإعلامية بدأ يحمل بعض رياح التغيير بفضل بعض الإعلاميين الواعين بقضية المرأة، فى محاولة جادة لتغيير الصورة السلبية التى تقدم بها.. فإننا نلاحظ أن تلك الجهود التى تعد جهودًا جزئية ومحدودة تضل فى أغلب الأحوال فى خضم الكم الهائل الذى يقدم عن المرأة، والذى يظهرها فى صورة سلبية لا تتناسب مع وضعها الحالى، ومع الدور الذى بدأ يضطلع به عدد لا يستهان به من النساء فى الفترة الأخيرة، كما أنه لم يضع فى الاعتبار الدعاوى المستمرة إلى تغيير الصورة التى تقدم عن المرأة فى وسائل الإعلام، وما أوصت به البحوث التى أجريت فى هذا الصدد.

ومن خلال الدراسة التى تناولت مقارنة بين صورة المرأة وصورة الرجل كما تقدم فى الدراما التليفزيونية، هدفت إلى التعرف على الصورة المرسومة، وتحديد الأنماط السلوكية المقبولة والأدوار التى يقوم بها كل منهما باستخدام أسلوب تحليل المضمون.. تؤكد مؤشرات تلك الدراسة بروز صور جديدة للمرأة أكثر عصرية لم تظهر من قبل فى الدراسات السابقة، ولعل تلك الأنماط الجديدة قد أوجدتها المتغيرات المستحدثة التى دخلت على المجتمع المصرى فى الفترة الأخيرة، والتى تعبر عن بداية تغير قد بدأ يحدث فى النظر إلى دور المرأة فى المجتمع.. فقد أضافت تلك الدراسة ـ على سبيل المثال ـ صورة

جديدة للطالبة الجامعية المتفوقة ذات الشخصية الإيجابية التى تلعب دورًا وتسلك سلوكًا ينم عن الاستقلال الشخصى والوعى العميق بأمور الحياة. كما قدمت تلك الدراسة أيضًا صورة للمرأة المستقلة ماديًّا التى تتصرف باستقلال عن الرجل، والذى أدى استقلالها إلى تمتعها بسلطة اتخاذ القرار وتسيير الأمور.

وعلى الرغم من ظهور تلك الصور التى لم تظهرها التحليلات السابقة للمادة الإعلامية، فإنها ظهرت بكثافة محدودة لا تعبر عن التغير الذى حدث فى مكانة المرأة ووضعها الاجتماعى.

كذلك؛ فقد شابت تلك الصور بعض السلبيات التى تحتاج إلى التصويب.. وعلى سبيل المثال فالمرأة المستقلة اقتصاديًّا قد بدت مستهجنة اجتماعيًّا، كما صورت فى حاجة ماسة إلى الرجل الذى يقوم عنها بالأعمال الصعبة التى تفشل فى أدائها بمفردها.

كما لم يمنع ذلك من ظهور صورة المرأة فى أقصى تقليديتها، أى المرأة السلبية التى لا تملك، بل التى لا تستطيع التمكن من سلطة اتخاذ القرار، التابعة دائمًا لسلطة الرجل والخاضعة لإرادتها، والتى تظهر تبعيتها فى صورة الشخص الذى يفتقد الأمان والسيطرة على المصير.. ناهيك عن النظرة السلفية التى تناهض عمل المرأة وتكرس فكرة بقائها فى البيت إلا فى حالة الاحتياج المادى أو افتقاد العائل الاقتصادى للأسرة.

كذلك؛ فقد ظهرت صورة المرأة التى تدافع عن تبعيتها، فتتبنى فكرة استعبادها معتبرة أن تلك الصورة هى جزء لا يتجزأ من طبيعتها الأنثوية، فيؤدى بها ذلك إلى التضحية بنفسها بلا حدود من أجل إسعاد الآخرين الذين لا تتوقع منهم مقابلاً نظير ما تقوم به من تضحيات (ناهد رمزى، ١٩٩٥).

وهنا يمكن القول إن وجود الصورتين المتناقضتين للمرأة معًا فى الخطاب الإعلامى فى وقت واحد، يدل على غياب الاستراتيجية العامة لوسائل الإعلام (سامية الساعاتى، ٢٠٠٠).

وفى إطار ما يقدمه التلفزيون، يجب ألا نغفل دور الإعلانات التى أصبحت تحتل من شاشات التلفزيون جانبًا لا يستهان به، والتى تقدم المرأة على أنها كائن قابل للاتجار به فى مجال الترويج للسلع الاستهلاكية، وفى إطار أساليب تعتمد على عناصر التشويق والجاذبية، وكأنها كائن جميل أو جسد مطلوب إظهار محاسنه ومفاتنه، وهو ما يُعَرِّض المرأة بها لمختلف أشكال الامتهان والسوقية، ويجعلها فى حال من الاغتراب المتواصل عن أدوارها الجادة المتعددة والمطلوبة منها كمواطن منتج وكائن بشرى، بل وكإنسان له حقوقه ومتطلباته .(Kang, M., 1997)

يضاعف من تأثير هذه الوسيلة الخطيرة أنها سهلة التناول، ميسورة الاستهلاك بين الأميين وغير الأميين، إلى جانب قدرتها على النفاذ إلى حياة المشاهد، بما يؤكد استمرارية التعرض، وبالتالى استمرارية التأثير.

وأخيرًا، إذا كانت عمليات التسويق للدراما التلفزيونية والسينمائية تحكم ـ فى كثير من الأحوال ـ المضمون وتناول القضايا؛ فإن هذا العامل يؤكد أهمية وضع قضايا المرأة فى أجندة اهتمام كافة البرامج والأشكال الصحفية من برامج حوارية وأفلام تسجيلية وتحقيقات ومقالات وأعمدة صحفية خاصة، والتى ارتبطت بأقلام كبار المفكرين والكتاب لما يمثلونه من قيادات فكرية للفقراء بما يحقق التأثير التراكمى لتلك الرسائل المتعددة والمتنوعة، والتعرض الواعى والأمين لقضايا المرأة المصرية (منى الحديدى، ٢٠٠٠).

صورة المرأة كما تقدم فى المادة الإذاعية

ولا يختلف كثيرًا ما يقدم من مادة إذاعية فى الراديو ـ باعتباره وسيلة إعلامية ـ عما يقدم فى التلفزيون الذى لا تتناول برامجه ــ إلا بنسب ضئيلة ـ مادة تثقيفية أو تعليمية موجهة للمرأة من أجل تنمية قدراتها أو إمدادها بالمعلومات الجادة. وتشير إحدى الدراسات التى أجريت على المادة الإذاعية الموجهة للمرأة أن صورتها بدت سلبية، ولم تقدم فى صورة إيجابية إلا بما لاتتجاوز نسبته ٢,٨٪ من المادة المقدمة (سلوى عبد الباقى، ١٩٨٣).

ويبدو ذلك أمرًا خطيرًا، فالإذاعة تملك ما لا يملكه غيرها من التأثير، وذلك لما تتمتع به من إمكانية الانتشار الواسع حتى فى الأماكن النائية التى تسود فيها الأمية، ويبدو ذلك بصفة خاصة فى المناطق الريفية المحرومة من الخدمات، لذا فهى تفوق فى تأثيرها المادة المقروءة التى تتطلب مستوًى ثقافيًّا معينًا يتطلب القراءة والكتابة، كما تعد أكثر تأثيرًا وانتشارًا من المادة المشاهَدة التى تقف عقبةً أمام انتشارها فى بعض الأماكن النائية ضرورةُ توفر الكهرباء.

صورة المرأة كما تقدم فى الأفلام السينمائية

ولا تختلف أيضًا صورة المرأة فى الأفلام السينمائية عما سبق عرضه من صورتها فى كلٍّ من المادة المذاعة والمشاهدة، (Woodruff, K., 1996) (Rhode,D.L. 1995) ولكن المرأة تقدم من خلالها بأسلوب يتسم بالتسطيح والتبسيط المبالغ فيه، وبشكل يخلو من العمق الدرامى أو الأبعاد النفسية التى تعمل على تحليل الشخصيات، بما يقدم المرأة فى صورة لا تعبر إلا عن فئة من النساء، غافلة عن الأنماط الأخرى من النساء ذوات الشخصيات الإيجابية أو ذات الفعالية، فتقدم المرأة أحيانًا فى دور سلبى، أو فى دور يقبل القهر والضغط النفسى، أو تبدو متورطة فى أعمال غير شريفة أو أمينة دون التعمق فى الأسباب أو الدوافع الحقيقية التى دفعتها إلى هذا العمل أو أدى بها إلى الانحراف، بما يوحى أن ذلك السلوك إنما يتناسب وطبيعتها التى تقبل الضغط أو الابتزاز، أو أن ذلك الانحراف إنما هو أمر كامن فى طبيعتها (Barker,D.,1998)، (Posavac,H.D.,1998).

وتشير إحدى الدراسات المصرية عن صورة المرأة فى الأفلام السينمائية (ضمت ٤١٠ أفلام سينمائية، وتضمنت ما يقرب من ٤٦٠ شخصية نسائية احتلت أدوارًا اجتماعية متعددة ومستويات اقتصادية متباينة) إلى أنه على الرغم من هذا التعدد، فإن المرأة ظهرت من خلالها فى دورها التقليدى أو الأنثوى، حيث صورت كمخلوق وُجِدَ لإمتاع الرجل، فلا تشغلها القضايا العامة

لمجتمعها، ولا تتأثر بمشكلاته القومية أو السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية، بل يشغلها دائمًا أمور الحب والزواج والرغبة فى الإنجاب. كما دارت نسبة كبيرة من هذه الأفلام فى فلك الانحراف الشخصى، فصورت فيها بأشكال شتى من صور الانحراف، وحتى عندما صورت كعاملة أو دارسة للعلم أو مشاركة فى تنمية مجتمعها، فإنها لم تظهر إلا بنسب ضئيلة أيضًا، كما ظهرت المرأة الريفية الكادحة بنسب أكثر ضآلة لا تتناسب ونسبتها فى المجتمع المصرى (منى الحديدى، ١٩٧٧).

كذلك؛ لم تتعرض الأفلام السينمائية إلى حركة تحرير المرأة أو إسهامها فى مجال العمل السياسى إلا لُمامًا، هذا على الرغم من أن الحركة النسائية العربية المعاصرة - خاصة فى مصر بحكم موقعها الريادى فى العالم العربى - قد سبقت ظهور وتطور السينما بوصفها فنًّا وصناعة بحوالى نصف قرن، بمعنى أن صورة المرأة فى السينما المصرية قد بدأت تتشكل فى إطار خلفية ناضجة من النضال السياسى والاجتماعى لتعزيز دور المرأة ومكانتها فى المجتمع. ومع ذلك ظلت السينما المصرية تقليدية فى نظرتها إلى المرأة، وفى طرحها لقضايا فات أوانها وانتهى عصرها.

يضاف إلى ذلك أيضًا بعض المتغيرات الجديدة التى بدأت تلعب دورًا ذا بال فى تقديم نوعية هابطة من الأفلام، يلعب فيها عامل الربح المادى الدور الأساسى بهدف التوزيع الخارجى، وهى نوعيات من الأفلام تلقى رواجًا فى بعض الدول المستوردة لتلك الأفلام، بما يعنى أن القائمين على صناعة السينما قد تخلوا عن الدور المنوط بالعمل الفنى الإبداعى وماله من دور مؤثر فى تغيير اتجاهات أفراد المجتمع، والقضاء على المد الرجعى من خلال بث رسائل اجتماعية أو ثقافية ذات مضمون هادف (اللجنة الاقتصادية لغربى آسيا، ١٩٨٧).

صورة المرأة كما تقدم فى الصحافة

أما فيما يتعلق بالمادة المقروءة من ألوان التعبير، فتبدو الإشارة إليه أمرًا هامًّا، خاصة وأن مصر قد حملت لواء طليعة العمل الصحفى فى المنطقة العربية، هذا إلى جانب سبقها إلى إنشاء وتطوير الصحافة النسائية. وعلى الرغم من عمليات التحديث التى بدأت منذ العقد الأول من القرن الماضى، والتى استمرت طوال هذه الفترة بإنشاء الاتحادات النسائية التى تعزز كفاح المرأة فى مصر لتربط بينها وبين كفاح النساء فى العالم العربى، ولتربط بين نيل المرأة لحقوقها الاجتماعية والإنسانية والدستورية، وبين نيل الوطن لاستقلاله وحريته السياسية. . على الرغم من ذلك، فإننا نجد صورة المرأة فى الصحافة العامة والنسائية قد حفلت برؤية لا تتوافق مع التغيرات المعاصرة (ناهد رمزى، ١٩٩٣) والتى عملت بوعى أو بغير وعى على تكريس وتدعيم الوضع التقليدى للمرأة. ففى معالجة مادة القصص المحللة فى هذه الدراسة على مستوى الأدوار الاجتماعية المختلفة التى تلعبها المرأة، ظهر أن تلك الأدوار تنحصر أولاً وقبل كل شىء فى إطار علاقة المرأة بالرجل؛ بغض النظر عن الوضع الذى تشغله (صفية مجدى، ١٩٨٣). كما أسفرت تلك الدراسة التى قامت بها المؤلفة عن وجود ستة أبعاد سلوكية أوضحتها القصص المحللة؛ تحاول جميعًا أن تدعم وتؤكد دور المرأة التقليدى الأنثوى الذى يعبر عن السلبية والاتكالية، ولم تُظهر القصص المحللة فى تلك الدراسة أية قضايا جادة تشغل المرأة أو تدمجها فى مجتمعها، أو تصورها فى دور المشارك فى تنمية مجتمعها أو الرقى به (ناهد رمزى، ١٩٨٣).

ثم أتيح للمؤلفة إجراء دراسة أخرى بالتعاون مع برنامج المرأة باليونيسيف للمؤتمر الدولى الرابع للمرأة الذى عقد فى بكين تحت عنوان «مقارنة بين صورة المرأة وصورة الرجل فى الدراما التلفزيونية» تم نشرها عام ١٩٩٥؛ أى بعد ما يقارب عقدًا من الزمان على ظهور المدرسة الأولى. وعلى الرغم من أن البحث الجديد قد قدم صورًا جديدة تعبر عن حدوث قدر من التغير كظهور صورة المرأة العاملة أو الفتاة الجامعية المتفوقة، فإن تلك الصور قد ظهرت بكثافة محدودة

وبنسب ضئيلة؛ مما أدى إلى اختفائها فى وسط الصور المقدَّمة للمرأة فى أدوارها التقليدية، ناهيك عن النظرة السلفية التى تقلل من شأن عمل المرأة وتكرس فكرة البقاء فى البيت إلا فى حالة الاحتياج المادى الشديد أو افتقاد العائل الاقتصادى للأسرة. وإن دل ذلك على شيء؛ فإنما يدل على أن الوسائل الاتصالية لم تلعب على مدار تلك الفترة دورًا فعالاً يعتد به فى مجال تنمية المرأة ودفعها إلى الأمام، أو العمل على محاولة إنقاذها من عزلتها من خلال معاناتها من أوضاع اجتماعية واقتصادية قاسية.

أيضًا؛ تحتل موضوعات الأزياء والموضات والتجميل وفنون الماكياج جانبًا غير قليل من المساحة المخصصة للأبواب النسائية فى الصحف العامة، وهو تَوَجُّه يخاطب أساسًا المرأة التى تنتمى إلى الطبقة الوسطى وما فوقها فى الحضر والمدن الكبرى؛ دون النساء المنتميات إلى الطبقات الشعبية الكادحة أو النساء الريفيات البعيدات عن الحضر.

كذلك؛ فقد ارتفعت نسبة المساحات المخصصة للإعلانات التى تدور حول مستحضرات التجميل والأزياء والسلع، وهو اتجاه ينمى التطلعات الاستهلاكية نحو السلع الأجنبية المستوردة خاصة، على حساب الإنتاج المحلى المناظر له. هذا إلى جانب أن بعض أبواب الصحف اليومية يكاد أن يخاطب امرأة تجريدية معزولة عن محيطها الاجتماعى العام غير محددة النوعية، لا من حيث العمل أو المشاكل أو الاهتمامات (اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربى آسيا، مرجع سابق).

صورة المرأة فى الكاريكاتير

وفى دراسة أجريت عن فن الكاريكاتير وكيفية تصوير المرأة من خلاله باعتباره تسجيلاً مرسومًا ومجسدًا للنكتة، وامتدادًا لتاريخها فى السخرية والنقد.. توصلت إحدى الدراسات إلى أنه على الرغم من القيمة العظيمة التى يكتسبها هذا الفن بحكم تراثه الطويل وتأثيره النقدى على القارئ، فإنه يعد فى

الأغلب والأعم فنًّـا يقوم به الرجال فقط، كما أن الاستفادة من تلك الطاقة الخلاقة لا تتم على أفضل وجه.. فالرسوم الكاريكاتيرية التى تم تناولها بالتحليل فى الدراسة المشار إليها؛ لم تعكس تطورًا بالقدر الكافى الذى يجعلها تحمل مضامين نقدية نوعية تساهم فى تطوير وتقدم المجتمع. ومن أهم الدلائل على تخبط الرسالة الاجتماعية والحضارية: ظهور المرأة إما فى صورة استعراضية فاضحة فى هيئتها وملامحها، أو فى صورة بدينة إلى حد البشاعة، مع المبالغة فى إظهار بعض المواضع من جسمها بشكل يثير السخرية. كما تظهر أحيانًا مسرفةً تدفع بالرجل إلى السرقة أو قبول الرشوة أو ارتكاب الجرائم، أو مستغلةً لقدراته أو إمكانياته أو جهوده.

وفى إطار تصوير المرأة فى مجال عملها، فكثيرًا ما تتناول لوحات رسامى الكاريكاتير الساخر المرأة باعتبارها كائنًا معطلاً للاقتصاد وللإنتاجية، فهى كسولة وغير منتجة، بل ومتسببة فى رفع نسبة البطالة بين الرجال.. هذا إلى جانب المشكلات التى يسببها خروجها إلى العمل.

وعند بعض رسامى الكاريكاتير الذين يطرحون قضايا سياسية واجتماعية بالدرجة الأولى، فإن صورة المرأة فى رسومهم، وإن كانت تأتى فى إطار القضية المطروحة، تبقى هامشية ولا تحمل وظيفة هامة أو دورًا أساسيًّـا (هدى الصدة وآخرون، ١٩٩٥).

نحو استراتيجية إعلامية للمرأة

يتضح لنا من العرض السابق أن أغلب ما يقدم عن المرأة من خلال وسائل الاتصال المختلفة - بالإضافة إلى ما تتضمنه الأعمال الفنية والأدبية - قد غلب عليه توجهات خاصة تتسم بالتركيز على صورة لها لا تتوافق مع الواقع المعاش، وتقدم مادة تتناول قضاياها الهامشية دون القضايا المحورية، كما أنها تقدم بعض أدوارها التقليدية التى قصرت عليها لفترات طويلة، مع حجب أدوارها المستحدثة التى تظهر كفاءتها الفعلية وقدرتها على الجمع بين أدوار متعددة،

وهذا إلى جانب الصورة السلبية التى كثيرًا ما تقدم بها، مما يحط من شأنها ويقلل من كرامتها، ناهيك عن أسلوب العنف البدنى الذى يوجه ضدها مما يتنافى مع حقوق الإنسان وكرامته.

ولأن ما يقدم فى وسائل الاتصال إنما هو مرآة عاكسة لحضارة المجتمع وثقافته، وأن الصورة التى تقدم بها المرأة ما هى إلا تعبير عن اتجاهات أفراد المجتمع الذى تنتمى إليه وتتعامل مع أبنائه فى علاقة تفاعلية تبادلية، وأن ما يقدم فى تلك الوسائل إنما يعبر عن أفكار وتصورات مغزى تلك المادة وليس عن الواقع الحقيقى الذى تعيش فيه المرأة فى مجتمع اليوم.. لذا؛ بدا من الضرورى إعادة النظر فيما يقدم من تلك الوسائل، ومحاولة توظيف المادة الاتصالية التوظيف الأمثل بما يعمل على تغيير الاتجاهات والأفكار السائدة عن المرأة لدى أفراد المجتمع، وذلك حتى يقدم صورة حقيقية عنها، ويقدمها فى إطارٍ يعبر عن واقعها المعاش من ناحية، ويعمل على النهوض بها حتى تصبح تلك المادة الاتصالية بمثابة المعين الحقيقى لحركة تقدم المرأة، وبالتالى تقدم المجتمع.

وهنا يصبح لزامًا على الوسائل الاتصالية أن تتحمل مسئوليتها الاجتماعية فى التصدى لإحداث التغيير الاجتماعى المنشود، وهى من وجهة نظرنا مسئولية مزدوجة، فهى من ناحية تملك تغيير اتجاهات الأفراد نحو مكانة المرأة فى المجتمع، وبالتالى تغيير ما يقدم عنها من صورة سلبية.. ومن ناحية أخرى يمكن أن تمثل قوة دافعة للمجتمع وأفراده نحو تبنى اتجاهات إيجابية مستحدثة تناسب العصر، وتتمشى مع احتياجات المجتمع نحو التغيير الملائم؛ ومع ما تسعى إليه الدولة من العمل على النهوض بالمرأة ومساعدتها على القيام بأدوارها المتعددة خير قيام.

أمام هذه الاعتبارات التى استعرضناها آنفًا، يبدو من الأهمية بمكان التوظيف الأمثل لتكنولوجيا الاتصال، وما تملكه من إمكانيات فعالة وتأثير لا يبارى من

أجل العمل على خدمة قضية المرأة التى لم تساهم فيها حتى اليوم إلا بالقدر اليسير. . ولن يتأتى ذلك إلا عن طريق وضع استراتيجية إعلامية تقوم على خطة مدروسة تهدف إلى تغيير الصورة السلبية السائدة عن المرأة فى تلك الوسائل، مع الاعتماد على رصد التغيرات التى حدثت للمرأة فى الفترة الأخيرة بما يبرز وضعها الحقيقى، ويعمل على تقليل الفجوة الحادثة بين نوعى الجنس، أو إثارة القضايا المحورية التى أصبحت تشغلها فى إطار وضعها المتغير، والتركيز على المادة الاتصالية التى تنمى ـ لدى الجماهير عامة والمرأة خاصة ـ القيم الإيجابية التى تساعد على التعجيل بعملية تنمية المرأة، كالسعى إلى التعليم والتدريب، واحترام قيمة العمل، والإحساس بأهمية الوقت، وتنمية قيم الاستقلال الذاتى والوعى بقضايا المجتمع، والقدرة على التطوير والتعديل من خلال النقد البناء الذى يتناسب مع مجريات التحديث، من خلال استراتيجية إعلامية تقوم على الأسس التالية:

أولاً: النظر إلى قضية المرأة كجزء لا يتجزأ من قضايا المجتمع، وتجنب الفصل التعسفى الذى يؤدى إلى الوقوع فى إطار النظرة التجزيئية إلى وضع المرأة وإغفال دورها الحقيقى فى تنمية وتطور مجتمعها، والعمل على دمج المرأة فى كافة الأنشطة السياسية والاقتصادية المختلفة، وتأكيد فكرة أن النهوض بالمجتمع والرقى به لن يتم إلا بمشاركة المرأة والرجل معًا دون أدنى تفرقة.

ثانيًا: من الأهمية بمكان العمل على تغيير المناخ الفكرى والثقافى السائد عن المرأة، وذلك عن طريق تغيير الاتجاهات والأفكار السائدة عن دورها التقليدى فى المجتمع، والعمل على تقليل الفجوة الحادثة بينها وبين الرجل، وإعادة النظر فى المادة الاتصالية التى تعمل على التفرقة النوعية بينهما، والتى تروج لفكرة أن المرأة إنما خلقت للعمل المنزلى والإنجابى، والرجل خلق للعمل والإنتاج.

ثالثًا: يجب أن تلعب الوسائل الاتصالية دورًا ذا بال فى تغيير صورة المرأة عن نفسها، وذلك عن طريق تأكيد الدور الإيجابى الذى تقوم به فى المجتمع،

وإظهار إسهاماتها المختلفة فى النهوض به عن طريق إظهار نماذج من الشخصيات النسائية الناجحة فى مجالات عدة، فمن شأن ذلك أن يعزز مكانتها ويزيد من ثقتها بنفسها، ويساعدها على الانطلاق لتأكيد دورها فى الحياة العامة، وتدعيم معايير المشاركة واتخاذ القرار الذى تبدو بعيدة عنه غير مشاركة فيه، سواء على المستوى الأسرى أو المستوى المجتمعى الذى ينبغى أن يكون للمرأة فيه نصيب كنصيب الرجل.

رابعًا: القضاء على الانفصال الحادث بين ما يقدم عن المرأة فى الوسائل الاتصالية وبين واقعها الحالى، وما استطاعت أن تحرزه من تقدم على مختلف الأصعدة.. وهو ما يجعل شرائح لا يستهان بها من النساء، خاصة من أحرزت منهن قدرًا من التعليم واندرجت فى قطاعات العمل أو استطاعت الإسهام فى مجال العمل العام - اجتماعيًا كان أو سياسيًا - لا يجدن فى الإعلام أدنى انعكاس لحياتهن، أو أدنى اهتمام بجوهر القضايا التى تشغلهن، أو الهموم التى يعانين منها، بما يؤدى إلى عدم الاهتمام به أو متابعته، مما يفقده شرائح هامة من الممكن أن يستعان بها فى إحداث التغيير المنشود الذى يهدف إلى النهوض بالمجتمع والعمل على تطويره.

خامسًا: يجب أن توظف الوسائل الاتصالية توظيفًا معرفيًا جيدًا بما يؤدى إلى فتح باب للثقافة الراقية لكى تصبح مصدرًا جيدًا يحصل من خلاله الأفراد على المعلومات التى تقدم بشكل متساو يفيد المجتمع - رجالاً ونساءً - دون تحيز لنوع دون الآخر أو لفئة على حساب فئة أخرى.. فوظيفة وسائل الاتصال يجب ألا ينظر إليها على أنها قاصرة على الترفيه فقط، بل من المهم النظر إليها باعتبارها أداة ذات هدف مزدوج، تملك بعدًا ترفيهيًا وآخر تثقيفيًا، وتتعاظم مسئوليتها الاجتماعية لما لها من قبول هائل وانتشار واسع. كما يجب الوضع فى الاعتبار أن للثقافة مهمة وطنية وقومية تعمل على بناء المجتمع السليم الذى ترسخ فيه القيم الإيجابية والسلوك القويم بهدف إحداث التنمية المجتمعية المستهدفة.

سادسًا: لكى تحقق الوسائل الاتصالية الدور المنوط بها فى تعديل الاتجاهات وتغيير الأفكار البالية، يجب الوضع فى الاعتبار الاهتمام بالعنصر الإنسانى فى العملية الاتصالية، وتدريب العاملين فى مجال الاتصال بما يسمح بزيادة تأهيل الكوادر الفنية الموجودة، وخلق كوادر جديدة من الخبرات الشابة بما يعمل على حسن التعامل مع ما يقدم من مواد إعلامية وثقافية بقدر عال من التفتح من خلال التنسيق بين الأجهزة الاتصالية المختلفة التى يجب أن تعمل على تغيير الصورة التقليدية المقدمة عن المرأة، والعمل على تنقية المادة الإعلامية من محاولات تكريس فكرة الفروق النوعية وسيادة الرجال على النساء، وذلك من خلال توجهات ترسم لهذا الهدف، واعتمادًا على الاستراتيجية المعدة لهذا الغرض.

سابعًا: على الرغم من الزيادة الكمية فى عدد النساء العاملات فى قطاع الاتصال، بيد أن قلة منهن قد وصلن إلى مناصب ترقى إلى مستوى اتخاذ القرارات، أو يعملن فى المجالس أو الهيئات الإدارية التى تؤثر فى السياسات الإعلامية. وتتجلى الفروق النوعية الواضحة فى المناصب العليا فى وسائل الإعلام فى إزالة القوالب النمطية القائمة على أساس الانتماء الجنسى، وهنا يجدر الاهتمام بزيادة مشاركة المرأة ومساعدتها على الوصول إلى مناصب اتخاذ القرار، وتحسين فرصها فى التعبير عن آرائها، واتخاذ القرارات المهمة فى وسائل الإعلام المختلفة، وحسن التدريب على تكنولوجيا الاتصال الجديدة.

ثامنًا: يجب أن تقوم وسائل الإعلام بدور فعال فى تحسين أسلوب التفاعل بين المرأة والرجل، والقضاء على أسلوب العنف والإيلام البدنى الذى لوحظ من خلال بعض المواد المقدمة، والذى يؤدى إلى التقليل من مكانة المرأة ووضعها الاجتماعى، كالإهانة باللفظ أو بإلحاق الأذى، كذلك تنقية تلك البرامج من العبارات غير الملائمة، والعمل على تحسين أسلوب الخطاب المستخدم بينهما، وإلغاء الأسلوب غير الملائم فى التعامل الموجه من الرجل

إلى المرأة، سواء كان ذلك الرجل أبًا أو زوجًا أو أخًا أو قريبًا أو رئيسًا أو زميلاً في العمل.

تاسعًا: إن التعارض والتضاد الذى يلاحظ أحيانًا فى وسائل الإعلام المختلفة فيما يقدم عن المرأة، إنما يفرض أهمية التنسيق فيما تقدمه هذه الوسائل. ولا يعنى التنسيق المطلوب مطالبة تلك الوسائل بالخروج بصورة نمطية لا تتغير عن المرأة، وإنما يضع أسلوبًا خاصًّا يفرض على تلك الوسائل اتباعه من خلال خطوط عريضة، أو اتباع استراتيجية هادفة تعمل على الالتزام بالعمل على تغيير صورة المرأة التى تقدم بشكل سلبى، كما تعمل على ألا تقدم الصورة ونقيضها، أى لا تقدم قيمًا إيجابية تعمل على مساعدة المرأة على القيام بأدوارها فى بعض الوسائل، كما تقدم صورًا سلبية تهدم تلك القيم أو تسخر منها، أو تعرض عكسها فى وسائل أخرى. . فمثل ذلك التعارض من شأنه أن يذهب بكل جهود بناءة تعمل على رفع شأن المرأة وتغيير مكانتها فى المجتمع.

عاشرًا: حين التصدى لاستخدام وسائل الإعلام فى مجال توعية المرأة وزيادة معارفها، فمن الأمور المهمة دراسة فئات النساء اللائى فى حاجة إلى تلك الوسائل، ودراسة الوسائل الإعلامية الأكثر فعالية بالنسبة لإمكانياتهن ودرجة استيعابهن واحتياجاتهن الحقيقية لتحديد الوسائل الإعلامية الأكثر مناسبة لهن، والتى من شأنها أن تخلق قناة اتصالية يمكن من خلالها بث الرسائل التى تعمل على التوعية وزيادة المعارف وإحداث التغيير المنشود. وكلما كانت الوسيلة الاتصالية أكثر قبولاً من الجمهور المتلقى، كلما نجحت فى تحقيق أهدافها والقيام بالدور المنوط بها. . فالحكم على مدى ملاءمة الوسيلة الإعلامية لا يتم إلا من خلال السياق الذى تستخدم فيه، فبعض الوسائل قد تكون أكثر فائدة وملاءمة فى موقف ما من وسيلة أخرى، ولا يعنى ذلك أن هناك وسيلة أهم من الأخرى، وإنما الوسيلة الهامة هى الأكثر مناسبة للهدف المنشود وللموقف المعين ولنوع الرسالة وللجمهور المستهدف بالخدمة.

حادى عشر: تحتاج النساء ــ خاصة فى المناطق الحضرية الفقيرة، والريفية، والبدوية البعيدة عن الخدمات ـ إلى تكثيف الرسائل التى توجه لهن، على أن يكون لتلك الرسائل طبيعة خاصة تعمل على تلبية احتياجاتهن وزيادة وعيهن بأمورهن الخاصة وبشئون مجتمعهن المحلى والمجتمع العام، على أن تستخدم فى ذلك الوسائل الإعلامية المناسبة التى تتسم بسهولة الفهم وإمكانية الاستخدام، و التى لا يتطلب اقتناؤها تكلفة ذات بال، بحيث يتحقق لتلك الوسائل شمول الانتشار وإمكانية التأثير، وبالتالى إحداث التغيير. وفى هذا المجال لابد من توجيه اهتمام خاص نحو الكلمة المسموعة والمرئية، فالنساء فى تلك المجتمعات المحرومة من الخدمات يكن وارثات ــ ضمن تخلف مجتمعاتهن ـ أميةً تكاد تسود النسبة الغالبة منهن. وهنا تكون الرسائل الإعلامية البسيطة المستقاة من حياتهن الخاصة، والتى تعتمد على الكلمة المسموعة والمرئية، أكثر ملاءمة لأوضاعهن. وهنا يجدر الاهتمام بصفة خاصة بأسلوب الاتصال المباشر، والملصقات ذات الرسائل الهادفة المبسطة، والراديو، والتلفزيون. . وجميع تلك الوسائل ـ خاصة بعد التعديلات التى أدخلت عليها ـ قد خلقت منها أساليب يمكن الاستعانة بها بكفاءة عالية فى مجال توعية وتثقيف وتدريب المرأة وتغيير اتجاهاتها نحو دورها فى المجتمع نظرًا لكونها أساليب أقل تكلفة، وأوسع انتشارًا ومرونة فى الاستخدام، وسهولة فى التناول، وتتاح فرصة استخدامها أكثر من مرة. . كما يمكن الوصول بها إلى أبعد منطقة: بدوية، أو ريفية. . وهى المناطق الأوْلى بالرعاية والأجدر بالاهتمام.

ثانى عشر: ظهرت فى الفترة الأخيرة من خلال وسائل الإعلام المختلفة مجموعة من الأعمال الرائدة التى يمكن اعتبارها نموذجًا يحتذى فى تقديم المرأة من خلال صورة مشرقة إيجابية؛ تساهم فى تنمية مجتمعها وتعمل على النهوض بها كى تقوم بأدوارها المتعددة على خير وجه، مع التركيز على النماذج النسائية المضيئة التى كان لها دور فعال داخل المجتمع أو خارجه. ومن الضرورى الإكثار من تلك التجارب الناجحة ومنحها مساحة أكبر من خلال

وسائل الإعلام حتى تسهم مساهمة فعالة فى تغيير الصورة السلبية السائدة عن المرأة، كذلك التقليل من تأثير الأعمال الأخرى التى تقلل من مكانة المرأة وتحط من شأنها.

وسائل الاتصال إمكانية واعدة

وفى النهاية؛ فإننا نرى أن وسائل الاتصال تملك إمكانيات واعدة يمكن توظيفها فى مجال التنمية الشاملة، مع الوضع فى الاعتبار اختيار الوسيلة الأكثر قبولاً لدى الجماهير ومناسبة لهم، والتى من شأنها أن تخلق قناة اتصال يمكن عن طريقها بث الرسالة الإعلامية التى تعمل على هذا التغيير، وكلما كانت الوسيلة الاتصالية أكثر قبولاً لدى الجمهور، كلما حققت أهدافها ونجحت فى أداء الدور المرسوم لها.

ولكننا لا نستطيع الحكم على مدى ملاءمة كل وسيلة من هذه الوسائل إلا من خلال السياق الذى تستخدم فيه، فبعض الوسائل قد تكون أكثر أهمية من وسائل أخرى فى موقف ما، وأكثر قبولاً عند الجمهور المستهدف.. فالطباعة مثلاً قد لا تكون ذات أثر فعال فى مجتمع نامٍ تسوده الأمية أو انخفاض دخل أغلب أفراده، نظراً لما يحيط بالكلمة المطبوعة من مشكلات متعددة كارتفاع تكلفة الطباعة ومشكلات التوزيع.. إلخ، وشبيه بذلك الوسائل الإلكترونية التى قد تستخدم استخدامًا ناجحًا فى مجالات التنمية، لكن ارتفاع تكلفتها وعدم وجود صيانة لها وعدم توفر الخبرة الفنية اللازمة لإدارة وصيانة تلك الأجهزة؛ تقلل من إمكانية الاستفادة منها فى المناطق النائية المحرومة من الخدمات التى ترتفع فيها الأمية وتزداد وطأة المتطلبات الاقتصادية، وهنا يتضاعف دور الكلمة المسموعة والمرئية، ويصبح تأثيرها فعالاً كلما كان المجتمع الموجهة إليه الرسالة مجتمعًا ناميًا، فمثلا: ذلك المجتمع يكون وارثًا ضمن ميراث تخلفه أمية تكاد تسود النسبة الغالبة من أفراده. لذا كانت الكلمة المسموعة والمرئية أكثر ملاءمة له، كما يكون هو أيضًا أرضًا خصبة وميدانًا ثريًا لاستيعابها وتقبلها.

هنا يمكن الإفادة من إمكانية الاتصال المباشر والإعلام الإقليمى كوسيلة اتصال فعالة. . كذلك مراكز الإعلام الإقليمية بالإذاعة والتلفزيون هما الوسيلتان اللتان يمكن التعويل عليهما فى دول العالم النامى، وخاصة بعد التطورات والتعديلات التى أدخلت عليهما وجعلت منهما مجالاً خصبًا يمكن استغلاله بكفاءة عالية فى مجال توعية المرأة وتثقيفها ومحو أميتها وتدريبها، وتغيير اتجاهاتها نحو دورها فى المجتمع، حيث أنها أقل تكلفة وأوسع انتشارًا. . فليس من المهم وجود جهاز فى كل منزل إذا لم تتوافر الإمكانية لكى يصبح وسيلة ناجحة من وسائل الاتصال الجماهيرى، بل من الممكن الاستفادة من دور عدد قليل من الأجهزة عن طريق وجودها فى المراكز الثقافية أو الإعلامية المنتشرة التى تساعد الجمهور على متابعتها.

كما أن وجود التسجيل عن طريق أجهزة الفيديو كاسيت وسع إمكانية انتشار البرامج التلفزيونية التى تعمل على التثقيف والتوعية ومحو الأمية إذا ابتكرت برامج خاصة لهذا الهدف، كما أتيحت تلك الإمكانية للراديو من قبل عن طريق انتشار أجهزة التسجيل، فتلك البرامج يمكن أن تُسجَّل ويعاد عرضها فى أى وقت إذا توفرت المعدات المناسبة، ويفيد فى ذلك الفيديو تيب والفيديو ريكورد والفيديو كاسيت نظرًا لصغر حجمها وانخفاض تكلفتها.

وفى هذا المجال يجب ألا ننسى الاختراعات الحديثة التى غيرت وجه الحياة فى الجزء الأخير من القرن العشرين، والتى تبدو من خلال اختراع الكومبيوتر وتطور قدراته بشكل فائق بكل ما يمثله من قدرة على تخزين واسترجاع المعلومات بسرعة مذهلة. كذلك ظهور الأقمار الصناعية فى مجال الاتصالات وقدرتها على نقل الصور التلفزيونية والمعلومات بكل أشكالها من أى ركن من العالم إلى ركن قصى. أيضًا، البث المباشر من الأقمار الصناعية إلى المنازل بأطباق الاستقبال الصغيرة، واستخدام الكوابل كوسيط لنقل الرسائل التلفزيونية من الأقمار الصناعية إلى المنازل، وظهور التكنولوجيا الرقمية فى مجال الاتصالات؛ مما أدى إلى ظهور جودة فائقة فى الصور التلفزيونية، وأيضًا اكتشاف تكنولوجيا

الضغط الرقمى التى ضاعفت من استخدام الأقمار الصناعية فى مجال التلفزيون (حسن حامد، ٢٠٠٠).

إن ما أريد تأكيده هو أن مستقبل حقل الاتصال الجماهيرى وضمان نجاحه فى الدول النامية إنما يعتمد على توفير وسائل إعلامية مرنة وسهلة الاستخدام يمكن توظيفها لخدمة هدف التنمية، وذلك حتى يمكن توعية المرأة وتثقيفها ومحو أميتها، وبالتالى تنميتها حتى أبعد منطقة ريفية أو بدوية يمكن الوصول إليها، وهى المناطق الأجدر بالعناية وبتركيز الاهتمام.

ونرى من وجهة نظرنا أن لتلك الوسائل دورًا هامًّا، كما أن عليها مسئولية اجتماعية يجب أن تؤديها، فما تملكه من إمكانيات هائلة على التأثير يتيح لها أن تحمل على عاتقها التصدى لإحداث متطلبات التغيير والتطوير فى إطار خطة مدروسة وموجهة تهيئ الجو المناسب لقبول هذا التطوير، فوظيفة وسائل الاتصال يجب ألا ينظر لها على أنها قاصرة على الترفيه فقط، بل من المهم النظر إليها باعتبارها أداة ذات هدف مزدوج تملك بعدًا ترفيهيًّا وآخر تثقيفيًّا، وتتعاظم مسئوليتها الاجتماعية لما لها من قبول هائل وانتشار واسع.

مراجع الفصل الرابع

أولاً: المراجع العربية

- اللجنة الاقتصادية لغربى آسيا: صورة المرأة العربية فى وسائل الإعلام وفنون التعبير؛ قضايا وتوجهات. الأمم المتحدة، ١٩٨٧.
- حسن حامد: التحولات المعاصرة فى وسائل الإعلام وتأثيرها على المرأة. المنتدى الفكرى الأول حول المرأة والإعلام، المجلس القومى للمرأة، ٢٠٠٠.
- سامية الساعاتى: أهمية البعد الاجتماعى فى الخطاب الإعلامى الموجه للمرأة. المنتدى الفكرى الأول حول المرأة والإعلام، المجلس القومى للمرأة، ٢٠٠٠.
- سلوى عبد الباقى: صورة المرأة المصرية ـ دراسة فى تحليل مضمون بعض البرامج الإذاعية. رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة عين شمس، القاهرة، ١٩٨٣.
- عواطف عبد الرحمن: الصحافة المصرية وقضايا المرأة، بين التحدى والاستجابة. المنتدى الفكرى الأول حول المرأة والإعلام، المجلس القومى للمرأة، ٢٠٠٠.
- منى الحديدى: دراسة تحليلية لصورة المرأة المصرية فى الفيلم المصرى والآثار الاجتماعية والإعلامية المترتبة على ذلك. رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الإعلام، جامعة القاهرة، ١٩٧٧.

- ــــــــــــ: الدور الوظيفى للإعلام المصرى فى خدمة قضايا المرأة. المنتدى الفكرى الأول حول المرأة والإعلام، المجلس القومى للمرأة، ٢٠٠٠.

- ناهد رمزى: أبعاد سلوك المرأة ـ فى صورة المرأة كما تقدم فى قصص الصحافة النسائية، المجلد الثانى. منشورات المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية، القاهرة، ١٩٨٣.

- ــــــــــــ: المسئولية الاجتماعية لوسائل الاتصال وتغيير الوضع الاجتماعى للمرأة فى المجتمع العربى. مجلة شئون عربية، مجلد ٣١، ١٩٨٣، ص ص ٧٢ : ٨٨.

- ــــــــــــ: مقارنة بين صورة المرأة وصورة الرجل فى الدراما التلفزيونية. اليونيسيف، القاهرة، ١٩٩٥، ص ٣.

- هدى الصدة، وآخرون: صورة المرأة فى الإعلام، فى الطريق من القاهرة إلى بكين. اللجنة القومية للمنظمات غير الحكومية للسكان والتنمية، اللجنة الفرعية للمرأة، وزارة السكان، القاهرة، ١٩٩٥، ص ص ٣٢ : ٤٦.

ثانياً: المراجع الأجنبية

- Andrea L. P. Women watching televesion: gender, class and generation in the American T.V. Experience, Univ. of penselvania press, USA, 1991.

- Baker, Dawn, and others, Body image dissatisfaction and eating atitudes in visually impaired women, Internatinal J. of Eating discorders, Vol. 24 (3) Nov. 1998, 913-322.

- Ceijka, Mary A., Gender stereotypic images of occupations correspond to the sex segregation of employment. J. Personality and social psy - chology, Psy. Bulletin, Vol. (25) (8) Aug. 1999, 1057-1059.

- Harison, Kristen' Cantor, Joanne, The relationship between media Consumption and eating disorders, J. of Communication, Vol. 47 (1), wint 1997, 40-67.

- Henderson - King Earon' Henderson - king. Donna, Media effects on women's body esteem: social and individual differnences fators. Journal of Applied Social psychology Vol. 27 (5) Mar 1997, 399-417.

- Kang, Mee-Eun, The portrayal of women images in magazine Advertisments: Goffman's Gender analysis revisited J. sex Roles, Vol. 37 (11-12) Dec - 1997, 979-996.

- Kray, Susan, Images of money: Cultural drift, Capitialist fantasy and the prime - time female hero, J. of communication, Vol. 13 (4) Feb. 1993, 277-302.

- Low, Jason,' Sherrard, Peter, Portrayal of women in sexuality and marriage and family text books: A content analysis of photographs from the 1970 to the 1990 s., J. of Sexroles, Vol. 40 (3-44) Feb 1999, 309-318.

- Myers philips N., Biocca, Frank A; The elastic body image: The effect of television advertising and programing on body Image distortions in young women. J. of Comunnication, Vol 42 (3) Sum 1992, 108-133.

- O'connor, E. A.; Friel, S., Fahsion Consciousness as Journal of Social influence of lifestyle behavior in young Irish adults. Heacth promotion international, Vol. 12 (2) Jun 1997, 135-139.

- Ogden, Jane; Mundray, Kate, The effect of the media on body satisfaction: the role of gender and size, Eruopean Eating Disorders Review, Vol. 44 (3) Sep 1996, 171-182.

- Rhade, Deborah L., Media Images, feminist issues, Stunford law school, Vol. 20 (3), 1995, 685-710.

- Posavac, Heidi D., and others, Exposure to media images of female atractiveness and concern with bodyweight among young women, Journal of Sex Role vol. 38 (3-4) 1998, 187-201.

- Tran, Thahn V., Ethnicity, gender and social stress among three groups of Elderly Hispanics, J. of cross - cultural Gerontology, vol 12 (4) Dec. 1997-31-356.

- United Nations, Economic and social Council, Review and apraisal of the implemenation of the Beijing platform for Action, Jan., 2000.

- Watking, David, and others, Cultural Dimensions, Gender, and the nature of self-concept: A fourteen - country study, International Journal of pschology, vol. 33 (1) 1998, 17-31.

- Woodruff, Katie, Alcolic advertising and violence against women : A media advocacy case study, Helath Education Quarteerly Vol. 23 (3) Aug 1996, 330-35.

الفصل الخامس

نحو صياغة سياسات للنهوض بالمرأة اجتماعيًا

انتهينا فى الفصل السابق إلى أهمية صياغة استراتيجية إعلامية تهدف إلى تغيير الصورة السلبية السائدة عن المرأة فى تلك الوسائل، والتركيز على رصد التغيرات الملموسة التى دخلت حياة المرأة فى الفترة الأخيرة، والتركيز على المادة الاتصالية التى تسهم فى تغيير المناخ الفكرى والثقافى السائد عن دورها التقليدى فى المجتمع. ولكن على الرغم من أهمية الوسائل الإعلامية والدور المنوط بها فى إحداث التغيير المنشود، نظرًا لما تملكه من انتشار واسع وقبول هائل لدى الجماهير، مما يحملها مسئولية مزدوجة فى تجسيد الواقع والعمل على تطويره وتغييره، فإنها لا تستطيع بمفردها إحداث تغيير واقع سائد وأوضاع اجتماعية شارك فى تدعيمها موروثات ثقافية تقليدية، واتجاهات رجعية عميقة الجذور، شكلتها اعتبارات ثقافية ذات خصوصية خاصة، وإنما يحتاج الأمر إلى صياغة سياسات اجتماعية شاملة تعمل على النهوض بالمرأة، وتعديل الاتجاهات السلبية السائدة عنها، تتبناها كافة الجهات المعنية بشئون المرأة، ويتولى تنفيذها أصحاب الفكر المستنير فى المجتمع، فتغيير الاتجاهات يحتاج إلى وقت وجهد كبيرين. من هنا؛ كانت مسئولية التغيير أكبر من أن تتولاها جهة بمفردها مهما كان لها من تأثير ساحق ودور متميز كوسائل الإعلام.. فالسياسات الاجتماعية التى نقترح صياغتها لن يكون لها التأثير المطلوب إلا إذا توفرت على تنفيذها كافة الجهات المنوط بها النهوض بالمجتمع بكافة فئاته وشرائحه، وليس المرأة على وجه الخصوص.

تصاغ السياسات لكى تحقق أهدافًا منشودة وغايات مبتغاة، من هنا جاء

ارتباطها بالأيديولوجيات التى يتبناها المجتمع، فالسياسة ما هى إلا البعد التطبيقى للأيديولوجية المحددة فى مجال من المجالات.

ولصياغة السياسات؛ لابد من التعرف على الواقع الفعلى، وعلى الموارد المتاحة، وإمكانية الاستفادة من تلك الموارد. لذا يبدو أن وضع سياسات اجتماعية للنهوض بالمرأة أمر يتسم بالصعوبة فى إطار مجتمع نام، يمر بمرحلة انتقال غاية فى الصعوبة، لها متطلبات ملحة، وتمر بأزمات اقتصادية متعددة، وزيادة سكانية كبيرة؛ فى إطارٍ من قلة الموارد المتاحة، مما يخلق العديد من المشكلات التى تبدو فى ظاهرها متفرقة، فى حين أنها مترابطة فى الحقيقة، تؤدى كل منها إلى الأخرى، أو تتفرع عنها، أو تتسبب فيها، بما يجعلها تدور معًا فى فلك واحد، يجعل التصدى لحل إحداها يتطلب ضرورة حل المشكلات الأخرى.

وتتجلى صعوبة صياغة تلك السياسات فى كونها تتم فى إطار تراث ثقافى متراكم ذى أيديولوجية خاصة تدنى من مكانة المرأة وتعلى من شأن الرجل، وتخلق أشكالاً متعددة تعمل على التمييز بينهما، وهى أفكار موروثة عميقة الجذور يصعب تغييرها والعمل ـ فى إطارها ـ على وضع أسس المساواة الكاملة بين الرجل والمرأة فى الحقوق والواجبات.

ولعل مناقشة قضية تصوير المرأة بشكل سلبى فى وسائل الإعلام إنما هى أحد مردودات الموروثات الثقافية التقليدية، على الرغم من كونها قضية تتم فى إطار العدالة الاجتماعية، وتحقيق الديمقراطية، وتأكيد حقوق الإنسان، بل التخفيف من حدة الفقر الذى تتسع رقعته يومًا بعد يوم بشكل يدعو إلى مزيد من القلق.. فالمرأة نصف المجتمع، ونصف طاقته الإنتاجية. من هنا كان تمكينها من المشاركة ضرورةً تنموية واجتماعية، وهدفًا منشودًا يجدر العمل على تحقيقه فى إطار من العدالة والمساواة، واستنادًا إلى ما توفره المواثيق

الدولية والتشريعات المحلية التى تعمل على القضاء على كافة أشكال التمييز ضد المرأة.

ولا ندعى أن المرأة خلال الفترة الأخيرة لم تحرز تقدمًا فى إطار تغير أوضاعها الاجتماعية، بل على العكس، فقد كان لها دورها الفاعل والمؤثر على كافة الأصعدة على المستوى المحلى والدولى. كما كان للدولة دور رائد فى مساندتها مساندة قوية بما أتاحته لها من آليات تساعد على تنميتها، مما أدى إلى إحراز تقدم فى مسيرة تغير أوضاعها الاجتماعية. ولكن حجم المشكلات التى واجهتها المرأة وعمق جذورها لم يمكن النسبة الغالبة من النساء من تحقيق أهداف التنمية التى كان من المستهدف تحقيقها، فقد عاقت تلك التنمية موروثات ثقافية متخلفة، وتنشئة اجتماعية تدعم الفروق بين الجنسين، وأساليب اتصالية يصور جانب منها المرأة بما لا يتناسب وواقعها المعاش، وفرصًا تعليمية غير متساوية بين الجنسين، ونسبًا مرتفعة للأمية وما يترتب عليها من بطالة منتشرة ونقص فى التدريب، وأعباء أسرية لا توزع توزيعًا عادلاً بين أفراد الأسرة، وفرصًا محدودة فى اتخاذ القرار التشريعى والتنفيذى والأسرى، وتشريعات قانونية أصبحت فى حاجة ماسة إلى التعديل ملاءمة لعصر متغير.

ولا شك أن تنمية المرأة اجتماعيًّا لن يتحقق إلا بالتغلب على ما يواجهها من عقبات، مع توفير المناخ الاجتماعى والثقافى الملائم الذى يمكنها من أداء دورها باعتبارها شريكًا كاملاً فى تنمية المجتمع.

واقع المرأة العربية فى إطار الموروثات الثقافية السائدة

أولاً: الصورة النمطية السائدة عن المرأة

أرست الموروثات الثقافية السائدة صورة نمطية عن المرأة شكلها العديد من المتغيرات، من بينها أساليب التنشئة الاجتماعية.. ودعمتها الأساليب الاتصالية، وأكدها أصحاب الفكر الرجعى فى المجتمع.

ويلعب أسلوب التنشئة الأسرية دورًا كبيرًا، وهو الذى يتولاه بشكل أساسى

الآباء الذين يرثون عادات وتقاليد مجتمعاتهم التى يعيشون فيها، مشكلين بذلك ضغوطاً حضارية يمارسونها على أبنائهم عن طريق تدعيم اتجاهات بعينها مقبولة فى إطار المجتمع الذى يعيشون فيه، مع استبعاد أخرى ليس لها نفس الدرجة من التقبل والشيوع داخل تلك المجتمعات. من هنا تتضح أهمية دور الوالدين فى تشكيل شخصية الأبناء باعتبارهم يملكون إمكانيات أكثر تأثيرًا على النمو النفسى والاجتماعى للأبناء، فهم من ناحية الموصِّلون الأساسيون للمفاهيم الاجتماعية، ومن ناحية أخرى المهيمنون على تنشئة الأبناء بشكل مؤثر وفعال (ناهد رمزى، ١٩٩٩).

ولأننا نعيش فى حضارة تعطى الأولوية للطفل الذكر وتخصه بمميزات لا تحصل عليها الطفلة الأنثى، لذا ينتقل الاتجاه إلى معاملة الفتاة عبر أفراد الأسرة، وبالتالى إلى بقية أفراد المجتمع، فتعامل على أنها النوع الأضعف والأقل قدرة والأدنى مكانة، ويسود ذلك المنحى الفكرى لدى العامة.. وهنا تشيع فكرة النقص الأنثوى التى ترجع الفروق بين الجنسين إلى عوامل وراثية.. ذلك المنحى الذى توصلت الوسائل الموضوعية فى القياس إلى عدم صحته، وإلى إرجاعه ـ إن وجد ـ إلى عوامل التنشئة الاجتماعية التى تدعم الفروق بين الجنسين منذ المراحل العمرية المبكرة.

ويشير العديد من الدراسات إلى أن قدرات الفتاة تهدر مع الزمن بعد مرحلة البلوغ.. فالمتتبع لبحوث القدرات العقلية للفتيات منذ فجر حياتهن حتى مرحلة الرشد؛ يلاحظ عدم وجود فروق جوهرية بينهن وبين الذكور، بل يتفوقن عليهم فى مرحلة ما قبل المدرسة، وفى سنى الدراسة الأولى فى بعض جوانب الذكاء، بل وفى القدرات اللفظية، فيبدأن الكلام واستخدام جمل أكثر طولاً، ويتحدثن بقدر أكبر من الطلاقة، وأيضًا فى إدراك السلوك الاجتماعى المناسب. بل يتفوقن عليهم فى بعض القدرات الرياضية فى مرحلة التعليم الأساسى، ولكن بارتفاع العمر، ومع الوصول إلى مرحلة الرشد، يقل هذا التفوق.. فيتساوى الجنسان أو يكادان (ناهد رمزى، ١٩٩٥) ثم يبدأ الرجال فى التفوق فى

الحياة العملية، فى حين تحرم المرأة من التشجيع الكافى على التفوق والتنافس.. ويتم التأكيد على دورها الأنثوى التقليدى لكى تصبح قادرة على القيام بأدوارها داخل البيت كزوجة وأم. أما الآمال العلمية والتطلعات العملية فتترك للرجال، ومن هنا يتشكل منذ البداية الدوْران المختلفان اللذان فرضهما المجتمع على كل من الرجل والمرأة (Cejka, Mary A, 1999).

وتسهم بعض العوامل الأخرى فى تدعيم ذلك التصور السائد، من بينها وسائل الإعلام والوسائط الثقافية المختلفة، التى يدعم جانبًا كبيرًا من مادتها أدوار الجنسين، فتبرز قضايا المرأة الهامشية دون قضاياها المهمة أو القومية، وكأنها مخلوق معزول عن المجتمع لا يتأثر بمشكلاته العامة أو تشغله قضاياه المُلِحَّة، أو تتفاعل مع متغيراته السياسية أو الاجتماعية أو الاقتصادية (Nancy,J.C,1980) فقضايا مثل الأدوار المستحدثة التى يمكن أن تقوم بها من أجل تنمية مجتمعها أو حل مشكلاته داخل العمل وخارجه، أو مشكلات المهنة وصراع الدور، والتوفيق بين أدوارها المختلفة.. كذلك الموضوعات المتعلقة بحقوقها الإنسانية والشرعية، وما يكفله لها القانون من حقوق فى مجال الأحوال الشخصية، أو قضية تحررها ومساواتها بالرجل فى الحقوق والواجبات، كلها قضايا نادرًا ما تطرح، وإن طرحت فمن خلال إطار فكرى يقلل من مكانتها ومن قيمة الأدوار التى يمكن أن تقوم بها فى مجال تنمية مجتمعها.

ومن خلال التنشئة الاجتماعية، وما تقدمه وسائل الاتصال والوسائط الثقافية المختلفة، ومساعدة أصحاب الأيديولوجية الفكرية التقليدية.. يرسم المجتمع للمرأة صورة نمطية يصعب الخروج من أسرها، مستخدمًا فى ذلك أساليب التدعيم المباشر؛ كأسلوب القبول الاجتماعى الذى يعمل على إثابة اتساق المرأة مع القالب النمطى السائد، أو أسلوب الاستهجان الاجتماعى الذى يعمل على استنفاد السلوك الذى يتعارض مع الدور المرسوم ويؤكد حصر المرأة فى أدوار محددة لا تخرج عنها تتم عادةً داخل البيت وليس خارجه (Crawford,M.,1995).

ثانيًا: مقومات تنمية المرأة فى الإطار الفكرى السائد

أدت المقدمات السابقة إلى نتائج أكثر خطورة كان من شأنها التأثير السلبى على تنمية المرأة اجتماعيًا. فإذا كان مكان المرأة هو البيت أو الإسهام فى الأعمال البسيطة، أصبح تعليمها أو تدريبها أو رفع قدراتها الإنتاجية أو تمكينها من صنع القرار السياسى أو التنفيذى أو الأسرى أمرًا ثانويًا أو من قبيل الرفاهية؛ يجدر عدم إيلائه أهمية تذكر.

وهنا تواجهنا أخطر مشكلة تواجه المرأة، وهى مشكلة الأمية التى تعد المحصلة الطبيعية لعدم الاستيعاب الكامل للفتيات فى التعليم أو تسربهن منه قبل حصولهن على عائد يذكر منه، مما عمق مشكلة الأمية حتى أصبحت إحدى المشكلات التى تهدد مشروعات التنمية، بل تهدد أمن مصر القومى. وتقدر إحصائيات عام ١٩٩٠ عدد الأميين الذين يبلغون من العمر عشر سنوات فأكثر بحوالى ١٨ مليونًا، تشكل المرأة منهم حوالى ١١ مليونًا بنسبة تبلغ ٦١,٤٪ (ناهد رمزى، ١٩٩٥).

وتشير توقعات تقرير التنمية البشرية لعام ١٩٩٤ إلى أنه من المتوقع أن يبلغ عدد النساء الأميات فى مصر ١٢,٥ مليونًا بحلول عام ٢٠٠٠ نتيجة للزيادة السكانية الكبيرة غير المخطط لها (تقرير التنمية البشرية، ١٩٩٤).

وتتركز النسبة العليا من الأمية بين النساء فى الريف، حيث تبلغ الأمية بين النساء الريفيات ٧٦,١٪ بالمقارنة بنسبتهن فى الحضر التى تبلغ ٤٤,٨٪، ويعكس ذلك تركيز الخدمات التعليمية فى الحضر دون الريف؛ بما يعنى أن الاتجاه نحو تعليم الفتيات فى الريف ما زال اتجاهًا سلبيًا نظرًا لضغط العادات والتقاليد التى تزداد رسوخًا، فتبدو بين الجنسين فى أوضح صورها.

وترتبط الأمية بمشكلات أخرى ناشئة عنها، كالزواج المبكر للفتيات تخلصًا من عبئهن الاقتصادى، وانتشار عادات صحية سلبية كختان الإناث ووفيات صغار

الأطفال لانخفاض الوعى الصحى للأمهات. ويشير تقرير البنك الدولى لعام ١٩٩٠ إلى أن وفيات أطفال الأمهات الأميات تبلغ ثلاثة أضعاف وفيات أطفال الأمهات اللائى حصلن على قدر من التعليم يقدر بالمرحلة الابتدائية وما فوقها. كما تشير بعض الدراسات الموثقة فى هذا المجال إلى أن كل سنة من سنوات تعليم الأم إنما تؤدى إلى انخفاض فى نسبة وفيات الأطفال دون سن الخامسة بمقدار ٩٪ (البنك الدولى، ١٩٩٠) كما تؤدى الأمية أيضًا إلى نقص فرص العمل. ولما كانت الأمية أكثر انتشارًا بين النساء ذوات الدخل المحدود، من هنا فقد أدى نقص فرص العمل إلى أن تزداد النساء الفقيرات فقرًا، مما انعكس على المستوى العام لدخل الأسرة، وشكَّلَ من المرأة عبئًا اقتصاديًّا يضاف إلى عبء رب الأسرة.

وينص الدستور المصرى وجميع القوانين المنظمة لعمل المرأة على المساواة بينها وبين الرجل.. ولكن هذه القوانين تنطبق على عمل المرأة فى القطاع الرسمى. كما يظهر الواقع وجود فجوة كبيرة بين نصوص القانون وبين تطبيقها، حيث تلعب المتغيرات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية دورًا هامًّا فى حدوث الفجوة على أرض الواقع. كما انعكست تلك الفجوة فى تحيز الإحصاءات التى لا تعد تعبيرًا صادقًا عن الحجم الحقيقى لمشاركة المرأة الاقتصادية؛ فما زالت بعض الأنشطة غير مدرجة فى تلك الإحصاءات؛ كالأعمال غير مدفوعة الأجر فى إطار الاقتصاد العائلى، وكذلك عمل المرأة فى القطاع غير الرسمى الذى يشمل أعدادًا كبيرة من النساء الفقيرات (شهيدة البار، ١٩٩٤).

وعلى مستوى صنع القرار، أدى واقع المرأة إلى ابتعادها عن مجالاته المتعددة، إذ أدى انخفاض مستواها التعليمى وارتفاع نسبة الأمية بين النساء إلى انحصار دورها فى أعمال لا تسمح لها بترقى المناصب الوظيفية العليا، وابتعادها بالتالى عن مواقع صنع القرار على المستوى الوظيفى. كما أدى أيضًا إلى ضعف مشاركتها السياسية، فما زالت نسبة كبيرة من النساء تقدر بحوالى ٩٢,٦٪ خارج

الجداول الانتخابية، ولعل ذلك يفسر اشتراك المرأة غير الفعلى فى التصويت فى الانتخابات فى الريف ـ بالمقارنة بمشاركتهن فى الحضر ـ بسبب انتشار ظاهرة القبلية والعصبيات فى الريف، واستخدام أصوات النساء لدعم مرشح الجماعة أو الأسرة، مما أدى معه إلى إبعاد المرأة عن مجالات صنع القرار السياسى. (سلوى شعراوى، ١٩٩٤).

ولا يقتصر صنع القرار على المجالات السياسية أو الاقتصادية، بل هناك أيضًا مشاركة المرأة فى صنع القرار الأسرى، ومدى إسهامها فى اتخاذ القرارات العائلية ـ الذى لا تأخذ فيه المرأة حقها كاملاً ـ أسوة بالرجل الذى يتخذ القرارات المصيرية، فى حين يقتصر دورها على القرارات الأقل أهمية؛ ويرتبط ذلك بمكانتها الاجتماعية التى يحددها انخفاض مستوى تعليمها وتبعيتها الاقتصادية لرب الأسرة، وأسلوب تنشئتها الأسرية الذى تُرَبَّى من خلاله على الانصياع لأصحاب القرار فى الأسرة.. بالإضافة إلى وضعها القانونى، خاصةً فى قانون الأحوال الشخصية، ومجمل المتاح لها من حقوق فى إطار البنيان القانونى المطبق والأعباء المفروضة عليها من خلاله، والذى أصبح فى حاجة ماسة إلى التعديل من خلال قانون للأسرة؛ يمنح للمرأة حقوقًا عادلة ومتساوية مع حقوق الرجل.

نحو سياسات لتنمية المرأة اجتماعيًّا

أمام واقع المرأة الاجتماعى الحالى الذى تعوق مشكلاته العديدة قيام نسبة لا يستهان بها من النساء بأدوارهن على خير وجه، يقتضى الأمر صياغة سياسات اجتماعية تعمل على تنمية المرأة والنهوض بها اجتماعيًّا ، وذلك من خلال العمل على تغيير الصورة النمطية السائدة عنها ومحاربة الاتجاهات التقليدية التى تحيط بها.

ولعل وضع السياسات التسع التالية موضع التنفيذ سيكون له أثر فعال فى اتجاه تحقيق الهدف:

١ - تصحيح الصورة السائدة عن المرأة فى المجتمع

لعبت العادات والتقاليد والموروثات البالية دورًا هامـًّا فى تعويق حركة المرأة والتقليل من شأنها، فقد تسربت إلى المجتمع منظومات قيمية غريبة عن الشعب المصرى ذى الحضارة الأصيلة، أدت إلى تشكيل صورة نمطية للمرأة تعتمد على أنها مخلوق أقل ذكاء وقدرة من الرجل، وأنها غير قادرة على اتخاذ أى قرار مصيرى إلا بمعاونته، مما أحدث فجوة نوعية بين الجنسين على كافة الأصعدة.

ولا تقوم هذه الصورة على التجربة الواقعية أو الإدراك الموضوعى، بل تتحكم فى رسمها عوامل من الموروثات الشعبية، وتعمل على تدعيمها الوسائل الإعلامية والأعمال الفنية بشكل مباشر أو غير مباشر.

وقد تأثرت بتلك الأفكار التقليدية السائدة بعض فئات من النساء، مما أدى إلى إضعاف دور المرأة وإمكانية إسهامها مساهمة فعالة فى عمليات التنمية المجتمعية.. من هنا وجب أن يوضع فى الاعتبار تغيير ذلك النمط السائد عن المرأة، وضرورة تبنى سياسات تعمل على تغيير تلك الصورة من خلال:

١/ ١ تبنى القيم الإيجابية التى ترفع من شأن المرأة فى المجتمع، وتعظم من دورها.. والقضاء على الممارسات السلبية التى تدنى من مكانتها؛ وذلك عن طريق توعية الرأى العام وتشجيعه على مناصرة قضايا المرأة ومساواتها بالرجل.

١/ ٢ تمكين المرأة من المشاركة على أساسٍ من المساواة والعدالة باعتبارها ضرورة تنموية وإنسانية، وهدفًا لابد من السعى إليه لصالح المرأة ولصالح المجتمع، مع ضرورة إزالة كافة العقبات، وتوفير المناخ الاجتماعى والثقافى والسياسى الذى يمكن المرأة من أداء دورها كشريك كامل فى تطوير المجتمع، مع الاستفادة من كافة ما توفره المواثيق الدولية الخاصة بحقوق الإنسان، والقضاء على كافة أشكال التمييز ضد المرأة.

١/ ٣ مراجعة المواثيق والقوانين للتعرف على مدى تحقيق المساواة والعدالة على أرض الواقع، استنادًا إلى نصوص الدستور المصرى الذى لا يفرق بين

الجنسين، والاتفاقية الدولية التى تعمل على القضاء على كافة أشكال التمييز ضد المرأة، وذلك للتعرف على الأسس المجتمعية والأصول القانونية التى تؤدى إلى التمييز ضد المرأة، ومعرفة آثارها عليها وعلى أفراد أسرتها، ومدى تأثير ذلك فى رسم صورة نمطية تقليدية عن المرأة.

١/ ٤ التعريف بالدور الإيجابى الذى تقوم به المرأة فى العديد من المجالات، وتركيز الضوء على بعض النماذج المشرفة التى يحفل بها التاريخ القومى والوطنى لمصر.

١/ ٥ توعية الأفراد ـ رجالاً ونساءً ـ توعية دينية مستنيرة، حتى لا يستغل الدين استغلالاً خاطئًا للتقليل من شأن المرأة بسبب قصور فى فهم الدين الصحيح.

١/ ٦ التركيز على حملات التوعية، وخصوصًا على الأفراد فى المناطق الريفية البعيدة التى تشتد فيها وطأة العادات وترسخ التقاليد البالية، مع الوضع فى الاعتبار خصوصيات المجتمع المحلى وثقافته حتى لا يفقد هويته.

١/ ٧ التأكيد على مسئولية الرجال وضرورة مشاركتهم فى إحداث التغيير المنشود لخلق مناخ اجتماعى يسمح بقيام المرأة بدورها كشريك كامل فى عملية التنمية.

٢- تنشئة اجتماعية تحد من التحيز ضد الطفلة الأنثى

يتطلب تغيير صورة المرأة فى المجتمع والعمل على تنميتها، العمل على ذلك منذ فترة مبكرة، على أن يأتى ذلك من المقدمات وليس من النتائج، أى من الضرورى بمكان إعطاء أهمية خالصة للطفلة الأنثى التى تجد تفرقة بينها وبين الطفل الذكر منذ نعومة أظفارها، والقضاء على الفجوة النوعية بين كلا النوعين التى توضع بذورها الأولى من خلال عمليات التنشئة الاجتماعية بمفهومها الواسع، والتى تعمل ـ من خلال التربية داخل البيت ومن خلال وسائل الإعلام ـ على تدعيم اتجاهات التفرقة وتحديد الأدوار منذ مرحلة عمرية

مبكرة. وليس هناك من شك فى أن الأسس التى توضع فى الصغر يصعب تغييرها فى الكبر، ومن هنا تتكون الأشكال المختلفة للفروق بين الجنسين، مما يخلق مع الوقت فجوة نوعية يصعب علاجها فيما بعد (Gough,B,1998).

وللقضاء على تلك التفرقة فمن الضرورى عمل الآتى:

٢/ ١ تسجيل وتحليل جميع البيانات والإحصاءات والمعلومات على أساس نوعى الجنس (ذكور / إناث) لمتابعة التقدم فى سد الفجوة الثقافية والاجتماعية والتربوية والقانونية التى ترسى أسس التفرقة بين الجنسين.

٢/ ٢ توعية الآباء والأمهات بأساليب التنشئة السليمة التى تعمل على المعاملة المتساوية بين الجنسين، وعدم وضع بذور التفرقة بينهما منذ الصغر، ونبذ فكرة النقص الأنثوى والتفوق الذكرى.

٢/ ٣ مراجعة ما يكتب للأطفال من مناهج دراسية وكتب ثقافية ومادة إعلامية بما يعمل على الحفاظ على كرامة الأم، ويؤكد دورها الفعال فى تنشئة أبنائها.

٢/ ٤ الدعوة للمساواة فى معاملة الطفلة والطفل من حيث التغذية والرعاية الصحية والتعليم والأنشطة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، وكذلك العدالة فى شئون الميراث.

٢/ ٥ القضاء على العادات الضارة، وخاصة ختان الإناث، عن طريق إصدار التشريعات اللازمة بتجريم إجراء هذه العملية لصغار الإناث، والتركيز على نشر المعلومات الصحية من خلال وسائل الإعلام والجهود الحكومية والتطوعية لتعريف الأسر بأضرار ختان الإناث، وإشراك رجال الدين فى توضيح عدم استناد هذه العادة إلى تعاليم دينية.

٢/ ٦ محاربة زواج الفتيات الصغيرات الذى يؤدى إلى الإضرار بهن صحيًا واجتماعيًا ونفسيًا، ويخلق جيلاً من الأبناء الضعفاء الذين يولدون من أم

صغيرة السن لا تقوى على تحمل أعباء تربيتهن، والتشديد فى تنفيذ القوانين التى تضمن أن الزواج يتم على أساس حرية الاختيار لكلا الطرفين، وللفتاة على وجه الخصوص.

٧/٢ محاربة ظاهرة عمالة الطفلة الأنثى تحت السن القانونية. . تلك الظاهرة التى بدأت تنتشر عامًا بعد عام نتيجة لانخفاض المستوى الاقتصادى للأسر المحرومة، والتى تحرم الفتاة من حقوقها الاجتماعية والتربوية والنفسية، وتعرض الفتاة للانتهاك البدنى والنفسى، وتحملها أعباءً لاطاقة لها بها.

٣- محو أمية المرأة

يعد ارتفاع نسبة الأمية بين النساء بمثابة التحدى الحقيقى أمام انطلاق المرأة وقيامها بدورها المنوط بها فى مجالات التنمية المختلفة، كما يمثل إحجامها عن الالتحاق ببرامج محو الأمية أو تسربها من فصوله ـ قبل تحقيقها العائد المطلوب، خاصة فى المناطق الريفية ـ مشكلة خطيرة تهدد سياسات تنمية المرأة وتنمية المجتمع، فأمية المرأة لا تنعكس آثارها السلبية على المرأة وحدها، بل على المحيطين بها وعلى المجتمع بأسره، وأنها مسئولة بصفة أساسية عن تنشئة جيل بأسره من الصغار يحتاجون فى تنشئتهم إلى أم متعلمة تساعدهم على تبنى القيم الإيجابية والسلوك القويم، علاوةً على حسن تفهمها لمشكلات بيئتها الصحية والاجتماعية والاقتصادية، وتعميق استجابتها للحملات القومية التى تتبناها الدولة كتنظيم الأسرة والحد من الاستهلاك والتوعية الصحية والثقافية وغيرها من المشكلات الاجتماعية المُلِحَّة، فالتوجه إلى شخص متعلم بحملة توعية يختلف اختلافًا بينًا عن التوجه إلى شخص أمى.

لذا بدت مشكلة الأمية فى حاجة ماسة إلى توجيه جهود خاصة تتمثل فى الآتى:

٣/١ أهمية تبنى مشروع قومى لمحو أمية المرأة تتضافر فيه أجهزة الدولة

المختلفة مع جهاز محو الأمية وتعليم الكبار والمنظمات غير الحكومية، ووضع برنامج مدروس يتناسب مع احتياجات المرأة وظروفها الخاصة، والاستعانة بوسائل الإعلام المسموعة والمرئية لتيسير وصول هذه الخدمة إلى كل امرأة فى كل بيت.

٣/ ٢ تطوير المناهج الدراسية الخاصة ببرامج محو الأمية، واختيار مضمون لها يتناسب مع دور المرأة فى المجتمع، حيث تبين أن المادة الدراسية تمثل أحد الأسباب التى تؤدى إلى التسرب من برامج محو الأمية، مع العمل على تأهيل القائمين على العملية التعليمية على الأساليب الحديثة، وإدراك أن تعليم الكبار يختلف جوهريًّا عن تعليم الصغار.

٣/ ٣ يجب ألا تقتصر مناهج محو الأمية على محو الأمية الهجائية، وإنما تمتد إلى محو الأمية الثقافية والصحية والسياسية والقانونية، كما يجب أن تتضمن تلك البرامج تدريبًا على إقامة وإدارة المشروعات الصغيرة والتسويق والحصول على الائتمان، حيث أن الاستفادة العملية وزيادة الدخل وإتاحة فرص العمل هى أكبر دافع لمحو الأمية، وبصفة خاصة بين النساء ذوات الدخل المحدود.

٣/ ٤ التوسع فى فصول محو الأمية، خاصةً فى المناطق التى ترتفع فيها نسبة الأمية بين النساء، والخروج بها عن شكلها التقليدى حتى تكون مصدر جذب للدارسات، مما يحد من التسرب الكبير الذى يعد أحد المشكلات الكبيرة فى برامج محو الأمية.

٣/ ٥ مناشدة الجهات التطوعية والجمعيات الأهلية ـ خاصةً النسائية منها ـ الدعوة إلى توعية الأهالى ـ رجالاً ونساء ـ بأهمية التعليم وضرورة محو الأمية.

٣/ ٦ تقييم برامج محو الأمية التى قامت الجهات المختلفة بتنفيذها للتعرف على البرامج الناجحة لتدعيمها؛ والبرامج غير الناجحة لتصويب مسارها والعمل على إنجاحها.

٣/ ٧ قصر القروض التى تمنح للمرأة على النساء اللاتى محيت أميتهن أو المشتركات فى برامج محو الأمية، حتى يمثل ذلك حافزًا على الانضمام إلى تلك البرامج والاستمرار فيها.

٤- تعليم الفتيات.. الحجر الأساسى لمعالجة مشكلة أمية النساء

للتغلب على مشكلة محو الأمية بين النساء فلابد من التوجه لعلاجها من مقدماتها وليس من نتائجها، وذلك عن طريق سد منابع الأمية الأساسية ومعالجة مشكلة عدم الاستيعاب الكامل للفتيات فى مراحل التعليم المختلفة، بالإضافة إلى تسربهن منه منذ مرحلة عمرية مبكرة. وتوضح الإحصاءات والدراسات التى أجريت فى هذا الصدد أن قصور الفرص التعليمية للفتيات إنما يتركز بصفة خاصة لدى الفتيات فى الآسر الفقيرة بعد أن أصبح التعليم بمصروفات ظاهرة أحيانًا ومستترة أحيانًا أخرى، وتبدو الأمور أكثر وضوحًا فى الريف عنها فى الحضر، وفى الوجه القبلى عنها فى الوجه البحرى، حيث تلعب العادات والتقاليد دورًا ذا بال فى عدم الوعى بأهمية تعليم الفتيات، ومن هنا وجب إعطاء أهمية خاصة لضرورة التوعية بتعليمهن.

وفى هذا الصدد يجب وضع المقترحات التالية موضع الاعتبار:

٤/ ١ وضع وتنفيذ خطة تتضمن الاستيعاب الكامل للأطفال فى مرحلة التعليم الأساسى، وبصفة خاصة الفتيات قبل عام ٢٠٠٠، مع مقاومة التسرب من تلك المرحلة وباقى مراحل التعليم الأخرى، وتنفيذ حملة لتوعية الأسر والقائمين على العملية التعليمية بأهمية تعليم الفتيات.

٤/ ٢ إجراء دراسات متعمقة حول أسباب عدم الالتحاق الكامل للفتيات بالتعليم، والعوامل التى تؤدى إلى تسربهن منه.. تلك العوامل التى تعد مصدرًا لارتفاع الأمية بين النساء.

٤/ ٣ إعطاء أولوية خاصة فى إنشاء مدارس جديدة، إلى المناطق الحضرية الفقيرة والمناطق الريفية والبدوية البعيدة عن الخدمات، وإعفاء الأسر الفقيرة من رسوم تعليم بناتها سواء كانت مصروفات ظاهرة أو مستترة، مع

إتاحة فرص منح القروض والمنح للفتيات المتفوقات اللاتى يرغبن فى استكمال تعليمهن حتى مستويات أعلى.

٤/ ٤ إعادة النظر فى المناهج التعليمية لتخليصها من نمطيتها والتقليل من الجوانب النظرية دون العملية، وإتاحة مناهج تتلاءم مع البيئة، خاصة فى المناطق الريفية والبدوية، وإضافة بعض الجوانب التدريبية التى تخلق مهارات لدى الفتاة تستطيع من خلالها إتاحة فرص عمل تؤدى إلى تحسين نوعية حياتها وحياة أسرتها، بما يجعل للتعليم فائدة عملية ملموسة.

٤/ ٥ التوسع فى نظام مدارس الفصل الواحد أو الفصلين ومدارس المجتمع لاستيعاب الفتيات الأميات والمتسربات من التعليم، خاصةً فى الجهات النائية والكفور والنجوع، وذلك لتوفير فرص تعليمية للفتيات اللاتى لا تتوفر مدارس قريبة منهن حتى لا يتعرضن لمشقة الانتقال أو مخاطره، حيث تلعب العادات والتقاليد دورًا معوقًا فى تعليم الفتيات فى حالة عدم وجود مدارس قريبة من منازلهن.

٤/ ٦ حث الجمعيات التطوعية والقيادات الشعبية على القيام بدور فعال فى إثارة وعى الأهالى بأهمية تعليم الفتيات، أو القيام بإنشاء مدارس تستوعب الفتيات اللاتى لم يلتحقن بالتعليم، أو اللائى تسربن منه.

٥- الحد من وطأة الفقر وإتاحة فرص العمل للمرأة

على الرغم من أهمية عمل المرأة الذى يدعم استقلالها الاقتصادى، فإن بعض العوامل الاقتصادية والاجتماعية والثقافية قد أدت إلى التأثير سلبًا على عمل المرأة، ومن بين هذه العوامل: قصور السياسات الاقتصادية عن توسيع الهيكل الإنتاجى ليستوعب قوى العمل المتزايدة فى مصر. كما أدى ارتفاع نسبة البطالة العامة فى المجتمع إلى الاتجاه نحو حلها على حساب المرأة، بالإضافة إلى قصور الخدمات المعاونة التى تقدم لها من أجل القيام بدورها المزدوج داخل البيت وخارجه، ناهيك عن الاتجاهات الرجعية التى تهدر قيمة عمل المرأة

وتقلل من شأنه وتدعو إلى عودتها إلى البيت. كما انعكست النظرة الدونية لعمل المرأة فى تحيز البيانات الخاصة بمساهمتها الاقتصادية، حيث تتركز تلك البيانات على عمل المرأة المدفوع الأجر خارج المنزل فى القطاع الرسمى الذى قلما تصل من خلاله إلى مواقع صنع القرار، فى حين يتوفر عدد من النساء العاملات - وبأعداد كبيرة - فى القطاع غير الرسمى الذى تقوم فيه بأعمال هامشية. كما تنعكس النظرة الدونية إلى عمل المرأة أيضًا على الوضع الاجتماعى للمرأة ودورها الهام فى عملية التنمية، مما يمثل هدرًا لمبدأ تكافؤ الفرص بين الجنسين. (ناهد رمزى، ١٩٩٨).

ولعل حرمان المرأة من حق العمل معناه الاستغناء عن نصف القوة العاملة المنتجة للمجتمع، ومن واجبه - أى المجتمع - توظيفها فى مجالات التنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، بالإضافة إلى ما يوفره لها العمل من فرص الاستقلال الاقتصادى والاعتماد على الذات.

وليس معنى هذا أن العمل غير المأجور نقدًا الذى تقوم به المرأة فى البيت، أو إلى جانب زوجها فى الحقل، هو عمل غير منتج، ولكن المرأة تحتاج فى ظروف اقتصادية واجتماعية معينة أن تخرج للعمل وتشارك الرجل فى كسب العيش وفى تأكيد الذات، وفى توفير مصدر جديد لدخل الأسرة تخفيفًا للمعاناة الاقتصادية ومحاربة الفقر الذى يهدد نسبة لا يستهان بها من الأسر المصرية، ولتحقيق ذلك لابد من مراعاة ما يلى:

٥/١ العمل على إعطاء المرأة حقها فى تولى الوظائف العامة، وتوفير الخدمات المساعدة التى تعينها على القيام بدورها فى العمل على أحسن وجه، ومراعاة تنفيذ قوانين العمل للقضاء على صور التمييز ضد المرأة، وبصفة خاصة فيما يتصل بممارستها لحقوقها القانونية والدستورية التى يكفلها لها القانون للقيام بوظيفتها الاجتماعية كأم وراعية للأسرة، بالإضافة إلى دورها كامرأة عاملة.

٢/٥ الاجتهاد فى الحد من الدعاوى الرجعية، والعمل على تغيير الاتجاهات السلبية التى تدعو إلى عودة المرأة إلى البيت أو إضعاف دورها فى العملية الإنتاجية بدعوى أنها أقل إنتاجًا من الرجل.

٣/٥ العمل على تنظيم القطاع غير الرسمى وتوفير الحماية القانونية والضمانات الاجتماعية للمرأة العاملة فيه، وإزالة التمييز الإحصائى ضد المرأة الذى يتجاهل مساهمتها الاقتصادية فى هذا القطاع، أو اعتبار العمل المنزلى الذى تقوم به المرأة عملاً يضيف قيمة اقتصادية للدولة، ومن ثم يجب شموله بصورة مناسبة فى التشريعات والتأمينات الاجتماعية.

٤/٥ وضع خطط عاجلة لتلافى الآثار السلبية لبرنامج الإصلاح الاقتصادى، وذلك بخلق فرص بديلة، وتشجيع البنوك والجمعيات الأهلية على التوسع فى تقديم القروض للمرأة؛ مع تدريبها على إدارة المشروعات غير التقليدية وعمل دراسات الجدوى واكتساب مهارات التسويق، مع توثيق وعرض التجارب الناجحة على نحو يساهم فى تعزيز دور المرأة داخل أسرتها ومجتمعها.

٥/٥ المطالبة بتطوير الخدمات الصحية ومد مظلة التأمين الصحى لربات البيوت والنساء العاملات فى قطاع العمل غير الرسمى والنساء المعيلات لأسر.

٦- العمل على زيادة المشاركة السياسية للمرأة

بعد مرور أكثر من أربعين عامًا على نيل المرأة لحقوقها السياسية كاملة غير منقوصة، ما زالت حتى الآن لا تجد لها تواجدًا فعليًّا على ساحة العمل السياسى؛ إذ ما تزال العادات والتقاليد والميراث الفكرى والثقافى السائد ـ بالإضافة إلى ارتفاع نسب الأمية بين النساء وانخفاض وعيهن السياسى، وازدياد الأعباء الواقعة عليهن داخل البيت وخارجه ـ تؤثر تأثيرًا فاعلاً فى ضعف مشاركتها السياسية. . ولعل قضية التنمية السياسية ـ باعتبارها أحد مكونات التنمية المجتمعية ـ لا يمكن إنجازها بالشكل المطلوب فى إطار غياب الدور السياسى

المؤثر للمرأة باعتبارها نصف المجتمع. وبدون المشاركة المتكافئة فى العملية السياسية التى تتيح للمرأة تواجدًا فعالاً، يصبح الحديث عن الممارسة الديمقراطية السليمة حديثًا منقوصًا، قد يفرغ عملية التطور الديمقراطى فى مجملها من أى دلالات أو مضمون. (ناهد رمزى، ١٩٩٤).

كما تحقق مشاركة المرأة السياسية إضافة قضايا وبنود جديدة تعبر عن احتياجاتها بشكل رئيسى، ويسمح بمتابعتها والدفاع عنها بالشكل الملائم.. فالمرأة أكثر فهمًا ودرايةً لاحتياجاتها الأساسية، وبالتالى فهى أكثر قدرة على الدفاع عنها.

ومن هنا أصبحت المشاركة السياسية مطلبًا هامًّا، وأصبح اشتراكها بشكل فاعل فى الأحزاب والنقابات أو الاشتراك فى العملية السياسية - سواء بالترشيح أو الانتخاب - مطلبًا من أجل التطور الديمقراطى السليم، وجانبًا من جوانب التنمية البشرية. ولتحقيق ذلك يجدر مراعاة مايلى:

١/٦ دعم مشاركة المرأة فى الحياة السياسية، وذلك بدعوة الأحزاب السياسية ومؤسسات المجتمع المدنى إلى ترشيح القيادات النسائية ودعمها، وإعداد وتدريب الكوادر النسائية، ورفع مستوى وعى النساء بأهمية المشاركة السياسية.

٢/٦ إعادة النظر فى المناهج التعليمية لتدريس التربية القومية التى تساهم فى تنمية الشعور بالانتماء، وتعميق المفاهيم والممارسات الديمقراطية وحقوق الإنسان.

٣/٦ من الأهمية بمكان زيادة أعداد النساء داخل البرلمان، مع عدم التركيز على العامل الكمى دون النوعى، فنوعية النساء اللاتى من الواجب قيامهن بهذه المهمة هى بلا شك نوعية خاصة لابد أن يتوفر فيها وعى سياسى عال وتفهم لقضايا المرأة، مع استيعاب لدورها فى المجتمع، وقدرة على التعبير عن حقوقها.

٦/ ٤ إنشاء معهد للدراسات والتعليم البرلمانى لتدريب النساء اللاتى لديهن رغبة فى خوض المنافسة الانتخابية، وذلك لإتاحة الفرصة لتعلم أسس العمل السياسى والممارسة الديمقراطية، مع العمل على تطوير آليات وبرامج التدريب حتى يتاح للمرأة فرصة خوض المعارك الانتخابية والنجاح فيها.

٦/ ٥ العمل للقضاء على الموروثات الثقافية التى تروج لفكرة أن العمل السياسى هو نشاط مقصور على الرجل، وهنا يجب أن تلعب وسائل الإعلام والمجتمع المدنى والجمعيات النسائية دورًا فعالاً لتغيير ذلك الاعتقاد الشائع.

٦/ ٦ لاشك أن محو أمية المرأة وزيادة وعيها السياسى وفهمها لقضايا المرأة سيكون له أثر كبير على زيادة المشاركة السياسية للمرأة.

٧- تمكين المرأة من المشاركة فى صنع القرار الأسرى

يتصور البعض أن صنع القرار إنما ينصرف فقط إلى المجالات السياسية والاقتصادية؛ مثل التواجد فى البرلمان أو السلطة التنفيذية، أو العمل الاقتصادى، أو الإسهام فى القطاعات المالية الكبيرة وغيرها.. ولكن مستوى العلاقة بين تأثير المرأة فى دوائر صنع القرار فى المجتمع وقدرتها على التأثير فى القرار العائلى الخاص بأسرتها لا يقل أهمية عن صنع القرار التشريعى أو التنفيذى.. فالأسرة مؤسسة اجتماعية مصغرة تمثل الهيكل الأول لأوسع دوائر صنع القرار المجتمعى انتشارًا، ومن خلالها يمكن رصد التقدم نحو النهوض بالمرأة وتعزيز دورها؛ ليس فقط على مستوى الأسرة، بل على مستوى المجتمع العام كذلك.

ولا شك أن تمكين المرأة من تقرير مصيرها والمشاركة فى صنع القرار يتطلب أولاً إزالة التمييز ضدها كجزء من البنيان الفكرى والحضارى، حتى يتسنى تغيير السلوك الاجتماعى لأفراد المجتمع.

إن تمكين المرأة من المشاركة فى صنع القرار الأسرى ـ سواء أكانت زوجة

أو أُمـًّا أو أختًا أو ابنة ـ لا يعنى صراعًا أو مزاحمة لسلطة الرجل داخل الأسرة، وإنما يحقق ذلك شروط قيام المرأة بدورها كشريك كامل، مما يحقق التوازن فى العلاقات والأدوار. والتوازن شرط ضرورى لتلافى مخاطر الصراع المستتر الذى يهدد استقرار العلاقات فى الأسرة والمجتمع. . فالمرأة التى تشعر بتوازن العلاقة مع أفراد أسرتها إنما تشعر بالأمان والاستقرار، مما يتيح لها فرصة أفضل للقيام بدورها فى تحمل مسئوليتها كأم وزوجة وامرأة عاملة؛ دون الحاجة إلى الدخول فى صراع خفى مع الزوج أو إلى كثرة الإنجاب من أجل الاحتفاظ بالزوج. من هنا وجبت مساعدتها على المشاركة فى صناعة القرار داخل أسرتها عن طريق:

٧/ ١ الاستعانة بجهود الرجال والنساء الذين يمثلون التيار المستنير فى المجتمع بحيث يعاونون فى حصول المرأة على فرص متكافئة فى محو أميتها ورعايتها صحيـًّا، وإمدادها بزاد ثقافى ومنحها فرصة العمل، فمن شأن ذلك أن ينمى قدراتها ووعيها بحقوقها وواجباتها، وبأهمية ممارستها لحقها فى تقرير مصيرها، والمشاركة فى اتخاذ القرار فى شأن مصير أسرتها ومجتمعها.

٧/ ٢ العمل على دفع المشاركة بين الرجل والمرأة فى كافة مجالات العمل لخدمة الأسرة. . مثل تدعيم مسئولية الرجل عن سلوكه الإنجابى، والمشاركة فى إدارة دخل الأسرة، والاشتراك فى تحمل مسئولية تربية الأبناء.

٧/ ٣ مساعدة المرأة على أن تملك حرية الاختيار فيما يتعلق بالزواج والعمل والسفر والإنجاب وتحديد عدد الأبناء وتنظيم الأسرة، واستخدام الوسيلة المناسبة فى ذلك التنظيم.

٧/ ٤ دعم مسئولية الآباء والأمهات والمدرسين فى تعزيز قيمة احترام المرأة والفتاة عند تربيتهم للأطفال الذكور، وإرساء قيمة أن المعاونة داخل الأسرة ليست من صميم عمل النساء، وإنما هى مسئولية يشترك فيها الرجل والمرأة على قدم وساق.

٧/٥ العمل على تغيير اتجاهات أفراد المجتمع التى استقرت لفترات طويلة على أن المرأة لا تستطيع تحمل المسئولية ولا تملك اتخاذ القرار، وأن مسئولية اتخاذ القرار إنما هى من شأن الرجل.

٧/٦ ضرورة التركيز على وسائل الإعلام المسموع والمرئى الذى يعتبر من أهم الوسائل الاتصالية التى تعين على تدريب المرأة على اتخاذ القرارات المتعلقة بأسرتها، وتوعيتها بحقها فى ذلك من خلال نشر مفاهيم الثقافة الأسرية، وسد الفجوة بين الجنسين، وتوضيح مخاطر التفرقة بينهما.

٧/٧ تشجيع الجمعيات الأهلية على نشر الوعى، وتدريب القادة على الثقافة الأسرية ووسائل الوقاية من الأمراض الجنسية والتناسلية، وتوعية الأسرة بأهمية دور المرأة فى تنشئة الأبناء.

٧/٨ الاستثمار فى الخدمات التى تقلل العبء المزدوج على المرأة بما يسمح بحسن توزيع الأعباء على المرأة والرجل، ويكفل لهما التوفيق معًا بين مسئوليتهما تجاه الأسرة وتجاه مسئولية العمل.

٨- توعية المرأة بحقوقها القانونية

حتى تتمكن المرأة من القيام بدورها حق قيام، لابد من أن تملك مقدراتها وأن تتمتع بالحقوق والواجبات التى كفلتها لها التشريعات والقوانين المستقاة من الدستور الذى لا يفرق بين المرأة والرجل. ويستطيع التشريع أن يقوم بدور فعال فى مساعدة المرأة على القيام بدورها فى إطار الفهم الواعى له.. فعدم وعى المرأة بحقوقها القانونية وما كفلته لها التشريعات المختلفة، كذلك عدم معرفة الرجل بتلك الحقوق، يوقعهما معًا فى مشكلات جمة.. كذلك فإن الفهم الخاطئ لما ورد فى الشريعة الإسلامية حول تلك الحقوق يحتاج إلى إمعان النظر من أصحاب التخصص ذوى الأفكار المستنيرة.

وفى هذا الصدد تجب مراعاة ما يلى:

١/٨ مراجعة وتعديل نصوص القوانين واللوائح والإجراءات التى تتحيز ضد المرأة أو تقيد حريتها، وبصفة خاصة تعديل قانون الجنسية بإزالة التفرقة بين الأب والأم فى نقل الجنسية للأبناء، وتعديل قانون العقوبات لتلافى الآثار السلبية لهذا التمييز، لا على المرأة فقط، بل على المجتمع ككل، وإعادة النظر فى التحفظات المبداة على نصوص الاتفاقية الدولية للقضاء على كافة أشكال التمييز ضد المرأة.

٢/٨ العمل على إصدار قانون جديد موحد للأسرة، يعالج الأحكام الخاصة بها من ناحية الحقوق والالتزامات، سواء الشخصية أو المالية.. يجمع الأحكام المنصوص عليها فى قوانين شتى، ويتواءم فى أحكامه الموضوعية مع روح العصر وتنامى دور المرأة فى المجتمع.

٣/٨ تطوير لائحة المأذونين الشرعيين بما يتناسب مع استخدام نموذج عقد الزواج الجديد المرجو تعميمه، والذى ينظم العلاقة الزوجية بين الزوجين فى إطار حياتهما المشتركة.

٤/٨ ضرورة المشاركة النسائية الواسعة فى صياغة القوانين واللوائح الجديدة بصفة عامة، وما يتعلق منها بالمرأة بصفة خاصة، مثل قانون العمل الموحد الجديد، مع إشراك كافة التخصصات القانونية حتى يمكن التوصل إلى نصوص قانونية متوازنة تراعى مصلحة المرأة ومصلحة المجتمع.

٥/٨ إنشاء مكاتب توجيه واستشارات أسرية تستهدف مجابهة المشكلات القانونية والاجتماعية التى تتعرض لها المرأة، والعمل على حلها من خلال متخصصين مدربين للعمل فى تلك المكاتب.

٦/٨ العمل على زيادة وعى المرأة بحقوقها القانونية من خلال عقد الندوات واستخدام وسائل الاتصال المختلفة، بما يكفل للمرأة معرفة حقوقها فى مجال العمل والأسرة ومختلف جوانب الحياة العامة.

٩ ـ التشجيع على إنشاء أو تدعيم الجمعيات الأهلية التطوعية

لما كانت الدولة ومؤسساتها الرسمية لا تستطيع بمفردها تحمل مسئولية النهوض بالمرأة وتحسين أوضاعها، لذا فمن الضرورى أن تساعد الدولة الأفراد ـ وعلى رأسهم المرأة صاحبة المصلحة المباشرة ـ بتشكيل الجمعيات التطوعية. . على أنه ليس بالضرورة أن يتم ذلك على المستوى القومى، بل الأوْلى أن يتم ابتداءً على مستوى المؤسسة أو القرية أو الحى أو المدينة أو الإقليم، ومجالات النشاط هنا لا تقع تحت حصر، إذ أنها تصاغ وفقًا للاحتياجات الواقعية، ثم يأتى دور الدولة أو المؤسسات العامة أو الخاصة فى التدعيم المالى والإدارى أو كليهما معًا، دون أن يكون ذلك وسيلة لفرض سلطات البيروقراطية.

ومشاركة المرأة فى الأنشطة التطوعية، بالإضافة إلى ما تحققه من أهداف تلبى بعض الاحتياجات، تؤكد مكانتها الاجتماعية، وتدعم ثقتها بذاتها وبإمكاناتها، وتؤكد قدرتها على حل مشكلاتها ومشكلات المجتمع بجهودها الذاتية، وذلك مع الوضع فى الاعتبار النقاط التالية:

١/٩ تشجيع التعاون بين المنظمات الأهلية المختلفة لتأكيد فعاليات وتعظيم جهودها، مع التأكيد على أن تتخصص كل جمعية من الجمعيات فى مجال معين لا يتعارض مع ضرورة تعاونها معًا لتكامل أنشطتها، مما يتيح لها إمكانية القيام بتنفيذ مشروعات التنمية متعددة الجوانب.

٢/٩ من أجل تعزيز دور المنظمات غير الحكومية، يجدر إعادة النظر فى القوانين التى تعوق نشاطها أو تحد منه، حتى تحصل تلك المنظمات على مزيد من الاستقلال الذى يؤدى إلى الانطلاق فى اتجاه تنمية المجتمع. وفى هذا الصدد؛ يجب العمل على إجراء دراسة لاستطلاع رأى العاملين فى الجمعيات الأهلية للتعرف على ثغرات القوانين المعوقة لدورها، والعمل على تعديلها بما يخدم الهدف.

٣/٩ القيام بحصر المنظمات التى تعمل فى مجال المرأة، وجمع ما يتعلق بها من بيانات من حيث النشاط، والهدف، والمجال الجغرافى، والفئات

المستفيدة، من أجل إصدار دليل يضم هذه الجمعيات للعمل على التنسيق فيما بينها.

٤/٩ توفير المصادر المالية اللازمة لهذه الجمعيات حتى تستطيع القيام بدورها والتوسع فى المشروعات التى تقوم بها، خاصة فى المناطق الفقيرة والمحرومة من الخدمات، مع تشجيع الجمعيات ذات النشاط الواضح من خلال تشجيع المصادر الوطنية للتمويل، خاصة قطاع الأعمال بمصر، مع إعفاء كافة جهود تلك الجمعيات من الضرائب.

٥/٩ الاهتمام بتشجيع الشباب على تقديم الخدمة لهذه الجمعيات؛ من أجل خلق خط ثانٍ من القيادات تتحمل عبء العمل فى المستقبل، مع العمل على تدريبهم التدريب المناسب الذى يساعدهم على القيام بذلك الدور.

متابعة التنفيذ

ولا شك أن تنفيذ تلك السياسات سيتطلب من الدولة ومؤسساتها المختلفة القيام بجهود ضخمة، وقد يحتاج ذلك إلى تعديل خدمات موجودة بلا أعباء مالية تضاف إلى ميزانية الدولة، كما سيحتاج بعضها الآخر إلى نفقات إضافية، ولكن مهما كانت تلك النفقات؛ فإنها ستؤتى ثمارها مع الوقت.. فتنمية المرأة تعد استثمارًا بشريًّا طويل الأجل لنصف المجتمع ونصف طاقاته الإنتاجية، فالتنمية الحقيقية هى تنمية الموارد البشرية فى الاعتبار الأول، ولن تكون تنمية تلك الموارد ذات فعالية بدون توظيف طاقات كافة أفراد المجتمع رجالاً ونساء.

ومن الضرورى بمكان لوضع السياسات المقترحة موضع التنفيذ، إنشاء آليات للمتابعة على المستوى القومى تشترك فيها مؤسسات الدولة المختلفة بالاشتراك مع المنظمات غير الحكومية والمحليات ووسائل الإعلام ومراكز البحوث العلمية، مع توفير قاعدة للبيانات لقياس مدى التقدم فى تحقيق السياسات الموضوعة، وإجراء تقييم بشكل دورى يساعد على التنسيق بين السياسات المختلفة والعمل على عدم تعارضها؛ من أجل تحقيق الأهداف المنشودة.

مراجع الفصل الخامس

أولاً: المراجع العربية

- البنك الدولى: تخفيف حدة الفقر والتكيف الاقتصادى فى مصر، ملخص تنفيذى. تقرير رقم ٨٥١٥، مصر، ١٩٩٠.
- سلوى شعراوى: المشاركة السياسية للمرأة المصرية. ورقة مقدمة إلى لجنة تعزيز دور المرأة فى المجتمع للمشاركة فى إعداد وثيقة الهيئات المصرية غير الحكومية ـ مؤتمر السكان والتنمية، القاهرة، ١٩٩٤.
- شهيدة الباز: عمل المرأة وإشكالية المساواة بين الجنسين فى مصر. ورقة مقدمة إلى لجنة تعزيز دور المرأة فى المجتمع للمشاركة فى إعداد وثيقة الهيئات المصرية غير الحكومية ـ مؤتمر السكان والتنمية، القاهرة، ١٩٩٤.
- ناهد رمزى: عدالة تعليم الفتيات؛ قضاء على الفقر ومكافحة للأمية. فى تطور أوضاع المرأة المصرية من نيروبى إلى بكين، تقرير مقدم من الجمعيات الأهلية المصرية للمنتدى العالمى للمرأة فى بكين، ١٩٩٥.
- ــــــــــ: سيكولوجية المرأة، قضايا معاصرة. دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٩.
- ــــــــــ: المرأة العربية والعمل، الواقع والآفاق. مركز المرأة العربية للتدريب والبحوث، ١٩٩٨، تونس.
- ــــــــــ: المسئولية الاجتماعية لوسائل الاتصال. المنتدى الفكرى

الأول للمجلس القومى للمرأة حول المرأة والإعلام، المجلس القومى للمرأة، مايو، ٢٠٠٠.

ثانياً : المراجع الأجنبية

- Bird, S.E. Gendered Construction of the American Indian in Popular Media. J. of Communication. Vol. 49 (3) Sum. 1999, 61-83.
- Cejka Mary Ann, Gender stereotypic images of occupations Correspond to the Sex Segregation of empolyment. Personality and Social psychology Bulletin. Vol. 25 (8), Aug, 1999.
- Christopher, Andrew, The impact of perceived material wealth and perceiver personality of firs impression. J. of economic psychology. Vol. 21 (1) Feb 2000, 1-19.
- Crawford, Mary; Chaffin, Roger, Fitton, Lori, Cognition in social context, J. of Learning and Individual Differences, Vol. 7 (2) 1995, 331-362.
- Craig, R. Stephen, The effect of televesion day part on gender portrayals in televesion commercials : A content analysis. J. Sex Roles, Vol. 26 (5-6) Mar, 1999, Mar 197-211.
- Fouts, Gregory, Televesion situation Comedies : Female body images and verbal reinforcements. J. Sex Role, Vol. 40 (5-6) Mar. 1999, 473-481.
- Gough, Brendan, Men and the discursive reproduction of sexism: Repertoires of difference and equality, J. of feminism and psychology, vol. 8 (1) Feb 1998, 25-49.
- Henderson - King, E. and Henderson - King, D., Media effects on women's body esteem: Social and individual difference factors J. of Applied social psychology, Vol. 27 (5) 1997, 399-417.
- Irving, Lori M., Mirror images: Effects of the standard of beauty on the self and body - esteem of women exhibiting varying levels of bulimic symptoms. J. of social and clinical psy. vol. 9 (2) Sum 1990, 230-242.

- Lusk, Brigid, Pretty and Powerless: Nurses in advertisement, 1930-1950, Research in Nursing and Health, Vol. 23 (3) Jun, 2000, 229-236.

- Nancy Julia C. hodorow, Gender, relation, and difference, by hester Eisentstein, (Edt.) Rutgers Univ. Press, London, 1980.

- Nicolson, P. A. brief report of women's expectations of men's behaviour in the transition to parenthood: Contradictions and conflicts for counselling psychology practice. Counselling psy. Quarterly, vol. 3 (4) 1990, 353-361.

- Ogden, J., Mundray, K. The effect of the media on body satisfaction: The role of gender and size., European Eating Disorders Review, Vol. 4 (3) Sep. 1996, 171-182.

- Remafedia, Gary, Study group report on the impact of televesion portrayals of gender roles on youth. J. of Adoleescent Health care, Vol. 11 (1) Jan, 1990, 59-61.

- Sarah Graham - Brown, Images of Women, Colombia Univ. Press, New York, 1988.

- Schneider, T., J.; Violence in the mass media, westfalia, maenster, Germany studies on crime prevention 1996 Vol. 5 (1) 59-71.

- United Nations, Economic and Social Council, further actions and initiatives to implement the beijing Declaration and platform for action, E/ CN, 6, 2000. New York 2000.

- UNICĖF, The progress of Nations 2000. New York, 2000.

- Winter, Joanne, Gender and the policital interview in an Australian context. J. of Pragmatic, Vol. 20 (2) Aug. 1993, 117-139.

- كما استفادت الباحثة من جميع الأعمال والتقارير التى قدمت إلى المؤتمرات الدولية والمحلية الأخيرة التى تناولت المرأة، وبصفة خاصة الوثائق الرسمية للمجلس الاقتصادى والاجتماعى للأمم المتحدة تحت رقم (E/CN.6/2000/PC/2).

كلمة أخيرة

تنبأ المتفائلون من علماء المستقبليات ـ عندما بدأت الثورة التكنولوجية الإعلامية ـ بحدوث تغير ملموس فى شتى مناحى الحياة، سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية، نتيجة النافذة التى ستفتح على مصراعيها بين العالمين: المتقدم والنامى.. وأن من شأن ذلك أن يؤدى مع الوقت إلى انتشار الديمقراطية وانهيار الأنظمة الديكتاتورية وسيادة قيم العدالة والمساواة ومبادئ حقوق الإنسان.

بنى العلماء تلك التنبؤات استنادًا إلى أن الشعوب المقهورة التى تشهد ممارسة لأسس الديمقراطية وتطبيقًا لمبادئ حقوق الإنسان من خلال البث الفضائى والأقمار الصناعية، من شأنها أن تعيد تقييم أوضاعها، بما يخلق لديها وعيًا بالذات ونقدًا للأوضاع المعاشة من خلال مساحة الحرية الضئيلة الممنوحة لها، مما قد يدفعها إلى المقارنة بين أوضاعها تلك وأوضاع أخرى لشعوب تحيا فى مجتمعات أكثر حرية، ومن شأن تلك المقارنة التمرد على مجريات الأمور التى سبق لها أن عايشتها وقبلتها نتيجة لعدم توفر الوعى الكافى، أو لمجرد الاعتياد على أوضاع سادت تلك المجتمعات لفترات طويلة.

وعلى الرغم من أن تلك التنبؤات لم تصدق بعد، وقد يرجع ذلك فى جانب من جوانبه إلى أن التغير المجتمعى لا يأتى هكذا اعتباطًا نتيجة لتغير تكنولوجى صرف، وإنما يحتاج الأمر إلى جهود أخرى تساند ذلك التغير، خاصة أنه كلما كان المدى الزمنى الذى سادت فيه الأوضاع غير المقبولة مدًى واسعًا كلما زاد

معه حجم الضغوط وكثرت التهديدات التى تقع المجتمعات تحت أسرها، واحتاج الأمر إلى وقت تستقر فيه الأوضاع، وتعبر الشعوب من خلاله المرحلة الانتقالية التى تمر بها بكل ما فيها من متغيرات تدفع إلى الأمام تارة وإلى الخلف تارة أخرى. . ومع ذلك؛ فإننا نرى من وجهة نظرنا أن ذلك التغير الذى تنبأ به المتفائلون من علماء المستقبليات لابد وأنه سيحدث فى يوم من الأيام، ولعل الحروب والمنازعات العسكرية التى نشهدها اليوم بين فئات المجتمع الواحد أو بين مجتمع وآخر؛ قد يرجع جانب منها إلى التمرد على أوضاع كانت مستقرة لفترات طويلة من قبل وتم التمرد عليها الآن.

ولا يقتصر ذلك على الجوانب السياسية أو العسكرية فقط، وإنما يتسع ذلك ليشمل جوانب أخرى، ولعل من بينها بعض الأوضاع الاجتماعية التى أصبحت اليوم - ونتيجةً للتغير الحادث على الصعيد الدولى والمحلى - غير مناسبة لذلك التغير.

وعودٌ إلى موضوعنا عن مكانة المرأة وصورتها فى وسائل الإعلام. .

فعلى الرغم من الاتساق الواضح فى نتائج البحوث التى تناولت الصورة المقدمة عن المرأة فى وسائل الإعلام، فإننا نستطيع أن نلمح قدرًا من التغير تبناه بعض المستنيرين من العاملين فى المجال الإعلامى، أدى إلى إحداث ذلك التغير. . ونود الإشارة هنا إلى المقارنة التى عقدناها بين نتائج بحثية قمنا بإجرائها حول ذلك الموضوع وباستخدام نفس المنهج (أشرنا لها فى موضعها من فصول هذا الكتاب) لمسنا من خلالهما بروز بعض التغير الذى لم نشهده من قبل. وعلى الرغم من أن ذلك التغير كان ضئيلاً، لكنه تغير موجود يوحى بأن صورة المرأة فى سبيلها إلى التحسن إلى الأفضل، ويمثل تقدمًا فى اتجاه الصورة المرغوبة التى تعبر عن واقع المرأة الذى تغير بالفعل نتيجة للجهود المستمرة التى تبذلها الدولة والمهتمون بقضايا المرأة من أجل الاهتمام بتعليمها وإدماجها كعضو فاعل فى مجال المشاركة فى الحياة السياسية، ودفعها إلى مجال العمل

فى موضع اتخاذ القرار، وتغيير بعض التشريعات والقوانين حتى تتلاءم مع أوضاعها الجديدة.

وعلى ما لذلك من أهمية، فإن وضع المرأة لن يتغير بقرار فوقى، كما أن ذلك التغير لن يتحقق عن طريق توقيع الاتفاقيات أو سن القوانين أو رسم السياسات، مهما توفرت الرغبة فى تنفيذها، وحتى إذا صلحت النوايا. . وإنما يتطلب الأمر خلق وعى مجتمعى عام بقضية المرأة، وبذل جهود حثيثة نحو تغير الاتجاهات السلبية نحوها، وإلا أدى الأمر إلى أن ينقسم المجتمع تجاه قضيتها إلى قطبين متعارضين، أحدهما يدفع إلى الأمام، والثانى يشد إلى الخلف على ما يترتب على ذلك من صراعات ذات آثار سلبية معوقة. ويقتضى الأمر أيضًا العمل على تغيير العادات والتقاليد والموروثات الثقافية الخاطئة التى أصبحت لا تناسب العصر وتمثل ضغطًا شديدًا على الأفراد، كما تشكل مع الوقت نسقًا للمعتقدات يرتبط بدوره بالنظام المعرفى للفرد. . فالمفهومان يمثلان علاقة متبادلة فيما بينهما، فنسق المعتقدات يمثل مجموعة المعتقدات التى يؤمن بها الفرد ويسلم بصحتها فى وقت من الأوقات، وفى إطار المحيط البيئى الذى يحيا فيه. ولضمان تغيير نسق المعتقدات المقبولة، فلابد من الاهتمام أيضًا بالتعرف على المعتقدات المرفوضة التى تمثل بدورها سلسلة أخرى من الأنساق العقائدية تشمل مجموعة من المعتقدات يرفضها الفرد، ويعتقد أنها معتقدات خاطئة لإيمانه بعدم صحتها، على الرغم من أنها قد تحمل بعض الجوانب الإيجابية. فالنسق العقيدى يلعب دورًا حاسمًا فى تصفية المعلومات، بحيث يرفض المعلومات التى تتناقض معه؛ ويسمح فقط بمرور المعلومات التى تتسق معه.

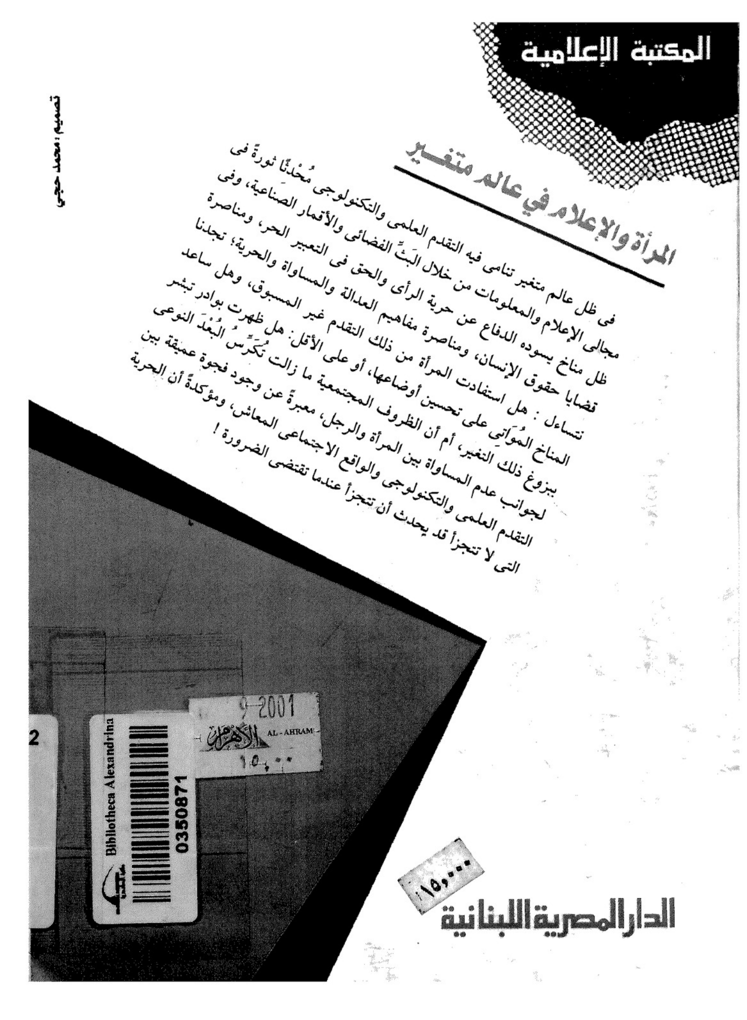
ومما يجعل تغيير النسق العقائدى المقبول، أو تعديل رؤية الفرد للنسق العقائدى المرفوض أمرًا بالغ الصعوبة، ذلك الصراع الناشئ عما هو مقبول وما هو مرفوض، والعمل على حل ذلك الصراع بما يتناسب مع نمط الفرد المعرفى ومع المجتمع الذى يعيش فيه. . فالأفراد يختلفون فى حجم الدور الذى يؤديه النسق العقيدى، فالبعض يرفض أى معلومات تتعارض مع هذا النسق، فى حين

يتسم آخرون بقدر من المرونة، فيقبلون ما يتعارض مع نسقهم العقيدى مع إدخال بعض التعديلات الملائمة.

من هنا تظهر أهمية وجود نظام معرفى يتسم بالمرونة الفعلية؛ بما يساعد على القبول أو الرفض وفقًا لقناعات الفرد الداخلية.. قناعات ينظمها المنطق العقلانى الخاص بالفرد، وليس منطق التهديدات الخارجية أو السلطة المجتمعية الخارجة عن الذات التى قد تتمثل فى سلطة سياسية أو مصالح اقتصادية أو قوى مجتمعية راجعة إلى موروثات قديمة أو عادات بالية أو تقاليد رجعية عفا عليها الزمن، فكلما شعر الفرد بانعدام تلك التهديدات؛ كلما اتسم نظامه المعرفى بالتفتح القائم على الفهم والاستيعاب والمنطق السليم، وكلما رضخ للضغوط الخارجية، أيًّا كانت تلك الضغوط، كلما شاب نظامه المعرفى التصلب والانغلاق، حيث يكون فى ذلك الوقت لا يفكر بنفسه ولنفسه، وإنما يفكر من خلال مجتمع يمثل قوة ضاغطة، وكلما كان المجتمع رجعيًّا والعادات والتقاليد بالية، كلما أدى ذلك إلى انغلاقه ومسايرته لأوضاع يصعب تغييرها.

وإذا كنا نتحدث عن عالم متغير لا نستطيع أن نساير سرعة حركته أمام مجتمع يعانى من بطء حركة تغيره، فإنما يرجع ذلك إلى أن التغير الحقيقى لا يقاس فقط بالتغير التكنولوجى أو من خلال الأجهزة المتطورة، وإنما يقاس التغير الحقيقى من خلال نظام للمعتقدات يحكمه منطق عقلانى يستطيع قبول ذلك التطور الذى يتواءم مع عالم متغير فى إطار مجتمع حر يضمن العدالة فى الحقوق والواجبات لكافة أفراده، سواء كانوا رجالاً أو نساء، فلا يمكن تصور امرأة حرة إذا لم يكن الرجل حرًا.. يتقاسمان الحياة معًا داخل مجتمع تسوده قيم الحرية، ويقدر مكانة كل منهما، ويحترم الأدوار التى يقومون بها.

ويحتاج ذلك إلى طفرة نوعية وجهود مكثفة تتناول العقول والأفكار والمعتقدات، ولا شك أن وسائل الإعلام تملك الكثير فى هذا الصدد إذا تصدت لمسئوليتها الاجتماعية عن ذلك التغير، وإذا تصدى لذلك المستنيرون والتقدميون من أفراد المجتمع.


المكتبة الإعلامية
المرأة والإعلام في عالم متغير
فى ظل عالم متغير تنامى فيه التقدم العلمى والتكنولوجى مُحْدثًا ثورةً فى
مجالى الإعلام والمعلومات من خلال البَثِّ الفضائى والأقمار الصناعية، وفى
ظل مناخ يسوده الدفاع عن حرية الرأى والحق فى التعبير الحر، ومناصرة
قضايا حقوق الإنسان، ومناصرة مفاهيم العدالة والمساواة والحرية؛ تجدنا
تساءل : هل استفادت المرأة من ذلك التقدم غير المسبوق، وهل ساعد
المناخ المُواتى على تحسين أوضاعها، أو على الأقل: هل ظهرت بوادر تبشر
ببزوغ ذلك التغير، أم أن الظروف المجتمعية ما زالت تُكَرِّس البُعْدَ النوعى
لجوانب عدم المساواة بين المرأة والرجل، معبرةً عن وجود فجوة عميقة بين
التقدم العلمى والتكنولوجى والواقع الاجتماعى المعاش، ومؤكدةً أن الحرية
التى لا تتجزأ قد يحدث أن تتجزأ عندما تقتضى الضرورة !
تصميم: محمد حجى
الدار المصرية اللبنانية
١٥,٠٠٠
9-2001
AL-AHRAM
الأهرام
١٥,٠٠
Bibliotheca Alexandrina
0350871